سعود المولى

اليمن السعيد

وصراعات الدين والقبليّة

اليمن السعيد

وصراعات الدين والقبلية

الكتاب: **اليمن السعيد** وصراعات الدين والقبلية

إعداد: **سعود المولى**

التصنيف: **دين ومجتمع - حركات إسلامية - اليمن**

الناشر: **مدارك** إبداع، نشر، ترجمة وتعريب

الطبعة الأولى: يونيو (حزيران) 2011

الرقم الدولي المتسلسل للكتاب: ISBN 978-9953-566-44-3

الكتاب متوفر على الإنترنت:
مكتبة نيل وفرات.
www.nwf.com

Madarek مدارك
Creating, Publishing, Translating & Arabizing إبداع، نشر، ترجمة وتعريب

Tel.: 00961 1 282075 - Fax: 00961 1 282074
Gharios Center. Forn Elchebbak. Beirut - Lebanon
www.mdrek.com - read@mdrek.com
P. O. Box: 50074 Forn Elchebbak - Lebanon
سنتر غاريوس، الطابق الرابع، فرن الشباك، بيروت - لبنان

جميع حقوق الطبع وإعادة الطبع والنشر والتوزيع محفوظة لـ **مدارك**.
لا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب أو أي جزء منه، أو تخزينه في نطاق استعادة المعلومات أو نقله بأي شكل من الأشكال، دون إذن خطي من **مدارك**.

اليمن السعيد
وصراعات الدين والقبلية

إعداد:
سعود المولى

المحتويات

مقدمة ضرورية 7

هذا الكتاب 9

الحروب الحوثية 13

لمحة عن جغرافية اليمن 19

لمحة عن التاريخ السياسي لليمن 29

العرب العاربة يمان 30

قراءة في تاريخ اليمن قبل الإسلام 31

اليهودية في اليمن قبل الإسلام 36

المسيحية في اليمن قبل الإسلام 42

اليمن في تاريخ الإسلام 45

اليمن تحت الحكم العباسي 47

الأيوبيون والمماليك 52

الدولة الطاهرية زمن المماليك 53

اليمن في الزمن العثماني وحكم الزيدية 55

توحيد اليمن من جديد 58

عودة الأتراك وحكم الزيدية 64

حكم الإمام يحيى وثورة سبتمبر 69

اليمن الجديد بعد الوحدة 75

الجيش في العهد الجمهوري 76

خط زمني لتاريخ اليمن 78

المذهب الزيدي في اليمن 85
الفرق الزيدية 90
الأسس العقائدية والفقهية للزيدية اليوم 96
تيار زيدي منفتح كثيراً على السنّة 101
المجتمع القبلي في اليمن 104
التقسيمات القبلية في اليمن 105
التعدد المناطقي 110
التعدد الفئوي 112
الدور السياسي للقبيلة في اليمن تاريخياً 113
خلاصة حول الدور السياسي للقبيلة في اليمن تاريخياً 121
من ثورة الدستور إلى اتحاد القوى الشعبية 129
من حزب الحق إلى حزب الحوثي 134
الظاهرة الحوثية 139
مراحل التنظيم وتطوراته 141
نظرة أشمل على الخلافات الداخلية 149
الظاهرة الحوثية والتشيّع السياسي 155
التكوين العلمي والفكري الأيديولوجي 157
الإمامية في فكر الحوثي 164
شعار مقدّس 178
إيران والتشيّع في اليمن 182

مقدمة ضرورية

مع تطور الأوضاع المطالبة بالتغيير في اليمن، تراجع الحديث عن الحوثيين والحرب في شمال اليمن، وهي التي شغلت الرأي العام العربي والإسلامي طوال الأعوام السبعة الماضية (1994-2011). غير أن تراجع الاهتمام لا يعني نهاية الموضوع، ذلك أن الظاهرة الحوثية لم تتراجع أو تنتهِ إلى فشل أو انهيار، بل لعلها تستعد لمرحلة جديدة يكون لها فيها أن تشارك في صياغة المستقبل السياسي لليمن، إن لم يكن تسجيل انتصارات في حال سقط حكم الرئيس علي عبد الله صالح أو حدث تغيير حقيقي في اليمن.

ولعل الباحث المدقق سيجد أنه كان للحوثية وللحروب التي خاضتها في صعدة وحرف سفيان ضد السلطة المركزية في صنعاء، الدور الأهم في إضعاف سلطة الرئيس صالح وفي تمهيد الطريق لإنجاح حالة الانتفاض والتظاهر والثورة الشبابية المطالبة بالتغيير في اليمن، وذلك إلى جانب الدور الكبير لحالة الحراك الجنوبي التي أضعفت النظام أيضاً.

من هنا ارتأيت ترك هذا الكتاب على الصورة التي كان عليها حين أنهيت إعداده في صيف عام 2010، أي قبل تطور الأوضاع

التغييرية في اليمن. فهو كتاب يحوي معلومات مبثوثة هنا وهناك، قمت بجمعها وتنسيقها وإعدادها مع إعطائها التفسيرات والتحليلات المناسبة، ذلك أن الهدف من هذا الكتاب كان، وما يزال، فَهمُ الحالة الحوثية فهماً موضوعياً شمولياً، وليس التعليق على الوضع اليمني السياسي بتغيراته ومنعرجاته.

وباعتقادي فإن تغير الأوضاع في اليمن لن يؤدي إلى نهاية الحركة الحوثية، بل لعله سيزيدها ضراوة وتصميماً، طالما أن الأسباب التي أدت إلى ظهورها ماتزال قائمة، بل لعلها تطورت كثيراً منذ مطلع العام 2011 من حيث مجريات الصراع السعودي - الإيراني والخليجي- الإيراني، والعربي- الإيراني؛ وكون اليمن أحد أهم مواقع التأثر والتأثير في هذا الصراع. ناهيك عن ارتباط الحالة الحوثية بتيار أيديولوجي- سياسي ثوري في المنطقة، أبرز آياته حالة حزب الله اللبناني التي يستمد منها الحوثيون الكثير من أفكارهم وتنظيماتهم.

بيروت في 15 أبريل/ نيسان 2011

هذا الكتاب

في عام 1986 تأسس في اليمن (الشمالي) «اتحاد الشباب»، لتدريس أبناء الطائفة الزيدية أمور الدين والعقيدة والفقه، وذلك على يد السيد صلاح أحمد فليتة. وكان بين المدرِّسين اثنان من كبار مراجع الزيدية هما: مجد الدين المؤيدي، وبدر الدين الحوثي. وعقب الوحدة اليمنية (بين الشمال والجنوب) (أُعلنت في 22 مايو/ أيار 1990) وفتح المجال أمام التعددية السياسية والحزبية (بعد سقوط الاتحاد السوفياتي والمنظومة الاشتراكية)، تحوّل «اتحاد الشباب» هذا من الأنشطة التربوية إلى مشروع سياسي حمل اسم «حزب الحق»، برئاسة السيد مجد الدين المؤيدي والسيد أحمد الشامي أميناً عاماً، وصار الحزب يمثل الطائفة الزيدية، برغم وجود عدد من غير الزيود في الهيئة المؤسسة للحزب. «فالهيئة العليا المعلن عنها كقيادة مؤسسة للحزب تشكلت من 32 مرجعية ورمزاً كان 50٪ منهم من غير الهاشميين وغير الزيود. وعلى سبيل المثال: الشيخ العلامة المرحوم أسد الله عبدالقادر حمزة، والقاضي محسن الرقيحي، والعزي الأكوع، والقاضي صلاح فليتة، والقاضي أحمد الجوب وغيرهم. ومن القيادات الشابة الزيدية المؤسِّسة كان 90٪ منهم غير هاشميين، منهم على سبيل المثال: أحمد كريم، وأحمد

جدبان، ومحمد يحيى سالم عزان، وصالح أحمد هبرة، وعبدالله عيضة الرزامي، والأستاذ محمد المقالح، والأستاذ مصلح العزير، وسيف القبلي، ناهيك عن مناطق وقبائل بحالها وعلى رأسها قبيلتا همدان وسحار، ومنهم الشيخ عبدالحميد القوسي رئيس لجنة الرقابة والمتابعة، والشيخ العلامة علي حسن الداهوك، والشيخ سعيد العزي عبدان رئيس فرع الجوف، والشيخ عبدالجليل سنان ووالده الشيخ عبدالوهاب سنان، والشيخ الحضوري، والشيخ عيضة علهان»[1].

وقد تحوّل قسم من حزب الحق إلى «منتدى الشباب المؤمن»، الذي تأسس في عام 1992 على يد بدر الدين الحوثي وبعض رفاقه، وذلك على أساس كونه منتدى للأنشطة الثقافية. وقد حدثت به لاحقاً انشقاقات. ويقال بأن حزب المؤتمر الشعبي العام الحاكم (ورئيسه هو الرئيس علي عبد الله صالح) هو من قام بداية بدعم منتدى الشباب المؤمن بهدف تقويته ضد أكبر الأحزاب الإسلامية المعارضة في البلاد، التجمع اليمني للإصلاح (الذي يضم زيوداً وشوافع، إلا أنه يعتبر تنظيماً تابعاً للإخوان المسلمين)؛ يقول آخرون إن هذا المنتدى الزيدي كان لمواجهة الحركة السلفية المتصاعدة آنذاك في شمال اليمن وجنوبه.

وفي عام 1997 تحوّل المنتدى، على يد حسين بدر الدين الحوثي، من الطابع الثقافي إلى حركة سياسية تحمل اسم «تنظيم

1 - الأستاذ حسن محمد زيد، أمين عام حزب الحق، في حوار أجراه معه موقع «يمنات» ونشرته صحيفة «الشارع» اليمنية - العدد 22 بتاريخ 10 نوفمبر/تشرين الثاني 2007.

الشباب المؤمن». حينها غادر الكثيرون التنظيم واتهموه بمخالفة المذهب الزيدي. وقد اعتمد التنظيم منذ العام 2002 (أي بعد حادثة 11 سبتمبر 2001 في نيويورك ودخول تنظيم القاعدة بلاد اليمن) شعار «الله أكبر، الموت لأميركا، الموت لإسرائيل، اللعنة على اليهود، النصر للإسلام». وظل أنصاره يرددونه عقب كل صلاة ويكتبونه على جدران المساجد والمباني والممرات العامة.

إن قيام السلطات الحكومية بمنع أتباع الحركة من ترديد شعارهم بالمساجد كان أحد أهم أسباب اندلاع المواجهات الأولى بين الجماعة والحكومة اليمنية. ويدّعي الحوثيون بأن الزيديين (والهاشميين عموماً) تعرضوا قبل الوحدة وبعدها للتمييز السياسي والاجتماعي والتهميش في الوظائف الحكومية وللقمع المذهبي والفكري من قبل الأكثرية الشافعية؛ بل ويُعيدون سياسات التمييز إلى عام 1962 عندما أطيح بالإمامة الزيدية التي حكمت اليمن لأكثر من أحد عشر قرناً، ويطالبون بموافقة رسمية على تكوين حزب سياسي مدني زيدي، وإنشاء جامعة معتمدة في شتى المجالات المعرفية، وضمان حق أبناء المذهب الزيدي في تعلم المذهب في الكليات الشرعية، واعتماد المذهب الزيدي مذهباً رئيسياً في البلاد، إلى جانب المذهب الشافعي.

غير أن السلطات اليمنية تؤكد أن الحوثيين يسعون إلى إقامة حكم رجال الدين، وإعادة الإمامة الزيدية. وهذا ما ينفيه الزيديون

حيث يؤكدون أنهم لا يعارضون النظام الجمهوري القائم منذ ثورة 1962، ولا يعتبرون أن النظام الإمامي السابق له أساس في الفكر الزيدي أصلاً.

وكان خلاف قد وقع بين بدر الدين الحوثي وبقية علماء الزيدية في اليمن، حول فتوى تاريخية وافق عليها علماء الزيدية اليمنيون، وعلى رأسهم المرجع مجد الدين المؤيدي، تقضي بأن شرط النسب الهاشمي للإمامة صار غير مقبولٍ اليوم، وأن هذا كان لظروف تاريخية، وأن الشعب يمكن له أن يختار مَن هو جديرٌ بحكمه دون شرط أن يكون من نسل الحسن أو الحسين. فأدى هذا الخلاف إلى مزيد من ابتعاد الحوثيين عن التيار العام للزيدية في اليمن.

في 25 نوفمبر/ تشرين الثاني 2010 أعلنت وفاة بدر الدين الحوثي، الأب الروحي للحركة الحوثية التي أسسها ابنه حسين. وقد ادّعت القاعدة لاحقاً بأنها اغتالته.

الحروب الحوثية

لم تعطِ الدولة اليمنية اهتماماً لظهور الحوثيين لغاية عام 2004، إذ حصل تحوّل أو تطوُّر خطير، بحسب النظام، ألا وهو خروج الحوثيين بقيادة حسين الحوثي بمظاهرات ضخمة في الشوارع «لمناهضة الاحتلال الأميركي للعراق»، استجابة لنداء السيد مقتدى الصدر وجيش المهدي في العراق. ويتضح من صمود الحوثيين في معاركهم مع السلطة المركزية (ومع السعودية) أنهم تسلحوا سرًّا بشكل جيد، فالسلاح زينة الرجال في اليمن، واستعدوا لأسوأ الاحتمالات والمواجهات، وهم المتمرسون على حرب الجبال؛ وتدربوا على استخدام كل أنواع الأسلحة المتطورة. هذا ناهيك عن العامل القبلي التاريخي الذي له دور كبير في قتال بعض الصوفيين السنّة إلى جانب الحوثيين الشيعة الزيود.

في 19 يونيو/حزيران 2004 اندلعت أولى الحروب بين القوات الحكومية والحوثيين وانتهت بمقتل زعيم الحركة الحوثية المسلحة -وقتذاك- السيد حسين بدر الدين الحوثي، في 9 أغسطس/آب 2004... وانطلقت الحرب الثانية بعد أقل من ستة أشهر، وتحديداً في فبراير/شباط 2005، بقيادة الوالد بدر الدين الحوثي، وانتهت

فجأة، لتبدأ الحرب الثالثة نهاية عام 2005، وهذه المرة بقيادة عبد الملك الحوثي، الابن الأصغر لبدر الدين الحوثي، وتوقفت هذه الحرب في فبراير/شباط 2006، عند دخول الطرفين في مفاوضات ثنائية، أفضت إلى اتفاق أبريل/نيسان 2006. وفي يناير/كانون الثاني 2007، اندلعت الحرب الرابعة على خلفية اتهام الحكومة اليمنية للحوثيين بطرد اليهود اليمنيين من محافظة صعدة، والسعي إلى الانفصال وتكوين دولتهم الشيعية. وفي مطلع أبريل/نيسان من عام 2008 تجددت المواجهات بشكل مناوشات طفيفة، بين الحين والآخر، كان أبرزها في مديرية حيدان، في الوقت الذي كانت المفاوضات مستمرة بين اللجنة القَطَرية للوساطة والرئاسة اليمنية ومندوبي الإمام بدر الدين الحوثي. ووصلت هذه المفاوضات إلى طريق مسدود حول تنفيذ بعض بنود الاتفاق، واستمرت بعض المناوشات بين القوات الحكومية والمسلحين الحوثيين.

وفي شهر مايو/أيار من العام نفسه تجددت المواجهات بشكل عنيف، ليعلن رسمياً عن بداية الحرب الخامسة. وتميزت هذه الحرب بأن توسع الحوثيون في معاركهم حتى بلغوا مديرية بني حشيش، على مداخل العاصمة صنعاء، ومديرية حرف سفيان، بمحافظة عمران، التي تبعد عن صنعاء حوالى 60 كيلو متراً. وتواصلت الحرب حتى 17 يوليو/تموز 2008، حين أعلن الرئيس اليمني علي عبد الله صالح، وقف الحرب نهائياً، في خطاب ألقاه بمناسبة الذكرى الثلاثين لتوليه الحكم. ولم تخلُ الهدنة من بعض

المناوشات الصغيرة، واستمرت قرابة عام وبضعة أسابيع تقريباً، لتندلع في مطلع شهر أغسطس/آب 2009 الحرب السادسة التي فاقت بعنفها وانتشارها كل الحروب السابقة.

وقد توقفت الحرب السادسة فجأة كما بدأت، وذلك بعد أن امتدت شرارتها إلى الحدود السعودية وقام السعوديون بضرب بعض المناطق التي يسيطر عليها الحوثيون بالطيران.

كما شهدت هذه الحرب السادسة تجدد الوساطة القطَرية والمفاوضات بين النظام والحركة الحوثية، وتوقَّف بعدها القتال ليتجدد بين الفينة والأخرى على وقع التطورات الإقليمية والدولية المحيطة باليمن... ثم عادت وتصاعدت الاشتباكات في الأيام الأخيرة من شهر يوليو/تموز 2010 وانهار اتفاق وقف إطلاق النار الذي تم التوصل إليه في 11 فبراير/شباط 2010.

وقد صرح الشيخ يحيى الجرادي كبير الوسطاء في النزاع القائم في 27 يوليو/تموز، أن «المتمردين الشيعة بقيادة الحوثي قد أسروا مائتين من الحرس الجمهوري وسيطروا على مواقع للجيش وأجبروا الموظفين الحكوميين على مغادرة العديد من المناطق في محافظة صعدة». وأضاف أن: «الحوثيين قاموا بنقل الجنود الأسرى من محافظة حرف سفيان في عمران إلى ماطرة والنقعة في صعدة... هم لا يريدون السلام، فهم يُرغمون المدنيين على مغادرة منازلهم؛ وبدأوا مرةً أخرى في حفر مواقع في الجبال». وطبقاً للجرادي فقد

استغل المتمردون وقف إطلاق النار الذي استمر لمدة خمسة أشهر لشراء المزيد من الأسلحة وحفر المزيد من الخنادق.

وجاء هذا التصاعد في القتال بعد أسبوع من الاشتباكات بين المتمردين ورجال القبائل الموالين للحكومة في حرف سفيان مما خلف عشرات القتلى وتسبب بجرح كثيرين آخرين. وفي 27 يوليو/ تموز 2010، أورد موقع «مأرب برس» المستقل أنباء العثور على 17 جثة لمسلحين حوثيين قرب منزل الشيخ صغير بن عزيز، زعيم رجال القبائل الموالين للحكومة، وذكر الموقع: «أنه تم قصف المنزل في 26 يوليو/ تموز من قبل الحوثيين وأُصيب بن عزيز جراء ذلك». وقد اعترف يحيى الحوثي، وهو القائد السياسي للحوثيين، وشقيق عبد الملك الحوثي القائد الميداني للحوثيين، ويقيم في منفى اختياري في ألمانيا منذ عام 2005، في بث مباشر مع قناة الجزيرة الفضائية، اعترف بقيام الحوثيين بأسر جنود يمنيين؛ وعلق على الموضوع قائلاً: «إن هؤلاء الجنود أتوا لقتل نسائنا وأطفالنا، فقد قُتل عشرون شخصاً من أفراد عائلتي على أيدي جنود الحكومة ومعظمهم من النساء والأطفال». ومن جهته، صرّح الرئيس اليمني علي عبد الله صالح أن الحكومة لا تريد حرباً أخرى، واتهم الحوثيين بخرق اتفاق وقف إطلاق النار بصورة يومية. وقال في حديث له في حفل عسكري يوم 25 يوليو/تموز 2010: «أوقفوا تعريض الأمن والاستقرار في محافظة صعدة للخطر»؛ وأضاف: «الحوثيون يتحدّون الدولة ولا يريدون لوقف إطلاق النار أن يستمر».

ولكن اندلاع ثورة الشباب اليمني، وقبلها اندلاع الثورات في تونس ثم مصر، خطف الأضواء عن الحركة الحوثية وحروبها ومطالبها دون أن ينهيها؛ بل لعلها تترقب نهاية الصراع في اليمن لتأخذ دورها في الوضع الجديد ولتنطلق في دورة جديدة من الحراك السياسي وربما المسلح، بحسب تطور العلاقات بين أطرف الصراع الداخلي في اليمن والخارجي حوله.

فما هي حقيقة الحوثيين هؤلاء؟ من هم وما هي أفكارهم وماذا يريدون؟ ما هو تاريخ خروجهم على الزيدية الرسمية؟ وما هي صلتهم بالمذهب الشيعي الاثني عشري وبحزب الله وإيران؟ وما سبب قطيعتهم مع النظام الذي قيل إنه دعمهم في البداية؟ ولماذا تقوم كل هذه الحروب الوحشية في اليمن الذي كان في يوم من الأيام «سعيداً»؟

لمحة عن جغرافية اليمن[2]

الموقع والمساحة

تقع الجمهورية اليمنية في جنوب شبه الجزيرة العربية بين خطي عرض 12 درجة و20 درجة شمال خط الاستواء وبين خطي طول 41 درجة و54 درجة شرق غرينتش.

وتبلغ مساحتها 555000 كيلومتر مربع (بدون الربع الخالي) ويحدها من الشمال المملكة العربية السعودية، ومن الجنوب البحر العربي وخليج عدن، ومن الشرق سلطنة عُمان، ومن الغرب البحر الأحمر.

ويقع في الجنوب الغربي لليمن مضيق باب المندب الذي تقسمه جزيرة ميون اليمنية إلى قسمين وتتحكم في مداخله.

كما تقع جزيرة سقطرى، وهي أكبر الجزر اليمنية على مسافة 510 كلم من الساحل اليمني في البحر العربي وتبلغ مساحتها 3650 كيلومتراً مربعاً. وتوجد في البحر الأحمر أكثر من 112 جزيرة يمنية أكبرها جزيرة كمران وحنيش الكبرى وحنيش الصغرى وزقر والزبير والطير.

---

2 – المصدر: معلومات الوزارات اليمنية المختصة (وزارات الثقافة والسياحة والتربية خصوصاً) على مواقعها الإلكترونية المختلفة، وموقع رئاسة الجمهورية اليمنية وموقع المركز الوطني للمعلومات.

يبلغ عدد سكانها حوالى 21 مليون نسمة وعاصمتها صنعاء، ومن أكبر المدن فيها: صنعاء، وإب، وعدن، وتعز، والحديدة، وحضرموت.

وأصل التسمية: اليمن يعني «اليمين» لأن البلاد واقعة إلى يمين الكعبة، الحجر الأسود المقدّس الموجود في مكة المكرمة. الاسم الرسمي هو «الجمهورية اليمنية» وعاصمتها «صنعاء».

معلومات عامة

- عدد السكان: 2107835 نسمة.
- الكثافة السكانية: 34 نسمة/كلم^2.
- اللغة الرسمية: العربية.
- الديانة: الإسلام.
- الأعراق البشرية: عرب وبعض النازحين الصوماليين.
- عدد السكّان بأهم المدن:

- صنعاء: 1510000 نسمة.
- عدن: 560000 نسمة.
- تعز: 183000 نسمة.
- الحديدة: 158330 نسمة.

- نسبة عدد سكّان المدن: 37٪.

- نسبة عدد سكّان الأرياف: 63٪.

- معدل الولادات: 36 , 43 ولادة لكل ألف شخص.

- معدل الوفيات الإجمالي: 58 , 9 لكل ألف شخص.

- معدل وفيات الأطفال: 53 , 38 حالة وفاة لكل ألف طفل.

- نسبة نمو السكّان: 38 , 3٪.

التقسيم الإداري

- المساحة الإجمالية: 527970 كلم^2.

- مساحة الأرض: 527970 كلم^2.

- حدود الدولة الكلية: 1746 كلم، منها 288 كلم مع دولة عمان، و 1458 كلم مع المملكة العربية السعودية.

- طول الشريط الساحلي: 2006 كلم.

- أهم الجبال: السرات، منار، ديمة، وصابور.

- أعلى قمة: جبل النبي شعيب (3860 م).

- أهم الأنهار: وادي مريد، وادي بنا، وادي حضرموت، تبن، حرض، زبيد، الجوف، يلكا، ومور.

- المناخ: معتدل في المرتفعات وحار صيفاً في الصحاري والمناطق الساحلية، بارد في المناطق الصحراوية شتاءً ودافىء في المناطق الساحلية، أمطاره موسمية وتتساقط بعض الثلوج على المرتفعات.

- الطوبوغرافيا: سطح اليمن عبارة عن مناطق جبلية وعرة تحجز سهولاً ساحلية، تقع خلفها هضاب وجبال. وفي الوسط تقع المنطقة الصحراوية التي تمتد حتى داخل شبه الجزيرة العربية.

- الموارد الطبيعية: النفط ومشتقاته، كميات قليلة من الفحم الحجري، النحاس، الذهب، الرصاص النيكل، زيت خام، سمك، رخام، منغنيز، كروم، التربة غنية في غرب البلاد.

- استخدام الأرض: تشكل الأرض الصالحة للزراعة 6٪ من المساحة الكليّة. المحاصيل الدائمة قليلة جداً. تغطي الأراضي الخضراء والمراعي 41٪ من المساحة الإجمالية، الغابات والأحراج 3٪،الأراضي الصخرية والصحراوية والحضرية 54٪. ويُعتبر القطاع الزراعي أكثر القطاعات الاقتصادية استيعاباً للعمالة حيث يستوعب حوالى 54٪ من إجمالي القوى العاملة ومصدر دخل لأكثر من 70٪ من السكان.

- الوحدة النقدية: الريال اليمني = 100 فلس.

- إجمالي الناتج المحلي: 14، 4 بليون دولار أميركي.

- معدل الدخل الفردي: 400 دولار أميركي.

- أهم الصناعات: إنتاج الزيت الخام، تكرير البترول، منسوجات وجلديات، تعدين، إسمنت، تعليب المواد الغذائية، صناعات يدوية وحرفية.

- المنتجات الزراعية: الحبوب، البن، الخضار والفواكه، القات، الكروم، القطن، البلح والموز.

- الثروة الحيوانية: الضأن 3,7 مليون رأس، الماعز 3,2 مليون، الماشية 1,1 مليون.

المساهمة في إجمالي الناتج المحلي

- الزراعة: 15 – 20٪.

- الصناعة (بما فيها النفط): 30 – 40٪.

- التجارة والخدمات: 42٪.

التجارة الخارجية: يتفاوت التبادل التجاري لليمن مع العالم الخارجي سنوياً تبعاً للمتغيرات التي تطرأ في كل عام على كل من الصادرات والواردات. وبشكل عام فقد بلغ المتوسط السنوي لقيمة الصادرات اليمنية 891,5 مليار ريال خلال الفترة 2001-2007. تشكل صادرات النفط أكثر من 90٪ من إجمالي الصادرات اليمنية، يليها الأسماك والمحاصيل الزراعية. كما بلغ المتوسط السنوي

لقيمة الواردات اليمنية خلال الفترة نفسها 4 , 880 مليار ريال. وتأتي واردات ديزل أويل يليه القمح ثم المازوت والبنزين في المرتبة الأولى في قائمة الواردات اليمنية في العام 2007.

ومن بين أهم الدول المصدرة للجمهورية اليمنية:الإمارات - السعودية - الصين - سويسرا - الولايات المتحدة الأميركية - الكويت. ومن أهم الدول المستوردة من الجمهورية اليمنية: الصين – تايلاند – الهند - سويسرا – الإمارات – اليابان (حسب إحصاءات عام 2007).

ومن حيث أهم السلع المصدرة يأتي كل من: النفط - الأسماك - المحاصيل الزراعية، أما من حيث السلع المستوردة فإن أهمها هي: المواد الغذائية - وسائل النقل - المواد الكيماوية والأدوية.

القوى البشرية

بلغ حجم القوى البشرية على مستوى الجمهورية 8،916،188 نسمة؛ الذكور 1 , 50٪، والإناث 9 , 49٪. وتتركز معظم القوى البشرية في الريف حيث تشكل 2 , 71٪، بينما تبلغ في الحضر 8 , 28٪ من إجمالي القوى البشرية.

وتتركز 4 , 34٪ من القوى البشرية في محافظات: تعز/ الحديدة/إب.

- معدل البطالة: 34٪

- معدّل التضخم: 10٪

معلومات أخرى

- دليل الهاتف: 967.

- طرق رئيسية: 15500 كلم.

- المرافىء الهامة: عدن، الحُديدة، الخلف، رأس خطيب، صليف، موشى.

- عدد المطارات: 12.

شكل الحكم

- جمهورية اتحادية تخضع لنظام تعدد الأحزاب.

- الاستقلال: تأسست جمهورية اليمن الحالية في 22 أيار 1990.

- العيد الوطني: يوم إعلان الجمهورية (22 أيار).

- حق التصويت: لمن بلغ 18 سنة.

- الانضمام إلى الأمم المتحدة: 1947.

التقسيمات الطبيعية

يمكن تقسيم اليمن من حيث التكوينات الطبيعية إلى خمس مناطق (جبلية، هضبية، ساحلية، الربع الخالي، الجزر اليمنية).

أ - المناطق الجبلية: تكونت جبال اليمن نتيجة التصدع الأفريقي الذي أحدثه الأخدود وأدى إلى تكوين البحر الأحمر وخليج عدن بمحور شمال جنوب مواز للبحر الأحمر، ومحور غرب شرق مواز لخليج عدن مكونة بذلك ما يشبه حرف L. وتبلغ أعلى قمة في جبل النبي شعيب 3666 متراً، وهي أعلى قمة في الجزيرة العربية والشام، ويقع خط تقسيم المياه في هذه الجبال حيث تنحدر المياه شرقاً وغرباً وجنوباً.

الوديان في المناطق الجبلية:

- وديان تصب في البحر الأحمر: من أبرزها وادي حرض، وادي مور، وادي زبيد.
- وديان تصب في خليج عدن والبحر العربي: من أبرزها وادي تبن، وادي بنا، وادي حضرموت.
- وديان تنحدر شرقاً: منها وادي خب، وادي السد، وادي أذنة، وادي الجوف.

- وديان تنحدر إلى الشمال والشمال الشرقي: منها وادي حريب، وادي رماه، وادي شعيث.

ب - المناطق الهضبية : تقع إلى الشرق والشمال من المرتفعات الجبلية وموازية لها، لكنها تتسع أكثر باتجاه الربع الخالي وتبدأ بالانخفاض التدريجي، ويبلغ أقصى ارتفاع لها 1000 متر؛ وهي تشمل: صعدة، الجوف، شبوة، حضرموت، والمهرة. وتتداخل أطراف هذه المنطقة من الناحية الشمالية بالربع الخالي.

ج - المناطق الساحلية : وتشمل السهول الساحلية المطلة على البحر الأحمر وخليج عدن والبحر العربي، وهي متصلة ببعضها البعض مكونة شريطاً ساحلياً. وتمتد من الحدود العُمانية باتجاه جنوب غرب إلى باب المندب ويتغير الاتجاه شمالاً حتى حدود السعودية ويبلغ طولها 2000 كم تقريباً ويتراوح عرض هذه المنطقة بين 30 و60 كيلومتراً.

د - منطقة الربع الخالي: وهي من المناطق الصحراوية اليمنية. كما تنتشر الشقق في أجزاء من الربع الخالي مثل شقة الخريطة والمعاطيف... الخ. وتشكل تجمعات الوديان الموسمية واحات واسعة صالحة للرعي، ولا يزال يسكنها البدو الرحل.

هـ - مجموعة الجزر اليمنية: تنتشر في المياه الإقليمية لليمن في البحر الأحمر والبحر العربي، ولها مناخها وطقسها وبيئتها الخاصة ولها تضاريسها وتكويناتها الطبيعية، وتتركز أكثرها في البحر الأحمر موزَّعة على محاذاة الشاطئ اليمني أهمها وأكبرها جزيرة كمران المأهولة بالسكان، أما جزيرة ميون (بريم) فلها أهميتها الخاصة التي تكمن في موقعها الاستراتيجي المتحكم في مضيق باب المندب. أما الجزر اليمنية في البحر العربي فتتواجد متقاربة من بعضها؛ أشهرها جزيرة سقطرى، التي توجد بالقرب منها مجموعة جزر صغيرة أهمها جزيرة عبد الكوري، جزيرة الأخوين (سمحة ودرسة).

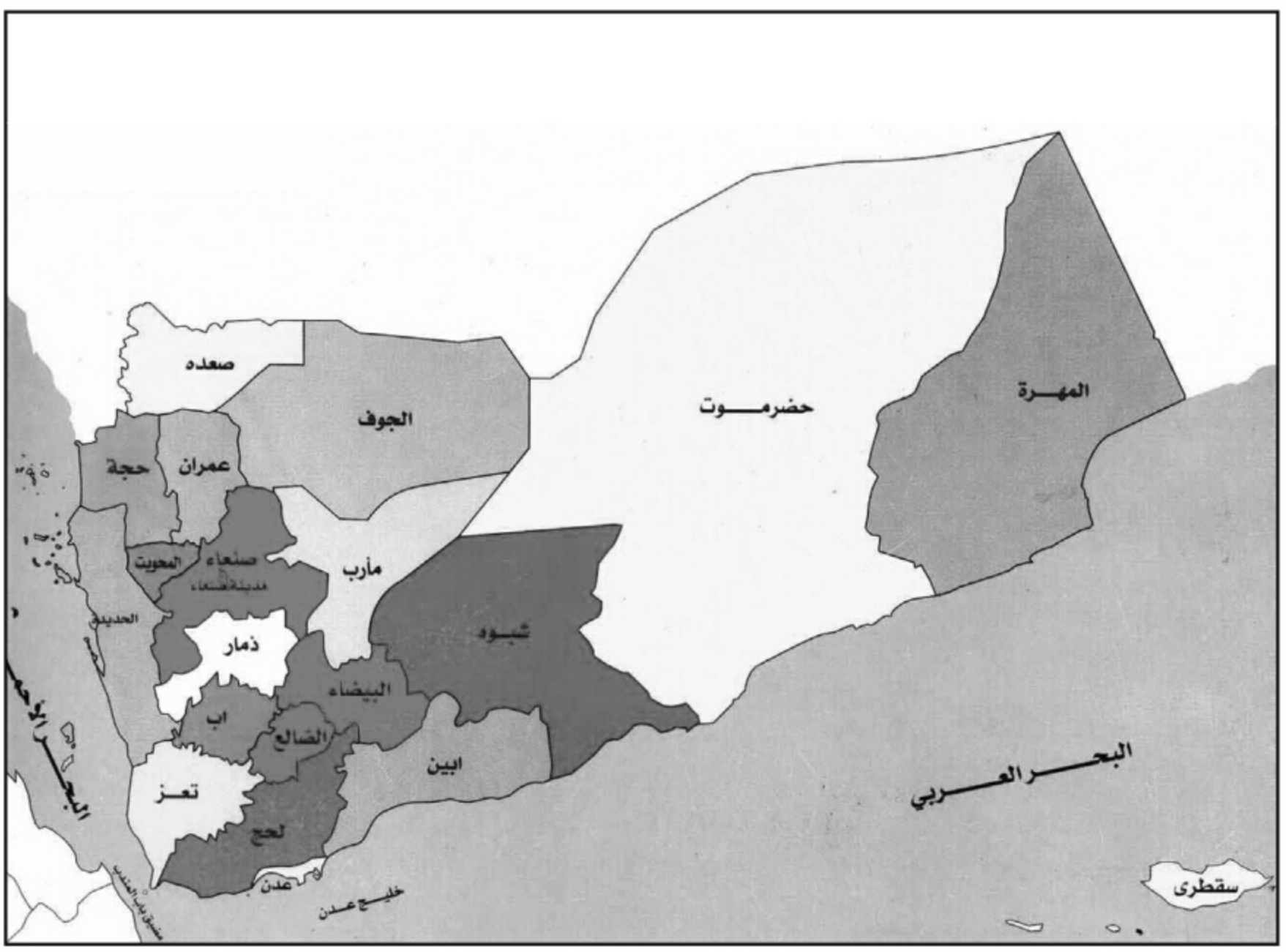

لمحة عن التاريخ السياسي لليمن(*)

(*) مراجع هذا القسم عن التاريخ السياسي لليمن:

- رشيد الجميلي: تاريخ العرب في الجاهلية وعصر الدعوة الإسلامية (بغداد: مطبعة الرصافي، الطبعة الثانية، 1976).
- السيد عبد العزيز سالم، تاريخ العرب قبل الإسلام (الإسكندرية: مؤسسة شباب الجامعة للطباعة والنشر والتوزيع، 1997).
- المستشرق اغناطيوس غويدي، محاضرات في تاريخ اليمن والجزيره العربيه قبل الإسلام، ترجمة ابراهيم السامرائي (بيروت: دار الحداثة، 1986).=

العرب العاربة يمان

بغض النظر عن الألفاظ العديدة والمختلفة لكلمة «العرب» والتي وردت في الوثائق الآشورية والبابلية واليونانية واللاتنية، فإن المؤرخين العرب يتفقون على تقسيم «العرب» إلى ثلاث طبقات:

- العرب البائدة: ويقصد بها الشعوب العربية القديمة التي كانت تسكن الجزيرة.

- العرب العاربة: وهم عرب الجنوب، وينسبون إلى قحطان بن عابر بن شالخ بن أرفكشاد بن سام بن نوح، وكان موطنهم اليمن.

- العرب المستعربة: وهم عرب الشمال، ويقال لهم: العدنانيون، أو النزاريون، ويُنسبون إلى عدنان بن أدد، من ولد ثابت

- تاج الدين أبو المحاسن عبد الباقي بن عبد المجيد بن عبد الله القرشي اليماني، تاريخ اليمن المسمي بهجه الزمن في تاريخ اليمن، تحقيق مصطفي حجازي (صنعاء: دار الكلمة، 1985).
- إدجار أوبالانس، اليمن- الثورة والحرب حتى عام 1970، ترجمة وتعليق عبد الخالق محمد لاشيد (القاهرة: مكتبة مدبولي، ط2، 1990).
- مجموعة من المؤلفين السوفيات، تاريخ اليمن المعاصر 1917-1982، ترجمة محمد علي عبد الله البحر (القاهرة: مكتبة مدبولي، 1982).
- مركز الدراسات والبحوث اليمني: ثورة 26 سبتمبر- شهادات للتاريخ، 3 كتب (صنعاء، 1993).
- جمال سند السويدي؛ مايكل هدسون؛ بول دريش؛ تشارلز دنبار؛ روبرت بوروز؛ مارك كاتز، حرب اليمن 1994... الأسباب والنتائج (أبو ظبي: مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية، 1995).
- أيمن فؤاد سيد، مصادر تاريخ اليمن في العصر الإسلامي (القاهرة: المعهد العلمي الفرنسي للآثارالشرقية، 1974).
- أيلينا جولوفكايا، التطور السياسي للجمهورية العربية اليمنية 1962- 1985، ترجمة محمد علي عبد الله البحر (صنعاء: مركز الدراسات والبحوث اليمني، 1994).
- محمد يحيى الحداد: تاريخ اليمن السياسي (دار التنوير للطباعة والنشر، 1986، في جزأين).

بن الهميسع بن تيمن بن نبت بن قيدر بن إسماعيل بن إبراهيم عليه السلام، كما يذكر المسعودي في كتابه «مروج الذهب».

قراءة في تاريخ اليمن ما قبل الإسلام

اليمن، وتعني أرض الجنوب والمرادف للشام أرض الشمال، ويقال إن تسميتها جاءت من اليُمن والبركة (أرض الجنتين قديماً). وهناك قول آخر إن الاسم جاء لوقوعها على يمين الكعبة. لليمن تاريخ عريق حيث كانت موطناً لبعض أقدم الحضارات في العالم ومنها خرجت أهم الحضارات واستوطنت دولاً مثل العراق وبلاد الشام ومصر وشمال أفريقيا، وهي الهجرات الإنسانية القديمة. كما هاجر اليمنيون بعد انهيار سد مأرب لدول الجوار. ومنها قبيلة عاملة التي استوطنت جنوب لبنان فعرف باسمها «جبل عاملة أو عامل».

ويقال بأن اليمن هي أرض سام بن نوح.

في القرنين الثاني والأول قبل الميلاد، كان في اليمن خمس دول في آن واحد، هي سبأن وقتبان، ومعين، وحضرموت، وحِميَر، أصبحت عواصمها باستثناء حِميَر أشبه ما تكون بدول مدن القوافل التي يخضع ازدهارها وسقوطها للأوضاع التجارية والأطماع السياسية، كما حدث للبتراء ولتدمر والحضر فى شمال الجزيرة. وتمكن البطالمة الذين كانوا يحكمون مصر آنذاك من السيطرة على طرق التجارة بحراً دون وساطة اليمنيين الذين كانوا يسيطرون على طريق اللبان البري. تحول النشاط التجاري بين حوض البحر المتوسط وحوض المحيط الهندي

تدريجياً من الطريق البري إلى الطريق البحري، فبدأ يخف عطاء الطريق البري وتأثرت به الدول اليمنية القديمة كثيراً، مما أضعف من قوتها وأنقص هيبتها، فطمع بها الناس دولاً وقبائل، فكانت حملة أليوس جالوس الرومانية التي أخفقت عند أسوار مأرب عام 224 ق.م في محاولة للسيطرة على الطريق البري والاستيلاء على بلاد اللبان.

كما طمعت القبائل البدوية المنتقلة في الصحراء بحواضر الدول اليمنية ومحطاتها التجارية، خاصة بعد أن تضرر أهل البادية أنفسهم، نتيجة نقص مواردهم التي كانوا يجنونها من الطريق، كجمَّالين أو حماة قوافل، فكانوا يهاجمون المحطات والمدن كلما مسَّهم جوع وآنسوا من تلك المدن ضعفاً؛ ساعدهم على ذلك اتخاذهم الخيل سلاحاً فعالاً في غزواتهم حيث كانوا ينقضون بسرعة وقوة على ثغور تلك الدول ثم يعودون فارين إلى قلب الصحراء، مما أجبر الكثيرين من سكان الوديان على أطراف الصحراء إلى هجر ديارهم والاحتماء بالمرتفعات في الداخل.

وقد ساعد هذا الوضع على نمو قوة جديدة هي حِميَر التي حاولت الاستفادة من انتعاش الملاحة والتجارة على البحر الأحمر، فأقامت لها موانئ عليه وبنت لها أسطولاً، وكانت حِميَر آخر دول اليمن القديم ظهوراً، ويرجح أن ذلك اقترن ببداية التقويم المعروف بالتقويم الحِميَري الذي يبدأ حوالى 115 ق.م.

مملكة حِميَر (115 ق.م - 599م): قامت في اليمن في القرن الثاني قبل الميلاد على أنقاض الممالك القديمة مثل مملكة قتبان وسبأ وحضرموت وأوسان. ومن أشهر ملوكها سيف بن ذي يزن، الذي حرر اليمن من حكم الأحباش بمساعدة الفرس. وقد اعتنق الحِميَريون الديانة اليهودية وأعلنوها ديانة البلاد الرسمية واضطهدوا المسيحيين. واشتهر في ذلك الملك ذو النواس الحِميَري الذي اضطهد نصارى نجران. عندما نقل الحِميَريون عاصمتهم إلى ريدان أصبحوا يلقبون أنفسهم ملوك سبأ وذي ريدان.

وقبائل حِميَر عربية ترجع لقحطان، سكنوا اليمن، ومن أقسامها: قضاعة، وجهينة، وإيلاف سيبان، وبنو كلب.

اتخذ الحِميَرون ظفار عاصمة لمملكتهم بعد سقوط مملكة سبأ. وبعد موت سيف بن ذي يزن تفرقت حِميَر في ملكهم إلى ثمانية بيوت حِميَرية، كانت تتصارع على الملك بفترات كثيرة من التاريخ اليمني، ثم عادت إلى السطوة والسلطة ولكن ليس على اليمن كاملاً، وبدويلات وسلطنات متعددة. ومن أشهر القبائل الحِميَرية الباقية إلى يومنا قبائل إيلاف سيبان وقبائل يافع وقبيلة الحِميَري التي تسكن في الحجاز بالقرب من مكة المكرمة.

وفي الربع الأخير من القرن الثالث للميلاد انتهت حضرموت كدولة على يد شَمّر يهرعش بن ياسر يهنعم، وهو الملك الذي تنسب إليه الأخبار كثيراً من البطولات والأمجاد، بل هو من أبرز الشخصيات

الملحمية في قصص أهل اليمن. وقد استطاع هذا الملك أن يوحِّد الكيانين السياسيين الباقيين وهما سبأ وحِميَر في كيان واحد، وأقام حكماً مركزياً قوياً وحمل لقب «ملك سبأ وذي ريدان وحضرموت ويمانة»؛ وانتهت مأرب كعاصمة وحلت محلها ظفار. وقد عرفت هذه الفترة التي تبدأ بتوحيد المناطق اليمنية في وطن واحد وسلطة مركزية واحدة عاصمتها ظفار، بفترة حِميَر، وهي الفترة التي بقيت ذكراها عالقة في أذهان الناس، وتناقل الرواة أخبارها قبل الإسلام أكثر من أية فترة سابقة في تاريخ اليمن القديم.

ويذكر نقش يمني أن عامل شَمّر يهرعش في صعدة، ريمان ذو حزفر، اشترك في عدة حملات وجهها شمالاً، ثم استمر غازياً، أو في سرية حتى بلغ أرض تنوخ، وتنوخ هو اتحاد القبائل العربية الذي كان أساس ما عرف بعد ذلك بدولة اللخميين في الحيرة؛ ويبدو أن امرؤ القيس بن عمرو، من مؤسسي تلك الدولة، كان ممن وقف في سبيل تلك الحملة اليمنية. ويذكر نقش النمارة الذي عُثر عليه على قبر امرئ القيس أنه قام بحملات عسكرية باتجاه جنوب الجزيرة بلغت نجران مدينة شمر. ويشهد نقش عامل شمر يهرعش على أن كل شبه الجزيرة العربية كانت امتداداً حيوياً للدولة اليمنية حيث لا حدود إلا حدود القوة والتمكن، ويؤكد ذلك أيضاً الحملات العسكرية المظفرة التي شنها خلفاء شمر يهرعش في منتصف القرن الرابع الميلادي في نجد والبحرين على الساحل الغربي للخليج العربي/الفارسي.

وقد كشفت الدولة الساسانية عن أطماعها في جزيرة العرب من خلال غزوات سابور ذي الأكتاف التي فصَّلها الطبري في تاريخه، ويعتقد أنها حدثت في هذه الفترة نفسها. وفي نقش يمني آخر عثر عليه في عَبَدان منذ عهد قريب يدون أقيال حِميَر من الأيزون أخبار حملتهم العسكرية في منتصف القرن الرابع الميلادي وتمثل هذه الحملات اندفاع الحِميَريين نحو الشمال بعد الأحداث السابقة بزمن يسير؛ وأهم حملات الحِميَريين التي يذكرها النقش هي تلك التي بلغت مناطق اليمامة والبحرين شرق الجزيرة وأرض الأزد، أزد عمان ومناطق قبائل معد ونزار وغسان.

وفي مطلع القرن الخامس الميلادي تولى الحكم أبو كرب أسعد بن ملكي كرب يهأمن المشهور بأسعد الكامل. ويعكس لقبه سعة نفوذ دولة حِميَر في عهده، داخل شبه الجزيرة العربية، فهو ملك سبأ وذي ريدان وحضرموت ويمانة وأعرابهم طوداً وتهامة. أما الطود فهو الحجاز كما يذكر ابن المجاور، وتهامة هي كل الساحل الشرقي للبحر الأحمر؛ أي أن جميع الأعراب وهم القبائل البدوية في المشرق والحجاز وتهامة خضعت لحكمه. وكان اتحاد كندة في وسط الجزيرة مملكة تابعة له أيضاً، بل هناك من المؤرخين من يرى أن هذا الملك وهو يضيف إلى لقبه أنه ملك الأعراب في الطود والتهائم، إنما أراد أن يقول إنه أصبح ملكاً للجزيرة العربية كلها. وفي وادي مأسل الجُمّح بنجد قرب الدّاودمي، عثر على نقش باسم أبى كرب أسعد، يذكر أنه حل غازياً مع ابنه حسّان يهأمن في أرض معد وذلك يوافق ما ورد في

كتب التاريخ والأخبار. كما تروي الأخبار أنه مر بيثرب المدينة واعتنق الديانة اليهودية، ومر بمكة وكسا الكعبة المشرفة. والمعروف أنه لم يعثر على نقوش وثنية من عهده وعهد من خلفه، وكانت قبل ذلك كثيرة الانتشار؛ ويقال إن الناس في اليمن بدأوا يهجرون عبادة الأصنام، فمنهم من دخل اليهودية ومنهم من دخل النصرانية، ومنهم من بقي على وثنيته. ويرى أهل العلم أن أسعد الكامل هذا هو المشار إليه بقوله تعالى ﴿أَهُمْ خَيْرٌ أَمْ قَوْمُ تُبَّعٍ﴾ (الدخان: 37). وقد ارتبط بذكر أبى كرب أسعد كثير من الأخبار والأقاصيص التي شكلت في مجملها ملحمة تاريخية ممجدة أعماله وفتوحاته داخل اليمن وخارجه، وينسبون إليه عدداً من المدن التاريخية اليمنية مثل ظفار وبينون وغيمان وخمر وغيرها. وما زال الناس إلى اليوم ينسبون إليه الكثير من بقايا الآثار القديمة مثل «السدود» و«الجروف» و«الكرواف» والطرق وغيرها، بل إن كل ما تقادم العهد عليه، فهو عند بعضهم أسعدي، كقولهم عادي أو من صنعة قوم عاد لكل ما هو قديم عامة.

اليهودية في اليمن قبل الإسلام

كانت الجزيرة العربية قد غطاها التدين الشامل بالوثنية وعبادة الأصنام نظراً لاحتكاك والتقاء سكانها بمن حولهم. وقد دخلت اليهودية إلى كثير من أقطارها إما بهجرة اليهود إلى بعض الأماكن فيها، هرباً من اضطهاد الرومان لهم، وإما بتأثر بعض ملوكها بالديانة اليهودية واعتناقها والدعوة إليها لأفراد شعبه الذين تبعوه باعتناقها. ويذكر المؤرخون أن اليهودية تسللت إلى جنوب الجزيرة العربية، لكنهم

اختلفوا في سبب دخولها. وقد ذكروا أن اليمن كانت كغيرها من قبائل العرب تدين بالوثنية وتعبد الأصنام حتى زمن تباع أسعد أبو كرب و«تباع» هو لقب لكل ملك حِميَري، حيث تذكر روايات أسطورية، اللّه أعلم بصحتها، عن دخول ملك حِميَري دين اليهودية. وقد سجل ابن إسحاق في كتاب التيجان هذه الأساطير، وعنه دونها الإمام ابن جرير الطبري في كتابه تاريخ الملوك. وإنما هي من الأخبار عن الماضين التي ينقصها الشهادة القاطعة من النصوص القطعية؛ فهي حكايات يرويها الناس وربما زادوا وحبكوا حولها الهالات. بيد أنه من الثابت تاريخياً أن اليهودية كانت منتشرة في أصقاع من الجزيرة العربية ومنها يثرب ودومة الجندل، واليمن بشكل واسع؛ وكان يوجد في تلك المواقع أحبار من اليهود، وقد دخلوا إلى اليمن خاصة، فنشروا فيه ديانتهم كما تحدث عن ذلك اليعقوبي في تاريخه. وذكر ابن قتيبة في حديثه عن أديان العرب في الجاهلية أن اليهودية كانت في حِميَر وبني كنانة وبني الحارث بن كعب وكندة وبعض قضاعة. وذكر نفس الأمر ابن حزم الأندلسي الظاهري في جمهرة أنساب العرب عند حديثه عن نفس الموضوع، وبالمثل ياقوت الحموي في معجمه.

أما صاعد البغدادي الأندلسي، صاحب المصنفات، فقد ذكر مجموعة من القبائل التي تسربت إليها اليهودية مثل حِميَر وبني كنانة وبنى الحارث بن كعب وكندة. وذكرت مصادر أخرى أن اليهودية وجدت في بعض الأوس من قبائل الأنصار، وبني نمير وبعض غسان وبعض جذام.

وفي المؤرخين من يعتقِد أن يهود العربية جميعاً أصلُهم عربي، مُعلّلين ذلك بأن يهود الجزيرة العربية لا يفترقون عن بقية القبائل العربية في العادات والتقاليد في شيء، حتى أشعارهم لا تتبدى بها إلا الطبيعة العربية الخالصة؛ ويضرِبون المثل على ذلك بشعر السموأل بن عادياء. فالسموأل يذكر في لاميته المعروفة أنه من بني الديان؛ وقد ذكر القلقشندي في نهاية الأرب نسب بني الديان كالتالي: بنو الدَيَّان -بفتح الدال المهملة وتشديد الياء المثناة تحت ونون في الآخرة، بطن من بني الحارث بن كعب من القحطانية وهم بنو الديان واسمه يزيد بن قطن بن زيادة الحارث بن كعب بن الحارث بن كعب. وقال في العِبر: وكان لهم الرئاسة بنجران من اليمن والمُلك على العرب بها وكان المَلك منهم في عبد المدان بن الديان وانتهى قبل البعثة إلى يزيد بن عبد المدان، ووفد أخوه على النبي على يد خالد بن الوليد. وقال ابن سعيد: ولم يزل الملك بنجران في بني عبد المدان ثم في بني أبي الجود منهم ثم انتقل إلى الأعاجم الآن. وقال أبو عبيدة: ومن بني عبد المدان هؤلاء الربيع بن زياد أمير خراسان في زمن معاوية، وشداد بن الحارث الذي يقول فيه الشاعر:

يا ليتنا عند شدادٍ فينجزنا ويذهب الفقر عنا سيبة الغدق

(انتهى ما ذكره القلقشندي).

وعند المؤرخين والأحبار اليهود أن يهود اليمن (عبرية: تيمانيم، مفردها: تيماني) هم اليهود الذين عاشوا وانحدروا من اليمن (عبرية: أي أقصى الجنوب)، أو من المناطق التي تقع في جنوب غرب الجزيرة العربية.

وقد بقيت اليهودية حتى بعد مجيء الإسلام حيث دخل بعضهم الإسلام وبقي بعضهم على اليهودية. ويمتاز يهود اليمن عن غيرهم من أهل اليمن بأنهم لا يضعون الخنجر اليمني الشهير «الجنبية» ويعود ذلك إلى أنهم يُعتبرون «أهل ذمة»، فلا يصح لهم أن يتسلحوا، فتوارثوا هذه العادة عبر الأجيال رغم أنهم أمهر من يصنع الخناجر. ويعتبر اليهود اليمنيون من أكثر الطوائف تمسكاً بتعاليم التوراة، ويختلفون في مذهبهم عن سائر اليهود السفارديين والمزراحيين، ويمكن عدهم من فئة الأورثوذوكس من حيث تمسكهم بالتلمود. ويتكلم اليهود اليمنيون العربية كلغة دائمة والعبرية كلغة دينية، ويتميزون في لغتهم العبرية بإضافة الأحرف العربية مثل الثاء والجيم والطاء والظاء والصاد والضاد والذال والغين، وذلك بإضافة نقط للحروف العبرية ولا ينطق بها سواهم من غيرهم من اليهود. كما يُعرف اليهود اليمنيون بجمال تلاوتهم للتوراة من حيث النطق السليم للحروف العبرية إضافة للحن اليمني الذي يضفونه على تلاوتهم، كما أنهم يقرأون التوراة بالعبرية والأرامية والعربية ويستخدمون الأحرف العبرية فى الثلاث.

عندما سطعت شمس الإسلام كان معظم حِميَر وكندة في جنوب الجزيرة يوجد فيهما معظم اليهود، وإن كان يوجد بعضهم أيضاً

أوزاعاً في القبائل المختلفة في جنوب الجزيرة ونجد ودومة الجندل؛ وقد اشتهر وجودهم كذلك في يثرب وما حولها كخيبر وبعض الواحات الخصبة التي عرف عنهم السيطرة على مصادر الثروات الاقتصادية وأماكن الإنتاج في كل بلد نزلوه. وقد ذكر المؤرخون وجود يهود في مأرب وفي حضرموت وفي قبائل بني الحارث وفي قبائل نجد، وبعض قبائل الشمال والشرق.

وقد ذكر أهل التاريخ والسير، أن اليهودية انتعشت عند دخول الفرس إلى اليمن وخروج الحبشة منها، لأن الحبشة يدينون بالنصرانية. ولا يغيب عن المتابع لتاريخ الديانتين استحكام الصراع بينهما، وقد سجل طبيعة الصراع بين الديانتين في كتابه العزيز فقال تعالى سبحانه: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَى عَلَىَ شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصَارَى لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ﴾ (البقرة: 113). والقارئ لتاريخ اليمن يدرك أن دخول الفرس وخروج الحبشة كان لصالح الديانة اليهودية، وذلك أنهم صاروا تحت حكم سياسي لا يحقد عليهم، ولا يهتم بأمر اليهود لعدم وجود احتكاك عسكري لليهود مع الفرس كما هو الحال مع الروم التي تدين بالنصرانية، ومن هنا ربما أن الفرس ساعدوا اليهود لكونهم كانوا في عداء مع الروم.

ومن المؤكد تاريخياً أنهم وجدوا انتعاشاً في ظل القيادة الفارسية. فقد كان لأحبارهم الذين يتداولون كتبهم وتعاليمهم أهمية كبرى، وشهرة عالية عند العرب قاطبة. وقد كانت العرب يختلفون إلى مجالسهم ويسمعون منهم، حتى أن أبا سفيان بن حرب

علم بظهور الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) وهو في مجلس أحد أحبار يهود اليمن.

ومما يدل على العلاقة الوطيدة بين اليهود والفرس أن أكابر الرهبان كوهَب بن منبه، أو همام بن منبه، أو كعب الأحبار، وغيرهم، كانوا في حاضرة مملكة اليمن –صنعاء– على قدم وساق، ولهم ظهور وشأن قبل الإسلام ولهم شهرة واسعة في الجزيرة. وهذا التاريخ يحدثنا أن قريشاً قد استعانت بأحد أحبار اليهود في اليمن لقراءة ما وجدوه من كتاب في أساس إبراهيم للكعبة عندما أرادت قريش بناءها.

كما أن قريشاً عندما بُعث رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) واحتدمت المواجهة مع قريش أرسلوا إلى أحبار يهود يثرب يستطلعونهم الخبر، وأن الأحبار لقنوهم أسئلة يوجهونها إليه، وأخبروهم بالموقف الحقيقي في إجابته لهم على تلك الأسئلة التي تحدث عنها القرآن في سورة الكهف في خبر أصحاب الكهف وخبر ذي القرنين.

الخلاصة أن الديانة اليهودية كانت منتشرة في الجزيرة العربية التي اعتنقت اليهودية كردّ فعل على ممارسات أتباع الديانة النصرانية ضدهم من الاضطهاد والإرهاب. وظهرت الدعوة الإسلامية واليهودية في أوج مجدها وعزها، تعود إليها القبائل العربية في كثير من أمورهم الدينية والاقتصادية.

المسيحية في اليمن قبل الإسلام

إذا انحدرنا من طور سيناء إلى أطراف جزيرة العرب في جنوبها الشرقي حيث عسير مهر وحضرموت والشحر وغيرها مما يؤلف بلاد اليمن، فإننا سنجد شواهد جليلة على دخول المسيحية في اليمن منذ القرون الأولى لتاريخ الميلاد. ومما يستدل إليه من تواريخ العرب كالطبري، والسيرة لابن هشام، والمسعودي، أن النصرانية واليهودية أخذتا في النزاع والمخاصمة في اليمن منذ أواسط القرن الثالث للمسيح. ومن الآثار التاريخية اليونانية عن نفوذ النصرانية في اليمن ما رواه المؤرخ الأريوسي فيلوسترجيوس (أواخر القرن الرابع وأوائل الخامس)، ودافع فيه عن أعمال الأريوسيين.

ومن أعظم الشواهد العربية على دخول النصرانية في اليمن ما رواه الطبري في تاريخه، وياقوت في «معجم البلدان» وابن خلدون في تاريخه، وابن هشام وغيرهم: من أن أهل نجران تنصروا جميعهم؛ وذكروا النبأ في قصة طويلة خلاصتها أن رجلاً من بقية أصحاب الحواريين، يقال له فيميون (وقالوا فيمون)، كان من أفضل الناس عبادة، وكان سائحاً تجري على يديه الكرامات والمعجزات، ووصل في سياحته إلى بلاد غسّان فتبعه رجل من أهل الشام اسمه صالح، فتوغلا في بلاد العرب ثم اختطفتهما سيارة وباعوهما بنجران، وأهلها حينئذ من بني الحارث من كعب المنتمين إلى كهلان يعبدون العزّى على صورة نخلة. فأوقف فيميون سيده على بطلان الشرك بما صنع لديه

من الآيات ولاسيما إذ دعا ربه في يوم عيد العزّى فأرسل اللّٰه ريحاً جعف النخلة من أصلها، فعرف أهل نجران صحة دينه، وجعل فيميون عليهم رئيساً أحد أشرافهم ويدعى عبد اللّٰه بن التامر، كما رعاهم أسقف كان يدعى بولس. وأقام أهل نجران على دين المسيح حتى دعاهم إلى اليهودية أحد ملوكهم واسمه (ذو نواس)، فأبى النجرانيون اتباعه، وكان رئيسهم إذ ذاك الحارث، واستعدوا للدفاع عن بلدهم، إلا أن ذي نواس دخله بالمكر وحفر أخاديد، أشار اليها البيان القرآني، فأضرمها ناراً وألقى فيها، على ما روى ابن إسحق، عشرين ألفاً من النصارى أو يزيدون ماتوا في سبيل إيمانهم مع الحارث رئيسهم.

ولا شك أن النصرانية في مدة ملك الحبشة على اليمن بلغت أقصى النجاح. فقد جعلت الحبشة من نجران قبلة للنصرانية بعد أن اصطبغت بدماء أهلها، فأقاموا فيها مزاراً كان العرب يقصدونه من كل صوب، وأسموه «كعبة نجران» أو كعبة اليمن.

ولكن هل كانت المسيحية في اليمن مستقيمة خالية من البدع؟ يرجح أن إيمانهم كان في أول الأمر كاثوليكياً يوافق تعليم المجامع الأربعة الأولى، إنما يظهر أن بدعة «أوطيخا» سرت إلى اليمن لأن الحبشة في القرن السادس جنحوا إلى تعاليم اليعاقبة القائلين بالطبيعة الواحدة (الإلهية) للسيد المسيح، وهي البدعة التي أدانها مجمع خلقيدونية (451م). وعندما انتزع العجم اليمن من الحبش حافظت على نصرانيتها. وأما

القول بأن سيف بن ذي يزن كان يهودياً فإنه مغلوط؛ فمن الثابت أنه لاذ بقيصر ملك الروم النصراني ولو كان يهودياً كذي نواس لما جرؤ على ذلك.

ويعتقد الأب لويس شيخو أن نساطرة العراق انتهزوا فرصة دخول الفرس في اليمن ليعززوا بدعتهم فيها. وفي كتاب الأغاني أن عشرة من أساقفة نجران وفدوا على نبي المسلمين محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) وجادلوه، فدعاهم إلى المباهلة، ولعل منهم من كان نسطورياً وكان حينئذ رئيساً على نجران، فأُعطي الأمان هو وقومه.

ودخلت النصرانية مع الحبش إلى حضرموت، علماً أن قسماً كبيراً من كندة كان يسكن في حضرموت، والنصرانية كانت الديانة الغالبة على كندة كما هو معلوم. كذلك دخلت النصرانية إلى عُمان بواسطة دعاة أتوها من العراق، ومن أسماء أساقفتها المذكورة في التواريخ الكلدانية: يوحنان (424م)، وداوود (544م)، وشمويل (576م)، وأسطفان (676م). وفي جملة الرسائل التي بعث بها النبي عليه السلام إلى الملوك، رسالة وجهها إلى ملك عُمان النصراني المسمى جيفر بن الجلندي.

وأهل البحرين في الجاهلية هم من بني عبد القيس، وكانت «عبد القيس» إحدى القبائل المعروفة بنصرانيتها. وكان للنساطرة في بلاد البحرين أساقفة وخصوصاً في قطر التي كانوا يسمونها «بيت قطرايا». وقد ثبت هؤلاء النصارى على

دينهم بعد الإسلام، كما يظهر من مجمع نسطوري عقد سنة 57 للهجرة (676 م). وكان على قطر إذ ذاك أسقف اسمه توما. ومن مدن الأحساء بلدة اسمها «الخط» وتنسب إليها الرماح الخطية وكان الفرس يدعونها: «بيت أزدشير»، وكان للنساطرة فيها كنائس، ويذكر من أساقفتها إسحق (576م) وشاهين (676م). واليمامة التي تقع بين الأحساء شرقاً والحجاز غرباً كان معظم سكانها قبل الإسلام من بني حنيفة ممن يشهد المؤرخون المسلمون على نصرانيتهم.

اليمن في تاريخ الإسلام

لا شك في أن أصداء دعوة الإسلام (وبسبب العنت الكبير الذي لاقاه رسول الله من قومه قريش) قد وصلت في ما وصلت إلى اليمن التي كانت في تلك الأثناء منقسمة ومجزأة بين قوى قبلية، هي حِميَر وحضرموت وكندة وهمدان، وبين حكم فارسي في صنعاء وعدن وما حولها، وبين جيب في نجران للنفوذ الروماني الحبشي، وهو الجيب الذي كان فيه نصارى نجران هناك. وقد انتشرت دعوة الإسلام بسرعة كبيرة في عهد الرسول حينما أرسل علي بن أبي طالب ومعاذ بن جبل إلى اليمن لدعوة أهله إلى الدين الجديد.

وقد بدأ أفراد من قبائل مختلفة كالأشاعر ودوس وهمدان والأزد يستجيبون لهذا الدين وينشطون للدعوة له. لكن مجموع أهل اليمن دخل الإسلام بين العام السادس للهجرة وعام الوفود في السنة

العاشرة، وبعد جهد دعوي سلمي في معظم جهات اليمن وهي مناطق حِميَر وكندة وحضرموت ومناطق الحكام من الفرس في صنعاء، وجهد آخر عسكري في الجهات الشمالية من تهامة وتلك التي يقطنها بدو غير مستقرين، وهم الذين وجهت إليهم سرايا لهدم صنم أو لقتال من بقي منهم على الشرك. وكللت تلك الجهود باستجابة أهل اليمن إلى الإسلام، باستثناء نصارى نجران. وتشير الكتب التي عاد بها من ذهب إلى المدينة ليعلن إسلامه إلى أنه قد نظر إلى جماعة المسلمين كقوة نامية يمكن الاحتماء بها. فقد حملت تلك الكتب إقراراً من الرسول لهؤلاء وهؤلاء بما ادعوه من ملكيات هنا وهناك أو لما أدعوه من زعامات على هذه الجهة أو تلك.

بدخول أهل اليمن في الإسلام يبدأ عصر جديد هو عصر الانتماء إلى أمة الإسلام التي-وإن اعترفت بالحدود والقوميات- إلا أنها تشمل جميع المسلمين حيثما وجدوا. وبهذا الانتماء، كان لابد من علاقة جديدة بالمدينة، مدينة الرسول، التي أخذت فيها نواة الدولة الإسلامية تتبلور لتشكل عاصمة لديار الإسلام، فأرسل الرسول من قبله ولاةً على بعض جهات اليمن وثبت بعض قياداتها القبلية على ما هي عليه، وأعاد تنظيم الأوضاع القبلية برئاسات قديمة وجديدة، وربط كل ذلك بالواجبات الإسلامية التي ينبغي أن تدفع إلى المدينة من قبل المسلمين وغير المسلمين، بعد أن قسم اليمن إدارياً إلى مخاليف ثلاثة هي الجند وصنعاء وحضرموت. وأصبح اليمن جزءاً من الدولة الإسلامية منذ عهد الرسول، حيث عين عدداً من العمال عليه

وكان علي بن أبي طالب أولهم، ومعاذ بن جبل، وأبو موسى الأشعري، وسعيد بن لبيد الأنصاري، والبراء بن عازب، وخالد بن الوليد، ووبر بن يحنس، وآخرون غيرهم. وكان الرسول قد أمر عامله، وبر بن يحنس، ببناء جامع صنعاء الذي سمي الجامع الكبير. ولم تنقطع تبعية اليمن للدولة الإسلامية طوال فترة الخلفاء الراشدين وفترة بني أمية، غير أن اليمن انفصل مبكراً عن الدولة العباسية ونشأت به خلال تلك الفترة إمارات إسلامية مستقلة. إلا أن تلك الفترة الانفصالية لم تستمر، فقد أرسل الخليفة العباسي المأمون بن هارون الرشيد حملة عسكرية ناجحة لإعادة اليمن إلى الدولة العباسية.

اليمن تحت الحكم العباسي

حتى أوائل القرن الثالث الهجري كانت اليمن ولاية تابعة للدولة العباسية مباشرة. وقد عانت مثل غيرها من بقاع العالم الإسلامي من المجابهات الدموية بين العباسيين والمعارضة الثورية من بني عمومتهم العلويين الذين قاموا بثورات متكررة للإطاحة بحكم بني العباس. وقد عيّن المأمون السيد إبراهيم بن موسى الكاظم والياً رسمياً على اليمن في نفس الوقت الذي عيّن فيه الإمام علي بن موسى، الملقب بعلي الرضا، ولياً للعهد، ولبس المأمون يومها اللون الأخضر شعار العلويين. وقد أدت هذه الخطوة (المختلَف على تفسير دوافعها بين المؤرخين) إلى ردود أفعال عند باقي العباسيين وأعوانهم من الخراسانية في بغداد، انتهت بعزل المأمون عن منصبه وتعيين عمه

إبراهيم بن المهدي خليفة بدلاً عنه. ولما تدارك المأمون موقفه بموت علي الرضا عاد إلى بغداد عباسياً بلونه الأسود. هذا الاضطراب الذي شهدته بغداد شهدته كذلك اليمن، أولاً لتثبيت سلطة إبراهيم (بن موسى الكاظم) الشرعية، ثم لعزله وإقصائه بعد انقلاب المأمون على العلويين.

هذه الأحداث التي وقعت مطلع القرن الثالث الهجري غذَّت القوى المحلية برغبات في الانفصال عن الخلافة العباسية، وهم يشهدون غيرهم من الولاة والمتطلعين إلى السلطة يحاولون الانفصال والاستقلال. ويبدو أن الخلافة العباسية قد أدركت توثبات أهل اليمن نحو الاستقلال من جراء الثورات الكثيرة التي كانت تقع في المرتفعات والسهول، فقامت بدعم حكم في جهات تهامة هو حكم آل زياد السنّي في العام 203هـ. كي تضمن على الأقل بقاء الطرق التجارية البحرية بعيدة عن تقلبات الأحوال السياسية في المرتفعات وهي تقلبات وصراعات عنيفة على السلطة، بين زعامات قبلية ومذهبية، ستستغرق ما يناهز الأربعة قرون، ابتداء من نشوء الدولة الزيادية في تهامة (203هـ/ 819م) وانتهاءً بوقوع اليمن تحت الحكم الأيوبي في عام 569هـ (1174م).

أمَّا القوى التي شاركت في الصراع على السلطة في أقاليمها، أو حاولت الاستيلاء على كل اليمن متمكنة من ذلك لبعض الوقت فهم: آل زياد في زبيد في الفترة من 203–409هـ/

819–1019م؛ وآل يعفر الحواليين الحِميَريين، وكانوا على المذهب السنّي ومراكزهم: صنعاء وشبام في الفترة من 225–393هـ/ 839–1003م. والأئمة الزيديِّون في دولتهم الأولى بزعامة مؤسس الدولة والمذهب الزيدي في اليمن العلوي يحيى بن الحسين الرسي الملقب بالهادي إلى الحق، وكانت صعدة مركزاً لها في الفترة 284–444هـ/ 897–1052م. والإسماعيليون القرامطة في دولتهم الأولى ومراكزها المذيخرة، ولاعة في الفترة 291–321هـ/ 903–933م. ثم الصليحيون، وهم الإسماعيليون أو القرامطة في دولتهم الثانية، والتي كانت تابعة لحكم الفاطميين في القاهرة. وقد اتصفت بالتسامح المذهبي فلم تفرض على أحد اتباع ما تذهب إليه من فقه سياسي وشرعي، ومراكزهم جبل مسار في حراز، وصنعاء وجبلة وحصن أشيح في آنس، في الفترة 439–532هـ / 1048 – 1138م؛ ثم بنو نجاح في زبيد، وهم وارثو الدولة الزيادية وكانوا عبيداً لهم من الأحباش فتمكنوا من السيطرة على الدولة بعدئذٍ وأبقوا على مذهبها السني في الفترة 403–555هـ / 1013–1161م، وبنو زريع في عدن وهم من أتباع الدولة الإسماعيلية في الفترة 470–569هـ / 1078–1174 م، وبنو حاتم في صنعاء وكانوا على المذهب الإسماعيلي في الفترة 494– 569هـ/ 1101–1174م، وبنو مهدي الحِميَريون في زبيد، نسبة إلى المؤسس علي بن مهدي الذي قضى على حكم النجاحيين وخلفهم في زبيد في الفترة 553–569هـ/ 1159–1174م.

وقد تصارعت القوى المتعاصرة مع بعضها البعض وتبادلت النصر والهزيمة سجالاً، وأطيح بأسر حاكمة لتحل محلها أخرى إلى حين، وتمكن بعضها من السيطرة على ديار بعض، فكانت الغلبة أولاً لآل زياد، ثم للقرامطة على حساب اليعفريين والزيديين، ثم لليعفريين والزيديين في تحالفهم بعد صراع ومجابهات ضد الجزء الخطر من القرامطة وهو علي بن الفضل. ثم جاء دور الصليحيين ليتمكن مؤسس الدولة علي بن محمد الصليحي، تلميذ الداعية الإسماعيلي سليمان الزواحي، من الإطاحة بكل القوى القبلية والحاكمة، وتوحيد اليمن تحت حكمه، بل إنه أدخل مكة تحت حكمه. ويخلف بنو نجاح آل زياد في زبيد ويتبادلون النصر والهزيمة مع الصليحيين. والصليحيون تنقسم دولتهم بعد وفاة المكرم زوج السيدة بنت أحمد الصليحي محمودة السيرة والذكر، فتأخذ بالتدريج في الضعف والزوال فيبسط النجاحيون دولتهم في التهائم، ويقوى آل زريع ولاة الصليحيين في عدن ويؤسسون دولتهم المسيطرة على عدن وأبين وتعز، ويتداول السلطة في صنعاء وما حولها أسر همدانية كآل حاتم وآل القبيب وآل عمران، وفي زبيد يحل بنو مهدي محل آل نجاح. وكانت لكثير من هذه القوى المتصارعة في اليمن ارتباطاتها الفعلية أو الاسمية بالخلافة: فآل زياد يدينون بالولاء لبني العباس، واليعفريون -حسب أوضاع القوة والضعف- تارة يستقلون نهائياً وأخرى يعترفون بالخلافة العباسية أو هي تعترف بهم وتقرهم على أوضاعهم ؛ والإسماعيليون القرامطة يدينون بالتبعية والولاء للفاطميين في عاصمتهم الأولى المهدية بتونس

وفي القاهرة بمصر فيما بعد، ثم ينشق فريق منهم بزعامة علي بن الفضل الحِميَري ويستقل بالحكم لنفسه ويبقى الفرع الآخر بزعامة منصور بن حوشب الملقب بالمنصور تابعاً للخلافة الفاطمية حتى تعصف منافسات السلطة بالأعقاب ليعلن الحسن بن المنصور عام 321هـ (933م) نبذه للإسماعيلية واعتناقه لمذهب السنّة لتسقط سلطته بعدئذ تحت ضربات قوى قبلية محلية موالية لبني العباس.

أما دولة الأئمة الزيدية فقد كانت منذ البداية منافسة للحكم العباسي، كما أنها كانت تجسيداً لطموح العلويين في الحكم معتبرين أنفسهم أهل حق في قيادة المسلمين، ومتهمين العباسيين باغتصاب السلطة من أهلها. ولا بد من الإشارة إلى أن بعض هذه الدول كالزيدِيِّة والإسماعيلية (الصليحية)، بل والزيادية، قد قامت على أساس فكري أو مذهبي في إطار صراع الأفكار والمذاهب التي ظهرت في الخلافة الإسلامية عامة، ولا تزال فترة الصراع الطويلة هذه تحتاج إلى مزيد من الدراسات الحديثة لكشف غموضها وفك أسرارها، لأننا نعتقد أن هذه الفترة قد ساهمت إلى حد بعيد في تشكيل الملامح اليمنية الممتدة إلى اليوم جغرافياً وسكانياً ومذهبياً. وإلى جانب تلك الدول والكيانات الرسمية هناك حشد من أسماء القبائل أو الأسر أو تحالفاتها والتي شاركت في الصراع الدائر بين الطامحين في السيادة والسلطة. وفي حالات نادرة فقط حاولت الخلافة العباسية، وهي تعمل على استعادة قوتها ومجدها، التدخل لإقرار ما تراه مناسباً بحكم كونها الخلافة الإسلامية المهيمنة وقد ساعدها على ذلك كونها

ظلت –في زمن الانقسامات والفوضى العسكرية- الغطاء الشرعي والروحي الذي لجأ إليه المتقاتلون أحياناً للحصول على غطاء شرعي أو روحي من خلافة المسلمين. وفيما عدا فترات قصيرة من العصر العباسي الثاني وفي أزمنة خلفاء مثل المعتمد حيث حاول أخوه الموفق 278هـ/891م فرض السيطرة العباسية على اليمن ثم محاولات المعتضد 289هـ/907م والمكتفي 295هـ/ 907م، كانت الخلافة تنتظر فقط من يفد إليها أو يراسلها بغرض استمدادهم الشرعية والغطاء الروحي لما تغلبوا عليه. وقد ظلت الأوضاع تلك على حالها حتى مجيء الأيوبيين إلى اليمن، فتغيرت الخارطة السياسية في اليمن لصالحهم.

الأيوبيون والمماليك

تُعد دولة الرسوليين، التي اتخذت من تعز عاصمةً لها، من أطول الدول عمراً في تاريخ اليمن الوسيط، إذ استمرت قرنين وثلث القرن، وحكمها من الملوك خمسة عشر، أولهم نور الدين عمر الرسولي، وآخرهم المسعود وهو أبو القاسم صلاح الدين بن الأشرف الرسولي. ويجعل بعض المؤرخين من المؤيد، وهو منافس المسعود في الحكم، آخر الملوك، لكن كليهما انتهى أمره في العام 858هـ/1454م على يد الطاهريين.

أعلن الرسوليون استقلالهم عن الدولة الأيوبية في مصر في العام 630هـ/1232م وخطبوا للخليفة العباسي المعاصر لهم بعد أن

طلبوا منه أمر نيابة مباشر عنهم في اليمن دون وساطة الأيوبيين، وكانت الخلافة العباسية في نزعها الأخير ولا تملك إلا الموافقة على طلبات من لا يزال يرى في غطائها الروحي أهمية لتوطيد ملكه، وهو بالضبط ما احتاج إليه الرسوليون الذين ظلوا على ولاء للخلافة العباسية ويخطبون في مساجدهم لآخر خلفائها المستعصم دهراً طويلاً بعد وفاة دولتهم في بغداد عام 656هـ/ 1258م على يد المغول.

تمكّن الرسوليون وبقيادة مؤسس ملكهم الملك المنصور من توحيد اليمن كله تحت حكمهم، من حضرموت جنوباً وحتى مكة شمالاً، وبسطوا سيادتهم الفعلية على كل جهات اليمن، ودخلوا مناطق وحصون لم يدخلها قبلهم الأيوبيون، ودانت لهم القبائل والأسر الحاكمة كالأئمة الزيديين في صعدة وجهاتها وآل حاتم في صنعاء وما حولها.

الدولة الطاهرية زمن المماليك

ورثت الدولة الطاهرية مناطق نفوذ الدولة الرسولية وهي معظم اليمن باستثناء مناطق الجبال الشمالية التي تنافس عليها الأئمة الزيديون. وقد أمضى الطاهريون سني حكمهم كغيرهم من الدول التي سبقتهم في تثبيت حكمهم في تعز وعدن وجهات تهامة حيث المماليك يفرضون إرادتهم هناك بالتعاون مع بعض القبائل كالمعازبة، كما مد الطاهريون سلطتهم إلى الشحر في حضرموت بعد أن حاول ملك الشحر غزو عدن فردوه على أعقابه بل وتمكنوا

من السيطرة على صنعاء وثبتوا فيها نائباً لهم، في وقت كان الأئمة الزيديون في حالة كمون إثر صراعاتهم الدامية في ما بينهم. ولم يلبث الزيديون أن نشطوا ثانية فسيطروا على جهات متفرقة، وكانت صنعاء خاضعة لنفوذ الإمام المؤيد. وقد جرت حروب كثيرة بين أبناء الأسرة الطاهرية استنزفتهم رجالاً ومالاً، وتمكنت خلال هذه الحروب القبائل التهامية من استغلال الضعف والتمرد ثانية على الدولة الطاهرية، لكنها اضطرت للخضوع ثانية بعد أن قضى الطاهريون على كل تمرد ثم زحفوا إلى ذمار التي اعتُبرت مدخلاً للسيطرة على البلاد الواقعة تحت حكم الأئمة الزيديين وتمكنوا من الاستيلاء عليها عام 897هـ/1491م وبعد ذلك تحركوا عام 910هـ/1504م. نحو صنعاء بجيش ضخم جداً تمكنوا به من حصار صنعاء ودخولها بعدئذٍ دخول الفاتحين، ووقع الإمام الزيدي الوشلي مع أمراء حربه أسرى، ونقلوا إلى تعز حيث حددت إقامتهم. أما الملك الطاهري فقد أقام في صنعاء يُسيِّر أمورها ويخضع ما تبقى من حصونها وقلاعها ليسيطر على معظم اليمن، وعاد إلى تعز في العام التالي، في الوقت الذي أعلن فيه الإمام الهاشمي شرف الدين نفسه إماماً جديداً وأخذ يدعو لنفسه في منطقة الجبال بحجة ويبحث عن الأعوان لحرب الطاهريين الذين اعتبرهم أعداء جائرين لله، بل إنه أخذ بمراسلة المماليك الشراكسة الذين أخذوا يجوبون البحر الأحمر وسواحل اليمن لمجابهة قوة البرتغاليين النشطة هي الأخرى في سواحل البحر الأحمر والعربي والتي أخذت تهدد عدن وجزيرة كمران.

ولعبت التحالفات الجديدة دوراً في التعجيل بنهاية الطاهريين. فقد طلب القائد المملوكي من الطاهريين أن يجهزوا معه قوة لمحاربة البرتغاليين الغازين للسواحل الإسلامية، إلا أن الطاهريين رأوا عدم إجابة هذا الطلب، وعلى إثر ذلك قرر المماليك النزول بقواتهم إلى السواحل اليمنية لمقاتلة الطاهرية، وهو بالضبط ما أراده الإمام شرف الدين، وقد نزل المماليك إلى الساحل اليمني بأسلحتهم الجديدة مثل المدافع والبنادق والتي لا عهد للناس بها، ودارت الحرب بين الطاهريين من جهة والمماليك ومن تعاون معهم مثل الإمام شرف الدين وبعض القبائل من جهة أخرى، وقد كانت المعارك مع ما يرافقها من سلب ونهب سجالاً تخللتها حالات مفاوضات وصلح قصير الأمد، مع خلافات بين أفراد القوة الغازية، وكانت ساحات القتال بلاد تهامة، وتعز، ورداع، والمقرانة، وصنعاء.

وكانت آخر المعارك بين الطاهريين وخصومهم من الغزاة وأعوانهم قرب صنعاء لقي فيها الملك الظافر عامر بن عبد الوهاب حتفه وذلك عام 923هـ/ 1517م، بعد حكم دام ثلاثة عقود لتنتهي بموته الدولة الطاهرية بعد خمس وستين عاماً، ولم يبقَ من الدولة الطاهرية إلا جيب عدن الذي تمكن الأمير عامر بن داود الطاهري من الاحتفاظ به حتى قضى عليه الأتراك بعدئذ.

اليمن في الزمن العثماني وحكم الزيدية

بعد القضاء على الدولة الطاهرية تغيرت الأحلاف وموازين القوى وأخذ الإمام شرف الدين يقاتل حلفاء الأمس من المماليك،

ويتحالف مع والي الدولة الطاهرية في ثلا، في حين تحالف الأشراف الحمزات مع المماليك نكاية بالإمام شرف الدين، وقد ضعفت معنويات الجند المماليك كثيراً بسبب سقوط دولتهم في مصر على يد الأتراك العثمانيين بعد قليل من القضاء على الدولة الطاهرية في نفس العام 923هـ/1517م، مما اضطر المماليك في اليمن إلى الاعتراف بالسيادة العثمانية، وهكذا دخلت اليمن تحت السيادة العثمانية عبر تبعيتها السابقة للمماليك، لكن العثمانيين أنفسهم لم يصلوا اليمن إلا عام 945هـ/ 1538م، وهي حملتهم الأولى إلى اليمن بعد أن وضحت لهم أهمية موقع اليمن الاستراتيجي المطل على البحر الأحمر وبحر العرب، في إطار صراعهم كقوة دولية مع القوة البرتغالية البحرية المتنامية في المحيط الهندي وبحر العرب، والتي أخذت تحول الطريق التجاري من البحر الأحمر عبر رأس الرجاء الصالح مع ما يتبع ذلك من خسائر في عائدات الموانئ الخاضعة لسيطرة العثمانيين.

أما مصير المماليك في اليمن قبل قدوم العثمانيين فقد آل إلى قوة صغيرة منحصرة في زبيد بعد أن تمكن الإمام شرف الدين بمعارك طاحنة مع المماليك من مطاردتهم مهزومين حتى زبيد. وتولى قيادة الحملات الحربية المطهر، ابن الإمام شرف الدين، أحد فرسان الحرب المرموقين في هذه الفترة، وقد حصر نفوذ المماليك في زبيد، لتقضي عليهم بعدئذ القوة التركية الغازية، وليجد الإمام شرف الدين -الذي كان قد ضم معظم اليمن من عدن إلى صعدة تحت حكمه- نفسه وجهاً لوجه مع العثمانيين.

وابتداءً من هذه الفترة التي تولى قيادتها الإمام شرف الدين وحتى قيام الثورة في 26 سبتمبر/أيلول 1962م، تنسحب الأحداث التاريخية الكبرى وزمام المبادرة من المناطق الجنوبية السهلية لليمن لتتركز في الجهات الجبلية الشمالية بزعامة الأئمة الزيديين وأتباعهم في اليمن الأعلى، وإلى جانب عدد كبير من الأئمة الطامحين تمكنت أسرتان فقط من الأسر الهاشمية من تحقيق السيادة والنفوذ، وإن كان ذلك بشكل متقطع، وبين وهن وقوة، هما: أسرة شرف الدين، وأسرة آل القاسم. وفي فترة الوجود العثماني الأول في اليمن كان الإمام شرف الدين وابنه المطهر رَجُلَي المرحلة، فخاضا حرباً ضروساً ضد العثمانيين، كان يمكن أن تكلل بالنجاح سريعاً لولا التنافس على النفوذ داخل أسرة شرف الدين الذي أسهم في طول هذه الحرب وبقاء الأتراك في اليمن، إذ قامت المنافسات بين الإمام شرف الدين وابنه المطهر، وفيما بعد بين المطهر وإخوته لينقسم معسكرهم بين مؤيد لهذا ومؤيد لذاك. وأخذت القوى القبلية تحاول الحصول على مساحة نفوذ تتحكم فيها، إلى جانب منافسات أئمة آخرين لآل شرف الدين، وقد أدت هذه المنافسات والحروب إلى الاستعانة بالعثمانيين لترجيح الكفة ضد المنافسين، ومع ذلك فقد كان الأئمة الزيديون في هذه الفترة إجمالاً هم القوة المهيمنة والمتصدرة ضد هيمنة الأتراك العثمانيين، وكان آل كثير في حضرموت قد استغلوا الفراغ السياسي في جهاتهم وكوَّنوا الدولة الكثيرية بزعامة السلطان بوطويرق 844–915هـ /1438–1510م. وهكذا كانت اليمن في هذه الفترة موزعة بين

ثلاث قوى: الأتراك في الجهات الغربية، والأئمة من بيت شرف الدين في الجهات الشمالية، وآل كثير في حضرموت.

وبوفاة المطهر بن شرف الدين، زعيم الجبهة الزيدية وقائد المقاومة عام 980هـ / 1572م، ينتهي دور آل شرف الدين لتعقبهم فترة تدهور للمقاومة ضد الأتراك تستمر ربع قرن ليظهر الإمام القاسم بن محمد، قائداً لثورة عارمة ضد العثمانيين وليؤسس لجيل جديد آخر من الأئمة الزيديين سيستمر في الحكم من العام 1592 حتى زمن الثورة الجمهورية عام 1962. وقد تميز تاريخ الفترة اللاحقة بالنضال الدؤوب من قبل اليمنيين جميعاً بزعامة الأئمة من بيت الإمام القاسم بن محمد الذي تمكن من فرض صلح مع الوالي العثماني محمد باشا يحق للإمام بمقتضاه حكم المناطق الشمالية لصنعاء على المذهب الزيدي المخالف لمذهب العثمانيين السنّي الحنفي. وبعد وفاة الإمام القاسم عام 1029هـ/ 1620م خلفه ابنه محمد الملقب بالمؤيد وهو الذي تمكن بعد انتقاض الصلح بين الطرفين من مقارعة الأتراك ليتم طردهم نهائياً من اليمن عام 1045هـ/ 1635م ولتكون بذلك اليمن أول ولاية عربية تخرج عن فلك الدولة العثمانية، والتي ستعود إلى اليمن ثانية عام 1266هـ / 1848م أي بعد أكثر من قرنين من الزمن.

توحيد اليمن من جديد

وبخروج الأتراك تمهد الطريق لتوحيد اليمن للمرة الثالثة في الزمن الإسلامي، وكان الموحد هذه المرة المتوكل على الله إسماعيل

بن القاسم أخو المؤيد السالف الذكر، إذ قام بتجهيز الحملات على المناطق الشرقية من اليمن، والتي خرجت قبل ذلك مستغلة حالة الضعف والاقتتال بين الأئمة، كما وصلت قوات الإمام إلى يافع لإخضاعها ثانية، وعندما علم الكثيري سلطان حضرموت بما حل بأهل يافع راسل الإمام معلناً الدخول في طاعته، كما دخلت في طاعته جهات ظفار الحبوضي الواقعة اليوم في بلاد عُمان. وبهذا الامتداد، باستثناء مكة، يكون اليمن قد توحد من أقاصي الجنوب والشرق إلى أقاصي الشمال، كما كان الحال أيام الرسوليين والصليحيين، ونلفت الانتباه إلى أن سبب غياب ذكر بلاد المهرة في الشرق وبلاد عسير بمدنها في الشمال، راجع إلى أن بلاد المهرة كانت جزءاً من حضرموت، مثلما كانت بلاد عسير ومدنها تابعة لصعدة كمركز ديني وإداري. وقد شهد حكم المتوكل على الله إسماعيل، الممتد لثلاثين عاماً في معظمه، قدراً من الاستقرار السياسي مكن من ازدهار الزراعة والتجارة والفكر والثقافة ليستحق بعدئذٍ وصف المؤرخين له بأنه أفضل عصور اليمن الحديثة على الإطلاق.

وخلف المتوكل إسماعيل في سُدَّة الإمامة اثنان من أسرة آل القاسم هما: أحمد بن الحسن الملقب بـ«سيل الليل»، ومحمد بن المتوكل، اللذان امتد حكمهما لعشر سنوات، ثم اعتلى الحكم طامح جديد من أبناء الجيل الثالث هو محمد بن أحمد بن الحسن المعروف بـ«صاحب المواهب»، نسبة إلى قرية قرب ذمار كان قد اتخذها مقراً لحكمه. وفي زمن صاحب المواهب هذا شهدت اليمن حالات متتابعة

من الحروب والانقسامات داخل بيت القاسم لأكثر من ثلاثين عاماً سببها الطموح إلى السلطة والنفوذ وخيراتهما، وقد شكل مبدأ الخروج على الظلم كما يرى المذهب الزيدي غطاءً شرعياً لهذه الثورات والحروب. وبعد صاحب المواهب عرفت اليمن سلسلة من الأئمة من بيت القاسم، وشهد هؤلاء طموحات أئمة آخرين تفاوتوا في القوة والضعف، بالإضافة إلى تمردات القبائل، ثم اعتلى عرش السلطة المهدي عباس بن المنصور (1161–1189هـ / 1748–1775م) وهو الإمام العاشر، وقد تميز المهدي بكفاءات وقدرات أهلته لإعادة مركزية الدولة وحكم معظم مناطق اليمن من صنعاء العاصمة كل الربع الثالث من القرن الثالث عشر الهجري/ الثامن عشرالميلادي، ولا يعني هذا أن أحداً لم يخرج عليه، ففي تاريخ الأئمة كان هناك على الدوام من لا يعترف بحكم الإمام المبايَع فيدعو لنفسه. وقد شهد حكمه غارات القبائل على أنحاء من تهامة واليمن الأسفل بقصد السلب والنهب، فعاثت فساداً في الديار الآمنة. لكن الإمام المهدي تمكن بالسياسة حيناً وبالقوة أحياناً أخرى، وبمعاونة أهل العلم وأبرزهم في زمانه وأكثرهم نشاطاً علمياً وسياسياً في سبيل العلم والناس العلامة ابن الأمير المتوفى (1182هـ/1768م) والإمام المهدي هذا هو الذي زاره الرحالة الألماني كارستن نيبور عام 1177هـ/ 1763م ووصف هيئته ومجلسه الفخم وحاشيته. والمهدي أيضاً هو الإمام الذي وصفه الشوكاني، رغم إعجابه به، بالفردية والاستبداد.

وتكاد الفترة الباقية من تاريخ اليمن، أي من وفاة المهدي حتى قدوم الأتراك للمرة الثانية، لا تختلف عن سابقتها لا في طبيعة الحكم فيها ولا في طبيعة الأحداث، فبينما استمر الانقسام والاقتتال بين الطامحين للسلطة من الأئمة، استمرت القبائل كذلك في نصرة من تأنس فيه السيادة لتفوز معه بخيرات السلطة والحكم، وفي حالات كثيرة كانت القبائل تستقل بتمرداتها لنفسها متى آنست ضعفاً في السلطة المركزية إلى حد محاصرتها للعاصمة صنعاء، كما أفسح المجال لطامحين آخرين باسم الصوفية أو إقامة الشرع للحصول على مناطق نفوذ تتسع وتنكمش حسب علاقات القوة المتغيرة باستمرار.

وبسبب الضعف الذي آلت إليه الأمور، فقد الأئمة كثيراً من المناطق في المخلاف السليماني بعاصمته أبى عريش وبعض تهامة اليمن لصالح الدولة الوهابية السعودية الأولى، ثم فقدت بعدئذٍ لصالح محمد على باشا في مصر، وهو الذي جاء بقواته إلى الجزيرة للقضاء على دولة الوهابيين السعودية وليوحدها تحت حكمه فوصلت قواته إلى تهامة في اليمن 1220 1265هـ/ 1805-1848م. وقد دفع توسع محمد علي وطموحه في التوحيد بريطانيا إلى احتلال عدن لصد طموحات محمد علي ولتأمين الطرق البحرية إلى الهند درة التاج البريطاني كما كانت تسمى. وقد سلم محمد علي -بعد تكالب الأوروبيين عليه وهزيمته- جميع ذلك بعد انسحابه (1256هـ/ 1840م) لحلفائه أشراف المخلاف السليماني بزعامة الشريف حسين بن علي حيدر وحلفائهم في عسير من آل عائض. وقد عاصرت هذه الأوضاع طموح آخر الأئمة الذي سيفقد اليمن في عهده استقلاله لصالح بريطانيا

والأتراك العثمانيين وهو محمد بن يحيى الملقب بالمتوكل، فقد أقام علاقات طيبة أول الأمر مع القوات المصرية في تهامة، وبعد رحيلها ذهب إلى مصر باحثاً عن عون عسكري يدخل به صنعاء، ولما كانت الأمور قد تغيرت في غير صالح محمد علي عاد محمد بن يحيى خالي الوفاض، لكنه يمم وجهه شطر أشراف المخلاف السليماني الذين كانوا قد استقروا بجهاتهم ضد رغبة السلطة في صنعاء، بل حدّوا من سلطتها بتوسيع أملاكهم في كل تهامة اليمن، حتى أن الميناء الحيوي (المخا) كان واقعاً تحت سيطرتهم، وفي وقت لاحق حاولوا الوثوب على عدن لطرد الإنكليز منها. وقد قام الشريف حسين بن علي حيدرة بدعم محمد بن يحيى المتوكل كي يخلق لنفسه شرعية في السيطرة على المناطق التي تحت يده وليتمكن من التوسع في إقليم اليمن في كل الجهات لو قدر على ذلك مثله مثل أي قوة يمنية أخرى مرت بنا قبلاً. أمد الشريف حسين الطامح محمد بن يحيى المتوكل بالأموال والعتاد مما مكّن المتوكل فعلاً من هزيمة الإمام المهدي ودخول صنعاء إماماً جديداً، لكن هذا الحلف مع أشراف المخلاف السليماني لم يلبث أن انهار لتصادم مصالح الطرفين خاصة وخزانة الإمام المتوكل خاوية بفعل سيطرة الشريف حسين على الموانئ المدرة للمال، فقامت لذلك حرب بين الطرفين اشتركت فيها القبائل اليمنية في عسير ويام وهمدان وباجل وغيرها مدفوعة في الغالب برغبات في الحصول على الأموال، وبعضها ليحمي استقلاله ومنطقته من أطماع هذا فيحتمي بذاك كما فعلت قبائل باجل مثلا، وقد كانت وعود الحصول على الأموال وتوزيع الموجود منها على القبائل في

الطرفين عاملاً حاسماً في مواقف القبائل من الفريقين. وقد دارت الدائرة أول الأمر على الشريف حسين وأسر، لكن فُك أسره بعد ذلك فيما كان الإمام المتوكل يحاول الخروج من تطورات الوضع العسكري في تهامة والذي أدى إلى حصره هناك، لكنه تمكن بالحيلة والوعود الكاذبة من الوصول إلى صنعاء تاركاً تهامة ثانية في يد الشريف حسين. ثم واجهته صعوبات القضاء على طامحين جدد في صعدة وذمار ادعوا الإمامة مسنودين من قبائل غاضبة على الإمام المتوكل، وهكذا يبدأ فصل جديد من فصول التنافس الدموي بين الأئمة على السيادة والنفوذ والأحقية. حدث كل هذا والأتراك العثمانيون في الحجاز على مقربة منه يسمعون ويتابعون. وقد دفعت المصالح المتضاربة والمواجهات الأولى بين الإمام المتوكل والشريف حسين من جهة، وبين الأخير وجاره أمير عسير محمد بن عائض المتحالف مع المتوكل، دفعت الشريف حسين إلى دعوة السلطات العثمانية لتدخل تهامة، فصدرت الأوامر لوالي الحجاز بقيادة جيش لدخول تهامة، فدخل الجيش الحديدة عام 1265هـ/1849م بالتعاون مع الشريف حسين، وقد رأى الإمام المتوكل أن من الحكمة أن لا يترك خصمه يستأثر وحده بعلاقات ودية مع الأتراك، فقرر هو الآخر أن يظهر حسن نواياه تجاههم، وقد ذهب في ذلك إلى حد أنه دعاهم لدخول صنعاء ثانية، وقنع بمرتب شهري يؤدونه له وأعلن في الناس أن أمرهم قد صار إلى الأتراك العثمانيين.

تصدى سكان صنعاء وكافة القبائل المجاورة والقادمة للأتراك، فضيقوا عليهم الخناق وقتلوهم في الأسواق حتى أنهم لم

يتمكنوا من الخروج لشراء حاجياتهم، وظلوا محصورين في ثكنتهم ينتظرون الفرج. ومن جانب آخر كان الناس يطاردون الإمام المتوكل لقتله وينعتونه بالخيانة وقد خلعوه وبرئوا منه وعيّنوا مكانه الإمام المهدي، وهو نفس الإمام الذي انهزم أمام المتوكل قبل ما يزيد قليلاً عن الأربع سنوات. ويقوم الإمام الجديد بالقبض على المتوكل وقطع رأسه ثم يفاوض الأتراك في كيفية الخروج من صنعاء إلى الحديدة بأمان ليستقروا هناك، فخرجوا يوم عيد الفطر الأول من شهر شوال 1256هـ/18 أغسطس (آب) 1849م، فكان هذا الخروج الذليل للأتراك للناس عيداً فوق عيد، ومع ذلك فلا بد من القول إنهم خرجوا فقط من صنعاء ولم يخرجوا من اليمن كله.

ولم يعمر الإمام المهدي في السلطة طويلاً، فقد خُلع بعد عدة أشهر ليأتي إمام جديد ولتدخل صنعاء وما حولها في فترة فوضى واضطراب يتنازع السلطة فيها أئمة صغار، ولتعم فوضى القبائل، وهو ما مهّد الطريق لعودة الأتراك العثمانيين ثانية إلى صنعاء.

عودة الأتراك وحكم الزيدية

وهكذا، تفقد اليمن رسمياً استقلالها بوجود قوتين أجنبيتين هما بريطانيا في عدن والعثمانيين في صنعاء. وبحكم العداء بين هاتين القوتين فقد رسمت العلاقات بينهما خريطة اليمن السياسية، ووقع الجانبان معاهدة في العام 1914م، رسمت فيها حدود النفوذ بين القوتين الأجنبيتين، وهكذا ينشطر اليمن لأول مرة في التاريخ،

وتنشأ تسمية الجنوب العربي التي ابتدعها الإنكليز لإعطاء الجزء الذي يسيطرون عليه شخصية اعتبارية مستقلة وتابعة لهم. وأخذ الإنكليز يشجعون في الجهات الجنوبية والغربية من اليمن الاتجاهات القبلية والعشائرية وينشئون السلطنات ويسمحون لها بقدر من الاستقلال الذاتي تحت مظلتهم. أما الأتراك فلم يستفيدوا لا من تجربتهم السابقة ولا من تجارب الإنكليز في كيفية التعامل مع الجزء الشمالي الذي يخضع لسيطرتهم، فطفقوا ثانية يحاولون إرساء حكم مركزي تتريكي، خاصة بعد وصول القوميين الأتراك من جمعية الاتحاد والترقي إلى السلطة في إستانبول عام 1908، وهذا ما سبب لهم المتاعب وأثار في وجههم الثورات في مختلف مناطق البلاد تارة بقيادة القبائل وأخرى بقيادة جيل جديد طامح من الأئمة الزيديين الذين برز منهم في الفترة بين الاحتلال العثماني الثاني ونهاية الحرب العالمية الأولى الإمام المتوكل محسن والإمام الهادي شرف الدين والإمام المنصور محمد بن حميد الدين وابنه المتوكل يحيى، الذي تزّعم اليمنيين لمقارعة الأتراك، بل وتمكن من حصار صنعاء وأجبر الأتراك أخيراً في الصلح المشهور بصلح دعّان عام 1329هـ/1911م (ضمن بنود كثيرة) على الاعتراف به حاكماً وحيداً للطائفة الزيدية في اليمن مقابل اعتراف الإمام بالسيادة العثمانية على اليمن، وهو ما جعل حرب الإمام للأتراك تبدو وكأنها فقط لنيل الاعتراف بسلطته الدينية والسياسية على المناطق التي ينتشر فيها المذهب الزيدي. وقد نفرت إثر ذلك قبائل يمنية عن الإمام متهمة إياه بأنه صار حليفاً

للأتراك واتجهت إلى منافسه محمد الإدريسي في صبيا بعسير، حيث كان محمد الإدريسي قد استثمر مكانة أسرته الدينية ليؤسس دولة الأدارسة في أعالي الشمال الغربي لليمن، وليبدأ بلعب دور في أحداث التاريخ اليمني، ملفتاً بطموحه السياسي الوثاب نظر كل من الإمام يحيى والأتراك.

كان الإمام يحيى في الحرب العالمية الأولى قد وقف على الحياد، فلا هو حارب الأتراك في جهاته مستغلاً الظرف، ولا هو شاركهم مع باقي قبائل اليمن الأسفل في حربهم القصيرة ضد المحميات في الجنوب والتقدم إلى لحج. وقد ضمنت له هذه السياسة الحفاظ على قواته التي سيستخدمها بعدئذ ضد جبهات متعددة. وقد قام الإنكليز، رغم انتهاء الحرب واستعداد الأتراك للخروج من اليمن، بالاستيلاء على تهامة حتى الحديدة ؛ لكي تكون مناطق مقايضة مع الإمام يحيى الذي أدرك الإنكليز -وبحكم طبيعة الأمور في اليمن- أنه سيتطلع إلى تحرير الجزء المحتل من قبلهم وبسط سيطرته عليه.

أخذ الإمام يحيى فعلاً، وبعد خروج الأتراك من اليمن، يتطلع إلى السيطرة على المناطق التي أخلاها الأتراك، بل ويتطلع إلى بسط سيطرته على المحميات في جنوب اليمن، لكن الإنكليز -وجرياً على سياستهم المشهورة «فرق تسد»- قاموا عام 1921 بتسليم ما احتلوه من المناطق التهامية إلى حليفهم الإدريسي الذي وقف إلى جانبهم في الحرب بموجب معاهدة صداقة عقدت بينه وبين الإنكليز عام 1915،

وهكذا وجد الإمام الذي أعلن قيام «المملكة المتوكلية اليمنية» نفسه محاطاً بالخصوم في الشمال والجنوب والغرب، ومحروماً من الموانئ المدرة للمال جراء نشاطها التجاري، بالإضافة إلى تمردات القبائل الرافضة للفردية المطلقة ولسياسة أخذ الرهائن والتعسف في جباية الأموال. وقد واجه سيف الإسلام أحمد بن الإمام يحيى كقائد عسكري لقوات أبيه تمردات القبائل في حاشد وتهامة والبيضاء بقوة وحزم، كما تمكنت قوات أخرى للإمام من دخول الحديدة بعدئذٍ دون قتال، وذلك بعد موت الأمير محمد الإدريسي المؤسس للإمارة الإدريسية، لتحل مشاكل خلافة السلطة في الأعقاب، وليتسلم الحكم في الإمارة حسن الإدريسي عم محمد المؤسس، والذي لم يكن بنفس حماس وحنكة المؤسس، مما مكن قوات الإمام من التقدم شمالاً لتحاصر مدينتي صبيا وجيزان، أهم مدينتين ضمن الإمارة الإدريسية. وقد رفض الإمام الاعتراف بالإمارة الإدريسية مقابل الدخول في حماية الإمام، بحجة أن الأدارسة المنحدرين أصلاً من المغرب العربي، دخلاء على البلاد التي كانت دوماً جزءاً من البلاد اليمنية التي حكمها أجداده. وقد دفع هذا الموقف الحاسم من الإمام، الأدارسة إلى الالتجاء لآل سعود الذين قامت دولتهم في نجد والحجاز على أنقاض دولة الشريف حسين وأبنائه، فعقدت معاهدة حماية بين آل سعود والأدارسة عام 1926م، بسط السعوديون على إثرها سلطتهم على بلاد عسير، وهي المعاهدة التي لم يعترف بها الإمام، مما أدى إلى مواجهات واشتعال حرب بين الطرفين عام 1934 انتهت بتوغل القوات

السعودية داخل الأراضي اليمنية وعجز قوات الإمام عن استعادة أجزاء عسير. وكانت نتيجة ذلك الوضع العسكري توقيع اتفاقية بين الطرفين عُرفت واشتهرت بمعاهدة الطائف.

وفي مواجهة الإنكليز في جنوب اليمن كان الإمام يحاول -ضمن بسط سيطرته على البلاد اليمنية- أن يبسط سيطرته على المحميات الجنوبية، فدخلت قواته الضالع للضغط على بريطانيا، كي تسلمه الحديدة، وليعلن عدم اعترافه بخط الحدود الذي رسمته اتفاقية جرت بين قوتين غازيتين على أرض ليست لهما. وقد رأى الإمام أن يستعين بإيطاليا التي تحتفظ بمستعمرات في الساحل الأفريقي المقابل، فعقد اتفاقية صداقة معها عام 1926، ولم يفت الإنكليز مغزى هذه الاتفاقية، التي شجعت الإمام على دخول العواذل العليا والسفلى إلى جانب تدعيم قواته في الضالع والبيضاء، كما عقد معاهدة صداقة وتعاون مع الاتحاد السوفياتي في العام 1928، فكان رد فعل الإنكليز على تحركات الإمام هذه هو الحرب التي اشتعلت بين الطرفين عام 1928، واستخدم فيها الإنكليز الطائرات الحربية التي ألقت على الناس منشورات تهديد وقنابل دمار ألحقت الضرر في جيش الإمام وفي المدن. وقد انتهت هذه الحرب بهزيمة الإمام وإجباره على الدخول في مفاوضات، انتهت هي الأخرى بمعاهدة الصداقة والتعاون المتبادل بين اليمن وبريطانيا 11 فبراير/ شباط 1934.

وقد انسحب الإمام فيما بعد من مناطق المحميات التي دخلها، ومع أن الإمام رفض الاعتراف بخط الحدود الذي رسمته

اتفاقية بريطانيا وتركيا، إلا أنه اضطر للتسليم بالوجود البريطاني في عدن لمدة أربعين عاماً قادمة، وهي مدة الاتفاقية، على أن يتم بحث موضوع الحدود قبل انتهاء مدة هذه الاتفاقية.

حكم الإمام يحيى وثورة سبتمبر

كان الإمام يحيى إماماً كأسلافه من الأئمة في عهودهم الأولى والطويلة، حيث كانت طبيعة الحكم المبرر بالدين والنسب تقوم على الفردية المطلقة المفضية إلى الاستبداد؛ إذ لا حكومة ولا مؤسسات حكم. وأمضى الأئمة معظم سني حكمهم في الحفاظ على الحكم وخوض الحرب ضد الطامحين من أئمة آخرين، وضد القبائل المتمردة والشخصيات الطامحة للاستقلال بمناطقها. وتضافرت ويلات البؤس والفقر والعزلة لتجعل من اليمن واحداً من أكثر بلاد الله تخلفاً. فهاجر اليمنيون بالآلاف إلى مصر والحبشة كما إلى أميركا وبريطانيا. وكانت المدارس القليلة المتواجدة، مدارس الكتّاب والمدارس التي وجدت في جنوب اليمن المحتل، بالإضافة إلى البعثات العسكرية المحدودة والفئات المهاجرة، نواة مقاومة تضافرت مع بعضها البعض لتنتج نخبة من الوطنيين الغيورين المطالبين بالتغيير والإصلاح.

وكانت هزائم الإمام عام 1934 فاضحة لضعف النظام، لذا ليس غريباً أن تقوم في العام التالي مباشرة أولى المحاولات لإنشاء معارضة منظمة ضد الإمام. ومع أن المحاولة لم تسفر عن

قيام تجمع سياسي من أي نوع، إلا أنها حشدت قوى المعارضة في الداخل والخارج باتجاه الفكرة، رافعة شعار الإصلاح. وقد وجد كثير من الأصوات الوطنية في مجلة «الحكمة» الشهيرة -التي صدرت عام 1938، واستمرت عامين فقط قبل أن يتنبه الإمام لخطرها ويغلقها- وجدت متنفسها للتعبير عن طموحات اليمنيين في الإصلاح والمضي نحو التغيير. لكن التبلور النهائي لميلاد أول منظمة سياسية سرية لم يكتمل إلا عام 1940، حين تشكل في القاهرة ما عرف باسم «كتيبة الشباب اليمني»، التي عبرت عن رغبتها في تجذير المعارضة في الداخل للدفع بطموحات المعارضة إلى الأمام، وهي الطموحات التي لم تكن بعد قد تبلورت أهدافها بوضوح كافٍ متفق عليه. وفي العام التالي كانت الرؤية أشمل وأوسع عندما أصدرت قوى المعارضة برنامج «هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر». وقد قُدمت هذه المطالب للإمام يحيى، ثم لابنه سيف الإسلام أحمد (ولي العهد) في تعز، إلا أن موقف الأول لم يكن بأحسن من الثاني؛ إذ رفضا بنود البرنامج وأخذا يطاردان رموز المعارضة ويتهددانهم بالويلات، بل ويغرون سلطات الاحتلال البريطاني في عدن للضغط على قوى المعارضة. وقد استجاب الإنكليز لذلك. واستمرت المعارضة قدماً في كشف عيوب النظام الإمامي وتصوير تخلفه عن ركب الأمم المتقدمة، فتشكل عام 1944 حزب الأحرار اليمنيين أو ما عرف فيما بعد بـ«حركة الأحرار». وقد أخذ هذا الحزب عبر المجلات المختلفة يعلن عن طموحاته في التغيير والإصلاح ويكشف عيوب النظام. وفي

عام 1946 شكلّ الأحرار «الجمعية اليمنية الكبرى» في عدن وأصدروا جريدة «صوت اليمن» الشهيرة، التي أخذت تفضح ممارسات الإمام الظالمة تجاه الشعب وتطالب بالإصلاح والتغيير. وقد تضمنت وثيقة مطالب الشعب اليمني ما أرادته القوى الوطنية حول الإصلاح والتغيير، حيث طالبت لأول مرة بإقامة حكم دستوري شوروي يرفع أغلال الاستبداد عن كاهل الشعب اليمني. وقد وجد الأحرار أنه لا سبيل لتحقيق طموحاتهم الوطنية في ظل نظام حكم الإمام القائم، فبدأوا في الإعداد للإطاحة بالإمام وحكمه وذلك من خلال استغلال الشروخ في أركان الحكم والاستفادة من أية تحالفات ممكنة. ووجد الأحرار ضالتهم في السيد عبد الله بن أحمد الوزير الذي وافق على مطالب الأحرار مقابل عونهم له؛ فقامت حركة 1948، التي شارك فيها الإخوان المسلمون وقائدهم حسن البنا وقيل إن هذه المشاركة كانت السبب في اغتياله لاحقاً بسبب خوف النظام المصري الملكي من تعاظم دور وسطوة الإخوان. وقد نجحت حركة 1948 في قتل الإمام يحيى، إلا أنها لم تنجح في الإطاحة بنظامه. إذ بعد ثلاثة أسابيع فقط تمكن نجل الإمام سيف الإسلام أحمد بن يحيى حميد الدين من الفرار من تعز إلى حجة، وهناك تمكن من حشد القبائل إلى صفه مغرياً إياها بإباحة صنعاء لهم للسلب والنهب، وتمكن من دخول صنعاء والقضاء على الحركة وقتل وسجن وتشريد زعمائها، ثم أعلن نفسه إماماً بدلاً عن أبيه. وقد حافظ الإمام أحمد الملقب بالناصر لدين الله على نظام الحكم الموروث برمته، رغم تطلعه إلى عقد

معاهدات مع دول خارجية كالاتحاد السوفياتي والصين. بل إنه دخ
في الاتحاد الثلاثي المشكل إلى جانب اليمن من مصر وسوريا. إلا أ
كل هذه الأمور لم تغير شيئاً في الواقع المعاش لحياة الناس. ورغم م
أصاب المعارضة من نكسة ووهن في الأعوام التالية لحركة 1948، إ
أنها تمكنت من إحياء نشاطها ثانية، بإنشاء منظمة جديدة في عد
هي الاتحاد اليمني. وبفضل الدعم الكبير المعنوي والمادي من مص
بعد ثورة الضباط الأحرار هناك عام 1952، وتزعم عبد الناصر لفتر
من فترات النضال من أجل الوحدة العربية ومجابهة إسرائيل، تمك
الأحرار من مواصلة نضالهم من هناك. وكانت القاهرة وإذاعة القاهر
مكاناً وأداة لنشاط الأحرار اليمنيين العملي والإعلامي، فظهر برنام
جديد للأحرار بعنوان «آمالنا وأمانينا». وفي عام 1955 تطور حادد
الحوبان الشهير إلى محاولة انقلابية ضد الإمام أحمد في تعز، وقب
الوطنيون أن يستبدلوه بأخيه، علَّهُ يكون أفضل منه، ولكن المحاول
التي قادها أحمد يحيى الثلايا آلت بعد أيام إلى الفشل، وتمكن الإما
أحمد من الاحتفاظ بسلطته ثانية. واستمرت المعارضة في نشاطه
ضد الإمام الذي حاول شق صفوف الحركة بتبني بعض مقولاتها. لك
المعارضة أصدرت في العام 1956 برنامجاً جديداً بعنوان «مطال
الشعب» أكدت فيه مطالبها السابقة. ومع ذلك، وبفعل دأب الإمام عل
شق الصف الوطني، شهدت معارضة الأحرار المنضوية تحت مسم
«الاتحاد اليمني» بعض الانشقاقات. لكن زخم المعارضة استمر ف
التصاعد داخل البلاد وخارجها عبر التجمعات الوطنية لليمنيين الت

تشكلت بشكل خاص وفاعل في كل من الحبشة وبريطانيا، وحشدت المهاجرين اليمنيين نحو فكرة الجمهورية والتخلص من نظام الإمامة العتيق والمتجاوز زمنياً.

وفي السنوات التالية زاد هذا الاتجاه تجذراً في أوساط جماهير أوسع من الشعب اليمني، بفضل انتشار الأحزاب الوطنية السرية بمشاربها الفكرية المختلفة، وقد ساهم بعض الضباط في التمهيد للثورة حين أرادوا عام 1961 التخلص من الإمام في الحديدة، إلا أنه نجا من القتل مثقلاً بالجراح التي لازمته حتى وفاته في 19 سبتمبر 1962، فخلفه ابنه البدر محمد الذي أعلن تمسكه بخط أبيه في السياسة والحكم. وكانت قناعة القوى الوطنية في البلاد لإحداث التغيير الجذري في طبيعة الحكم قد دفعت بترتيبات الثورة قدماً، وبعد أسبوع فقط من تولي الإمام البدر مقاليد الحكم، أي في 26 أيلول/سبتمبر 1962، انفجرت الثورة اليمنية التي أطاحت بالإمامة جسداً وفكراً.

بعد عام فقط من قيام الثورة في شمال اليمن، قامت ثورة يمنية أخرى في 14 أكتوبر/ تشرين الأول 1963 تنطلق من جبال ردفان (الجنوب اليمني) ضد المحتل البريطاني، لتقض مضجعه، ولتجبره على الرحيل في 30 نوفمبر/ تشرين الثاني عام 1967، بعد أربع سنوات فقط من اندلاع الثورة. ورغم جلاء الاستعمار البريطاني، وتوحيد السلطنات المتعددة في جنوب اليمن، إلا أن أهل اليمن قد شهدوا أول

انتكاس قوي لأمانيهم في إعادة توحيد اليمن الذي شطرهُ الغرباء. فاليمن طوال تاريخه الذي مر بنا لم يُشطر رسمياً إلا من قبل الغرباء. أما ما حدث في اليمن من دول ودويلات تقاتلت على السيادة والنفوذ، فيجب أن لا يكون مستغرباً إن قلنا إن تاريخ تلك الدول والدويلات بما فيه من حروب من أقوى الأدلة على وحدة التراب والإنسان اليمني، إذ كانت تلك الدول أو الدويلات تتسمى بأسماء أسرية: صليحية، رسولية، طاهرية، كثيرية قعيطية... الخ، داخل اليمن، وتحاول كل دولة أن تفرض سيطرتها على اليمن بكامله ولا تقبل بوجود جزء منه تحت سلطة دولة أخرى، في حين أنها لم تتجه لتجاوز ذلك والاعتداء على الآخرين خارج نطاق اليمن؛ أي أن كل الدول والدويلات اليمنية كانت تعي الحدود الجغرافية التي تسعى في إطارها لبناء دولة يمنية كبرى قوية، ولم تحاول أي من الدول الموحدة لليمن والقوية أن تتجاوز ما اعتبرته المجال الجغرافي الحيوي لتوسعها لتذهب معتدية إلى غير بلاد. وعليه فإن تبادل النصر والهزيمة بين الدول اليمنية المختلفة وداخل إطار جغرافي محدد هو الذي صاغ الوجدان اليمني وحدوده الجغرافية. ولا يجوز أبداً فهم الحروب بين الدول اليمنية على أنها حروب من أجل حدود جغرافية أو بين أقوام لا صلة لبعضهم ببعض. يكفي أن نشير أن اسم اليمن ظل موحداً رغم تنوع أسماء الدول والدويلات، وهو الاسم الذي شطره لأول مرة -كما ذكرنا- الإنكليز والأتراك في اتفاقية الحدود بينهم عام 1914، وحاولوا صياغة شخصية خاصة لجزء من اليمن تتباين الأخرى. لذلك لا غرابة في

أن يبدو هذا التشطير القصير العمر نسبياً نشازاً في تاريخ اليمن. وهذا الوضع النشاز هو الذي حافظ على مشاعر اليمنيين تجاه الوحدة كمخزون وطني ضاغط على الحكام الذين لم يستطيعوا تجاوزه، وإن أوهموا أنفسهم بأنهم قادرين، ولذلك كانت الانتكاسة النفسية كبيرة لدى اليمنيين وهم يرون أن الأجنبي الآخر الذي شارك في التشطير يجبر على الرحيل ولا تتم الوحدة بعد رحيله.

لم تتم الوحدة بعد جلاء الإنكليز بفعل تشابك وتعقد الاتجاهات السياسية وهيمنة الأيديولوجيا على طبيعة أنظمة الحكم العالمي آنذاك والمؤثرة على مصائر البلدان الصغيرة والضعيفة، وأخذ الشطران تحت تأثير الأيديولوجيات السياسية والوضع العالمي القائم يبتعدان سياسياً عن بعضهما. ولم يكتف الشطران بالابتعاد عن بعضهما، لكنهما خاضا حربين داميتين في الأعوام 1972 و 1979. وظلت أشواق اليمنيين نحو الوحدة تعبر عن نفسها بأشكال شتى وفي كل اتفاقية عقب كل حرب أو أزمة في العلاقة بين الشطرين إلى أن تحققت الآمال بإعلان الوحدة اليمنية وقيام الجمهورية اليمنية في 22 مايو/ أيار 1990.

اليمن الجديد بعد الوحدة

اتجه الحزبان الحاكمان (في شطري اليمن سابقاً) المؤتمر الشعبي العام، والحزب الاشتراكي اليمني، نحو الوحدة في ظل فشل التجربتين في إحداث التنمية الشاملة، خاصة في الشطر الجنوبي

من اليمن، وكانت أدبيات الحزبين تشير إلى أن التطور الحقيقي لن يتم إلا في ظل دولة الوحدة، ورأى الحزبان أن قضية الوحدة هي القضية الرئيسية لتقدم اليمن، وضَمَّن كلا الحزبين، في أدبياتهما، وأهدافهما، أهمية الوحدة للقضاء على كل عوامل التخلف، والنهوض باليمن.

ومع قيام الوحدة اليمنية في 1990 أخفق الحزبان في تحقيق أهداف الوحدة المنشودة، حيث ظهر الكثير من المشاكل والتعقيدات أدت إلى كثير من الصراعات والأزمات، التي أعاقت من بناء اليمن الحديث، وانتهاء السنوات الأربع الأولى من عمر الوحدة، بحرب مسلحة، نتيجة إعلان الحزب الاشتراكي للانفصال في الجنوب. تلا ذلك تضميد جراحات الحرب لسنوات.

تم الإعلان عن قيام التعددية الحزبية في اليمن بشكل متزامن مع الإعلان عن الجمهورية اليمنية في 22 مايو/ أيار 1990، وتعزز ذلك بصدور القانون المنظم للأحزاب بتاريخ 16 أكتوبر/ تشرين الأول 1991.

الجيش في العهد الجمهوري

تُوِّج نضال الشعب اليمني وحركاته الوطنية، باندلاع ثورة السادس والعشرين من سبتمبر/ أيلول عام 1962، تحت قيادة تنظيم الضباط الأحرار. وقد كانت إحدى المهام المباشرة للنظام الجديد، بناء جيش وطني قوي، لحماية البلاد، والدفاع عن مكاسب

الثورة. لذلك سارعت الجماهير للانخراط في صفوف الجيش، من أجل الدفاع عن الثورة. أُسند منصبا رئيس الجمهورية، القائد العام للقوات المسلحة، إلى المشير عبدالله السلال، وتولى كبار الضباط مثل الجائفي، والعمري، والخولاني، وغيرهم، مناصب مهمة في المجلس التنفيذي، وبقية المؤسسات.

وظهر الجيش مرة أخرى على المسرح السياسي عام 1968، عندما حدثت المواجهة، بين صغار الضباط في الجيش، من جهة، وكانوا يدعمون النظام الجمهوري، وكبار الضباط والشيوخ، المنادين بضرورة عودة أصدقائهم الملكيين، ومشاركتهم السلطة، من جهة أخرى. وقد تمكن التحالف الأخير، نتيجة للأخطاء التي ارتكبتها عناصر الكفاح الوطني من صغار الضباط (بعث - قوميون عرب - ماركسيون - ناصريون)، من استبعاد صغار الضباط وتصفية أنصارهم وقصف مقر الاتحاد العام لعمال اليمن، وسُرِّح الوطنيون من مناصبهم، وبدأت طوابير من الملكيين، تصل صنعاء، وتسلموا مناصب في قمة السلطة، وتم استبعاد الفريق حسن العمري من الجيش ومن المناصب الأخرى، وتم تعيين المقدم محمد الأرياني بدلاً منه عام 1971. وكانت قيادة الجيش الفعلية بيد المقدم إبراهيم الحمدى، الذى قاد انقلاباً فى 13 يونيو/ حزيران 1974، وسيطر على مقاليد الحكم، ولكنه اغتيل بتاريخ 11 أكتوبر/ تشرين الأول 1977، ولم يستمر خليفته الرئيس أحمد الغشمي إلا قرابة ثمانية أشهر فقط، إذ تم إغتياله بتاريخ 24 يونيو/ حزيران 1978 ليخلفه الرئيس علي

عبد الله صالح. هذا فضلاً عن الصراعات التقليدية بين القبائل في ما بينها، وبينها وبين والدولة، والنزاع حول السلطة بين الرئيس إبراهيم الحمدي ومشايخ القبائل، والرئيس الغشمي وأنصار الرئيس الحمدي. وحتى بعد تولي الرئيس صالح للسلطة عام 1978.

خط زمني لتاريخ اليمن

- القرن 30-25 ق.م: حركة القبائل القديمة شمالاً وجنوباً. سكن الأكاديون والعماليق شمال شبه الجزيرة العربية بينما قطن قحطان وعاد الجنوب.

- القرن 23 ق.م: اتحدت قبائل الجنوب تحت لواء قحطان.

- القرن 21 ق.م: استوطن عاد عُمان إلى الشرق من قحطان.

- القرن 20 ق.م: بدأ القحطانيون ببناء سدود صغيرة وقنوات وهو ما سيشكل النواة لما سيُعرف بسد مأرب.

- القرن 19 ق.م: قبيلة جرهم القحطانية تلتقي بإسماعيل (ابن إبراهيم) الذي من نسله يأتي عدنان الذي ينتسب إليه العرب العدنانيون.

- القرن 16 ق.م: بدأ القحطانيون بالانتقال إلى سواحل تهامة، حيث تزدهر تجارتهم على طول ساحل البحر الأحمر. خلال هذه الفترة بدأوا بإنشاء مستعمرات تجارية صغيرة في شرق أفريقيا.

- القرن 12 ق.م: طبقة «المكربين» السبئيين تبدأ حكمها في جنوب الجزيرة وبعض من شرق أفريقيا.

- القرن 11 ق.م: عهد الملكة بلقيس التي ذُكرت في الكتاب المقدس والقرآن.

- القرن 9 ق.م: ظهور الأبجدية الفينيقية سانحة الفرصة في تسطير التاريخ بدءاً من هذا العهد.

- القرن 8 ق.م: أسست ممكلة معين عاصمتها براقش. في نفس هذا القرن بنى السبئيون عاصمتهم على حافة جبال صرواح، كما ظهرت كل من قتبان وحضرموت كقطاعين تابعين لمملكة سبأ شرق اليمن. تلت تلك الأحداث ظهور أمّة مستقلة اسمها أوسان، ما لبثت أن أصبحت تحت سيطرة القتبانيين جزئياً.

- 719 ق.م: الانتهاء من تشييد معبد مأرب.

- 718 ق.م: نشوب حرب بين معين وسبأ.

- 716 ق.م: سبأ تؤمن حدودها مع معين وتنقل عاصمتها إلى مأرب.

- 715 ق.م: سبأ تتحكم بخط التجارة وتبدأ علاقات دبلوماسية مع آشور.

- 715 ق.م: الانتهاء من بناء سد مأرب.

- 700 ق.م: بنى القتبانيون تمنع وثاروا على سلطة سبأ.

- القرن السادس ق.م: ازدهار حضارة سبأ وتوسعها على البحر الأحمر وشرق أفريقيا.

- القرن الخامس قبل الميلاد: انهيار سد مأرب، تلاه معاناة سبأ من الجفاف والثورات واستقلال كل من معين، قتبان وحِميَر مع نهاية القرن.

- 370 ق.م: مهاجمة قبائل قتبان لمسقط واختلاط الجنس القحطاني بقوم عاد.

- 110 ق.م: ثورة حِميَر على قتبان.

- القرن الأول قبل الميلاد: ذبول معين تدريجياً مع سيطرة الرومان على طرق التجارة البحرية في الوقت الذي توسعت فيه مملكة حِميَر.

- 100 ق.م: بقايا قبائل جرهم في نجد والحجاز توحِّد أنسابها تحت اسم «نزار بن معد بن عدنان».

- 25 ق.م: نشوب حرب أهلية سبئية تنتهي بتقسيم سبأ إلى دويلتين صغيرتين قرب العاصمة مأرب.

- القرن الأول الميلادي: طغت أكسوم على شرق أفريقيا

واستولت على المستعمرات وطرق التجارة السبئية بينما ازداد نفوذ حِميَر.

- القرن الثاني للميلاد: استيطان اليهود في اليمن واستيلاء حِميَر على معظم قتبان وولاية مأرب السبئية.

- 217 ميلادية: استولى الأكسوميون على ظفار عاصمة حِميَر.

- 221 ميلادية: استولت حضرموت على قتبان وبلغت أوج قوتها.

- 225 ميلادية: استولت حضرموت على عاصمة سبأ وحِميَر مستغلة الصراعات بينهما.

- 227 ميلادية: تحالفت سبأ وحِميَر واستعادتا ظفار من الأكسوميين.

- 229 ميلادية: سيطر الحِميَريون على جنوب تهامة.

- 300 ميلادية: استولى الحِميَريون على حضرموت وتوسعوا حتى عمان.

- 320 ميلادية: استولى الحِميَريون على سقطرى.

- القرن الخامس الميلادي: انتشرت الديانة المسيحية في نجران وتهامة. كما رحل اليهود من يثرب إلى حِميَر أملاً منهم في دعوة قبائل حِميَر لاعتناق اليهودية ونجحوا في ذلك ما عدا في نجران.

- 525 هزم الأكسوميون المسيحيون ذا نواس واستولوا على حِميَر مستهلين عصراً جديداً تميز باضطهاد اليهود.

- 570 انهيار سد مأرب للمرة الثالثة والأخيرة متسبباً في هجرة القبائل اليمنية مرة أخرى. يشير القرآن إلى ذلك معللاً السبب بأنه عقوبة للسبئيين لما أنكروا نعمة الله.

- 570 ميلادية: ذو يزن وقوات فارسية أجلت الأكسوميين من اليمن. فيما بعد اغتال الفرس ذا يزن في محاولة فاشلة للسيطرة على اليمن.

- 630 توسع الخلافة الإسلامية في اليمن.

- 897 انفصال اليمن عن الخلافة العباسية وبداية حكم الزيديين انطلاقاً من صعدة ثم صنعاء.

- 1173 خضعت اليمن لسيطرة الأيوبيين.

- 1229 سلالة الدولة الرسولية في اليمن حتى 1453.

- 1517 سيطرة العثمانيين على بعض من اليمن.

- 1635 خروج العثمانيين من اليمن.

- 1839 الاحتلال البريطاني لعدن بعد افتتاح قناة السويس.

- 1872 احتلال العثمانيين لشمال اليمن.

- 1918 انتهاء فترة الحكم العثماني في اليمن وبداية عصر

الأئمة الزيديين.

- 1948 اغتيال يحيى حميد الدين وتولي ابنه الإمام أحمد الحكم.

- 1962 قيام ثورة شمال اليمن ضد الحكم الإمامي بمساعدة من مصر.

- 1963 بداية ثورة جنوب اليمن ضد الاحتلال البريطاني.

- 1968 استقلال جنوب اليمن كلياً عن الاحتلال البريطاني.

- 1990 الوحدة بين شطري اليمن.

- 1994 الحرب الأهلية في اليمن.

- 2004 نزاع صعدة الذي تطور إلى الحروب الحوثية المستمرة.

المذهب الزيدي في اليمن

يُنسب المذهب الزيدي إلى الإمام زيد بن علي زين العابدين بن الحسين الشهيد ابن علي بن أبي طالب. وُلد في المدينة المنوّرة سنة 80 للهجرة (699م)، ونشأ وتربى في كنف أبيه علي بن الحسين الذي اشتهر بالزهد والعلم والعبادة حتى لقّب بالسجاد وبزين العابدين. وبعد وفاة أبيه سنة 94هـ (712م) تتلمذ على أخيه الأكبر محمد الباقر (الإمام الخامس عند الشيعة الاثني عشرية التي لا تعتبر زيداً ضمن سلسلة أئمتها)، وعاصر ابن أخيه الإمام جعفر الصادق (الإمام السادس عند الاثني عشرية وأساس مدرستها الفكرية ومؤسس مذهبها الفقهي المنسوب إليه باسم الجعفرية)، وقد تميّز عنه بخروجه على حكم بني أمية في عهد هشام بن عبد الملك بن مروان بثورة انتهت باستشهاده في شهر ذي الحجة سنة 122هـ (740م). اتصل زيد بواصل بن عطاء رأس المعتزلة وتدارس معه العلوم، فتأثر به وبأفكاره التي نقل بعضها إلى الفكر الزيدي، وإن كان هناك من ينكر وقوع هذا التتلمذ، وهناك من يؤكد وقوع الاتصال دون التأثر. كما تتلمذ عليه أبو حنيفة النعمان (رأس المذهب الحنفي) وأخذ عنه العلم كما أخذ عن الإمام جعفر الصادق. والمعروف المشهور أن أبي حنيفة دعم

خروج زيد على الحكم وخروج محمد بن عبد الله بن الحسن المثنّى بن الحسن بن علي بن أبي طالب (والملقب بالنفس الزكية). وزيد ومحمد النفس الزكية هما من غير الأئمة الذين يعترف الشيعة الاثني عشرية بإمامتهم، برغم كونهما من آل البيت ومن أبناء علي وفاطمة، في حين رفض رأس الشيعة يومذاك الإمام جعفر الصادق دعم عمه زيد أو محمد النفس الزكية، أو غيرهما من شيعة أهل البيت الذين تكاثرت ثوراتهم بعد مقتل الإمام الحسين المأساوي، ونصحهم جميعاً بعدم الخروج أو الانتفاض المسلح ضد الحكم القائم.

وقد وضع زيد أُسس المذهب الذي نُسب إليه، وأهمها القول بأفضلية علي بن أبي طالب وأولويته بالإمامة بعد وفاة النبي محمد ومن بعده الحسن ثم الحسين، وحصرها من بعدهم في «البطنين» أي ذرية أحدهما الحسن أو الحسين من أبناء فاطمة بنت الرسول، لمن اكتملت له شروطها مع وجوب الدعوة العلنية الصريحة والخروج لقتال الظلمة الجائرين (كما فعل زيد في زمن جعفر الصادق). ولكن الفكر السياسي المنسوب للزيدية جُمِع على يد تلاميذه بعد وفاته، ومنه كتبٌ منسوبة إليه فيها كثير من الغموض حول العديد من الأمور التي يبدو اختلاطها بالفكر الشيعي الإمامي الاثني عشري (وهذا سيكون له دور كبير في نشوء الحوثية كما سنرى). فالفِرَق الزيدية اللاحقة هي التي تولت كتابة الفكر الزيدي ومافيه من اختلافات.

ففي حين يعتبر بعض الباحثين الزيديين أن فكر الإمام زيد لا يقول بالنص الخفي أو الجلي على علي وولديه الحسن والحسين، ينشر محمد سالم عزان (مؤسس تنظيم الشباب المؤمن الذي منه خرجت الحوثية) تحقيقه لكتاب منسوب لزيد عنوانه «تثبيت الوصية»[3]. وفيه القول بالنص على الإمام علي وولديه، ويستند إلى نفس أسانيد الاثني عشرية، كآيات التطهير والمودة والمباهلة وحديث الثقلين. ولكنه في نفس الوقت ينكر النص على اثني عشر إماماً، ويثبته ويحصره بالحسن والحسين بعد علي؛ ومن هنا قول الزيدية بحصر الإمامة في البطنين لمن اكتملت له شروطه، والخروج والدعوة العلنية الصريحة (وهذا تمييز واضح عن الجعفرية). فأولى الناس بعد الحسن والحسين ذريتهم: «أفضلهم وأعلمهم بالدين (هذه هي الشروط الواجبة الاكتمال)، الداعي إلى كتاب الله الشاهر سيفه في سبيل الله... فإن لم يدع منهم داعٍ، فهم أئمة للمسلمين في حلالهم وحرامهم، أبرارهم وأتقياؤهم»[4]. أما إمامة السياسة فلا تُنال إلا بالدعوة العلنية والجهاد في سبيل الله[5].

وفي المخطوطة أيضاً أن «من يكذّب آل محمد في شيء فكأنه إنما يكذّب الله، لأن الله قد اصطفاهم وأذهب عنهم الرجس وطهّرهم تطهيرا»[6].

---

3 – صنعاء، دار التراث اليمني، 1992.

4– الإمام زيد: تثبيت الوصية، ص 48.

5 – المرجع السابق، ص 49.

6 – المرجع السابق، ص 52.

ونقرأ في كتاب آخر للفقيه والعالم الزيدي أبي سعيد نشوان الحِميَري (ت 573هجرية، 1185م) نصاً منسوباً لزيد يقول فيه جواباً على سؤال عن إمامة علي والحسنين أن علياً كان إماماً للمسلمين في حلالهم وحرامهم وفي السنّة عن نبي الله وتأويل كتاب الله. ثم كان الحسن والحسين... فوالله ما ادعيا منزلة رسول الله... وكانا إمامين عدلين، فلم يزالا كذلك حتى قبضهما الله تعالى شهيدين، ثم كنا ذرية رسول الله من بعدهما ولد الحسن والحسين ما فينا إمام مفترضة طاعته...»[7]. فيبدو أن المقصود بالإمامة إمامة العلم والفقه لا إمامة السياسة، إذ إن علياً كان الإمام في العلم والفقه زمن الخلفاء من الصحابة حتى انتخابه ثم إشهاره سيفه وإظهار دعوته، فأصبح إمام سياسة وخليفة للمسلمين تجب طاعته. وفي مكان آخر من كتاب الحِميَري عن زيد أنه قال إن الإمام من أهل البيت المفروض عليهم وعلى المسلمين طاعته «هو من خرج مقاتلاً، آمراً بالمعروف وناهياً عن المنكر، داعياً إلى كتاب الله وسنّة نبيه. فأما عبدٌ جالسٌ في بيته مرخٍ عليه ستره، يجري عليه أحكام الظالمين، لا يأمر بمعروف ولا ينهى عن منكر، فأنّى يكون ذلك إماماً مفروضة طاعته»[8]. وفي كتاب آخر من كتب الزيدية المعتبرة والمعتمدة، وهو كتاب «الروض النضير، شرح مجموع الفقه الكبير»، لمؤلفه شرف الدين الحسين بن أحمد بن الحسين بن أحمد بن علي بن محمد بن سليمان بن صالح

---

7 – نشوان الحيمري، الحور العين، تحقيق د. كمال مصطفى (بيروت: دار آزال للطباعة والنشر والتوزيع، ط2، 1985)، ص ص18–19.

8 – المرجع السابق، ص242.

السياغي (ت 1221م)[9]. نقرأ جواباً مختلفاً لزيد حول سؤال عن الإمامة: «هي في جميع قريش ولا تنعقد الإمامة إلا ببيعة المسلمين، فإذا بايع المسلمون وكان الإمام براً تقياً عالماً بالحلال والحرام فقد وجبت طاعته»[10]. والروض النضير شرح لأهم كتب الفقه الزيدية وهو كتاب «المجموع في الفقه والحديث»، قيل إن الذي جمعه هو أبو خالد عمرو بن خالد القرشي الكوفي الواسطي الذي لازم زيداً في حله وترحاله، ويُنسب اليه أيضاً كتاب آخر لا يقل أهمية هو «مسند الإمام زيد»[11].

وفي كتب التاريخ أيضاً أن زيداً بن علي بن الحسين أقرّ بخلافة الشيخين (أبي بكر وعمر) وقال «إنهما وُلِّيا فعدَلا وعملا بالكتاب والسنّة»، وقد رفض البراءة منهما برغم حاجته لدعم الشيعة من أهل الكوفة في صراعه مع بني أمية[12].

باختصار فإن الفكرة الأساسية الواضحة والتي لا خلاف عليها ولا غموض حولها عند الزيدية هي فكرة استمرار وجود الإمام (لا غيبته)، وفكرة الخروج والثورة على الحاكم الجائر كشرط أساسي ولازم لكل من استوفى شروط الإمامة... وهذه الفكرة هي

9 – الطائف، مكتبة المؤيد، ط2، 1986، 5 أجزاء.

10 – الروض النضير، ج5، ص17–18.

11 – مسند الإمام زيد: رواية أبي خالد الواسطي (بيروت: منشورات دار مكتبة الحياة، 1966).

12 – انظر تاريخ الطبري (القاهرة: دار المعارف 1964، ج7)، ص 180. ونشوان الحِميَري، مرجع سابق، ص238–239. وانظر أيضاً: الخطط المقريزية (القاهرة: مؤسسة الحلبي وشركاؤه للنشر والتوزيع، لات، ج2)، ص 351.

الفاصلة والمميزة لهم عن بقية فرق الشيعة وخصوصاً الاثني عشرية التي اعتمدت على فكرة وجود المهدي وغيبته ثم الانتظار والتقية.

ولعل في غموض وتضارب النصوص وفي تفاوت الفهم حول المدلول الحقيقي لفكرة الإمامة عند زيد، يكمن السبب المباشر في تعدد فرق الزيدية منذ استشهاد زيد. فقد خرجت أولاً فرق الجارودية والصالحية والسليمانية (القرن الثاني للهجرة) ثم فرقة القاسمية (القرن الثالث)، ثم ظهر الإمام الهادي يحيى بن الحسين بن القاسم الرسي في اليمن أواخر القرن الثالث الهجري، وهو مؤسس المذهب الزيدي الهادوي الذي تزامن مع تأسيس دولة الأئمة الزيدية في اليمن... وقد كانت بداية دولته عند قدومه الثاني تلبية لدعوة وعهد قبائل صعدة سنة 284 هجرية.

الفرَق الزيدية

1- الجارودية من الزيدية تُمثّل الاتجاه الأكثر ميلاً إلى الشيعة الاثني عشرية. إذ إن أبي الجارود زياد بن منذر الهمذاني كان من أتباع الإمام محمد الباقر ثم ابنه جعفر الصادق إلا أنه تركهما ولحق بزيد مقاتلاً فجمع بذلك بين فكرة الخروج والثورة وبين نظرية الإمامية في الاعتقاد بالمهدي المنتظر وهي نظرية لا تعتقد بها الزيدية الرسمية. وتقول الجارودية إن النبي نصّ على علي بن أبي طالب بالإشارة وبالوصف وبالتعيين، وإن الأمة قد كفرت وضلت في ترك بيعته. وإن علياً نصّ على الحسن والحسن نصّ على الحسين. وحصروا الإمامة

في البطنين (أي ذرية أحد الحسنَين) على شرط توفر صفات معينة في الإمام الداعي إلى نفسه، واعتبار الخروج شرطاً لصحة انعقاد الإمامة. كما آمنوا بالمهدي وإنما اختلفوا في تعيينه من بين أبناء فاطمة، وبعضهم انتظر محمد النفس الزكية وغيرهم، انتظر محمد بن القاسم بن عمر بن الحسين المعروف بصاحب الطالقان.

2- ثم هناك فرقة الصالحية أو البترية التي تنتسب إلى الحسن بن صالح بن حي الهمذاني، وهي أقرب الفرق إلى أهل السنّة، نظراً لموقفهم المعتدل من الصحابة. وهم يقبلون خلافة الصحابة غير علي، باعتبار أن علياً قبل بذلك في حياته (إمامة المفضول مع وجود الأفضل) ولكنهم يتمسكون بالإمامة في ذرية فاطمة فيمن قام ودعا من أولاد الحسنين وذريتهما. كما يقبلون بوجود إمامين في نفس الوقت في قطرين متباعدين.

3- والفرقة السليمانية أو الجريرية تنتسب إلى سليمان بن جرير الرقي الذي كان من أتباع جعفر الصادق، إلا أنه انفصل عنه ولحق بالصالحية ثم اختلف معها ببعض الآراء فخالف كل فرق الزيدية التي جعلت الإمامة في أبناء فاطمة من ذرية الحسنين وجعلها شورى تصلح لمن يصلح لها ويقدر على تحمل أعبائها والقيام بواجباتها.

وهكذا نرى أن الفكر السياسي الزيدي جمع بين الاتجاه الشيعي الإمامي عن طريق الجارودية، والاتجاه السنّي الفقهي عن طريق أتباع أبي حنيفة ممثلاً في الصالحية والسليمانية، إضافة إلى

تيار المعتزلة عن طريق واصل بن عطاء. وفي ذلك أمكن القول بأن الزيدية معتزلة في الأصول، أحناف في الفقه والفروع[13].

وبحسب الباحثة أشواق محمد مهدي غُليس[14]، فإن أفكار الفرق الجارودية والصالحية والسليمانية «شكلّت الخط الفكري والإطار المرجعي لفكر الإمامة عند علماء الزيدية وأئمتها اللاحقين، حيث انقسمت الزيدية إلى تيارين أساسيين أولهما يميل أكثر إلى أفكار الشيعة الإمامية ويرى أن الإمامة من أكبر مسائل أصول الدين وأعظمها، متشدداً بالتمسك بأحقية آل البيت في الإمامة، والتيار الثاني يرى أن الإمامة تصح في جميع قريش ومن ثم لا يصح حصرها في أي فرع من الفروع أو في سلالة أسرة معينة»[15]. وترى الباحثة أيضاً أن فشل ثورات آل البيت المتتالية في إسقاط الدولة العباسية أدى إلى إحداث تحول حركي وفكري في الحركة الزيدية. فنجح إدريس بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب (وهو أخو محمد بن عبدالله الملقب بالنفس الزكية والذي خرج مع زيد في ثورته ضد بني أمية) في إقامة دولة الأدارسة الزيدية في المغرب (172هـ/ 788م). كما نجح حسن بن علي بن عمر بن الحسين بن علي (والمعروف بحسن الأطروش) في إقامة دولة زيدية في الديلم وطبرستان (280هـ/ 893م). غير أن سقوط هذه الدول سريعاً بعد

13 - انظر عبد العزيز المقالح: قراءة في فكر الزيدية والمعتزلة (بيروت: دار العودة، 1982)، ص18-24.

14 - التجديد في فكر الإمامة عند الزيدية في اليمن (القاهرة: مكتبة مدبولي، 1997).

15 - المرجع السابق، ص59 – 60.

فشل عدة ثورات أدى إلى مزيد من التشدد في إثبات أحقية أهل البيت في الحكم. وظهر ذلك في الميل الزيدي اللاحق إلى «القول بالنص الجلي وفي التحول من الدعوة العلنية الصريحة ومن الخروج والثورة، إلى السكون والمهادنة من خلال إيجاد إطار فكري جديد يبرّر هذا التحول»[16].

هذا الإطار الفكري الجديد قدّمه القاسم بن إبراهيم بن إسماعيل بن إبراهيم بن الحسن بن الحسن ابن علي بن أبي طالب، (169-264هـ/786- 878م)، الملّقب بالرسي نسبة إلى ضيعة كانت له جهة المدينة يقال لها الرس، وقيل بل هو جبل (يقع على بعد 50 أو 60 كلم عن المدينة اليوم على طريق ينبع القديم وقد يُسمى اليوم الفريش أو الداردیع)، سكن هذا الجبل هُو وأبناؤه بعد أن اشتدت ملاحقة المعتصم العباسي له وبعدَ أن بايعه بالإمامة الإمام الفقيه أحمد بن عيسى بن زيد بن علي زين العابدين بن الحسين السبط (ت 247)، والإمام عبدالله بن موسى الجون بن عبدالله بن الحسن المثنى بن الحسن السبط الجد الجامع لأغلب أشراف الحجاز (ت 247)، والإمام الحسن بن يحيى بن الحسين بن زيد بن علي زين العابدين بن الحسين السبط (ت 260). وقبر الإمام القاسم وقبور أولاده في مقام مشهور في الرس بالمدينة المنورة.

16 - المرجع السابق، ص64.

يمكن اعتبار القاسم الرسي قائد التحول الأساسي في الزيدية بخصوص مسألة الإمامة التي كانت مدار معظم كتاباته والتي أفرد لها رسالتين منفصلتين هما «تثبيت الإمامة» و«الرد على الروافض»[17]. وقد رفع القاسم الرسي الإمامة إلى مقام الفرائض (لا تقوم فريضة إلا بها) وإلى مرتبة النبوة، رافضاً مبدأ الشورى بطبيعة الحال، معتبراً الإمامة نصاً جلياً واختياراً محدداً من الله لعلي وولديه الحسن والحسين ثم في ذريتهما (البطنين). إلا أننا نلاحظ فرقاً واختلافاً في النصوص المنسوبة إلى القاسم بخصوص مبدأ الدعوة والخروج. ففي رسالته في الرد على الروافض يعتبر القاسم القعود عن إظهار الدعوة وعدم إظهار الحق والجلوس في البيوت وإظهار التقية، مخالفة صريحة لمبدأ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر[18].

أما في رسائله حول العدل والتوحيد[19]، فإن القاسم الرسي دعا إلى اجتناب الفاسقين الظالمين وعدم مجالستهم على لهوهم ومعاصيهم مع عدم الاشتراط بكون السيف هو الأسلوب الوحيد للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إذ يمكن أن يكون ذلك بما دون السيف وأدنى كالتغيير باللسان فإذا لم يتمكن المكلف من ذلك لخوفه الهلاك أو لتقية يراها فله أن ينكر ذلك بالقلب، والعزم على التغيير إذا أتيحت

---

17 - مخطوطتان بدار الكتب المصرية، المكتبة اليمنية، ميكروفيلم 343 و347. وهاتان الرسالتان متوفرتان اليوم على المواقع الإلكترونية الخاصة بالأسرة الشريفة أو بالزيدية عموماً.

18 - مخطوط الكتاب، ص108- 109.

19 - انظر: الحسن البصري وآخرون، رسائل العدل والتوحيد، دراسة وتحقيق محمد عمارة، القاهرة، دار الشروق، ط2، 1988.

له الفرصة[20]. ولعل تغيّر المفهوم والفكرة راجع إلى تغيّر الظروف السياسية خصوصاً بعد مبايعة كل وجوه أهل البيت من نسل الإمام علي للقاسم الرسي (سُميت البيعة الجامعة). وهذا التحول الفكري في النص الزيدي التأسيسي استقبله الشيعة الإمامية الاثنا عشرية بالترحيب والقبول حتى أنهم جعلوا رسائل الرسي في تثبيت الإمامة من مصادر الإمامة في تراثهم[21].

تقول المصادر الزيدية إنه قبل وفاة الإمام الرسي بعام واحد «بُشّر الإمام القاسم بولدٍ لابنه الحسين فسمّاه يحيى وبَشرَ به وأخبر بأنَّ له شأناً. ربى ونشأ يحيى بن الحسين (245-298هـ/ 859-911م) في كنف أهل البيت حتى اشتدّ عوده وذاعَ صيته في مجالس العلم والعلماء، فأتته قبائل اليمن تطلب منه القدوم إلى اليمن، مُبايعين له على السمع والطّاعة، آملين من اللّه أن يكون خلاص اليمن مما هُم فيه من فتنٍ على يديه وعلى يدي علمه وشجاعته». وفعلاً نجحَ يحيى بن الحسينً (الذي أصبح يُلقَّب بالإمام الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين بن القاسم الرسي) في اكتساح كل اليمن من الشمال إلى الجنوب وفي إرساء دولةٍ زيديةٍ، مركزها صعدة، إلا أنه اضطر لقتال القبائل التي ظلت تدين بالولاء للدولة العباسية، في صنعاء والجنوب، فتقلصت مساحة دولته حتى انكفأ إلى صعدة ونجران وما حولها. ولم يدخل

---

20 - المرجع السابق، عمارة، ص 156. وانظر تحليلاً وافياً في: غُليس، مرجع سابق، ص ص 64 - 96.

21 - انظر: عبد الجبار الرفاعي، الإمامة، تعريف بمصادر الإمامة في التراث الشيعي، القسم الثالث، مجلة تراثنا، بيروت، العدد الثالث، 1410هـ، ص117-118.

صنعاء بعدها إلا حين استدعاه أهلها لمواجهة هجوم الإسماعيليين عليها بقيادة علي بن الفضل. وقد نجح الهادي في كسب الأحناف إذ كان مذهب أبي حنيفة قوياً في اليمن وخصوصاً صنعاء، بسبب سيادته أصلاً في الدولة العباسية ثم في بقية الدول حتى العثمانية، كما كان المذهب الشافعي قوياً في معظم الجنوب. وكان الهادي كثير الاختيار من المذهب الحنفي بسبب الصلة الوثيقة بين المذهبين حتى قيل إن الزيدية معتزلة في الأصول (العقائد) أحناف في الفروع (الفقه)[22]. إلا أن الهادي قاتل بشدة الدعوة الإسماعيلية وقائدها في اليمن ابن الفضل. ومن يومها ظلت الحرب والعداوة مع الإسماعيليين قوية. وقد آلَ أمر دولة الهادي وحكمها من بعدِه إلى «الأكفّاء من بني الحسن والحسين نسلِ عليٍ وفاطمة الزهراء»، ودامت هذه الدولة بين مدٍّ وجزرٍ إلى قيام الجمهورية اليمنية الحالية سنة 1370هـ /1962م.

الأسس العقائدية والفقهية للزيدية اليوم

عمل فقهاء وعلماء الزيدية على رفد الصياغة القاسمية والهادوية للفكر الزيدي بأطر جديدة فقهية وعقائدية سمحت بتجديد هذا الفكر على الدوام وبنشوء تيارات واتجاهات في داخله. وأبرز الإجتهادات المعروفة المشهورة هي كتاب «مصباح العلوم في معرفة

22 – وهذا القول ردده أمامي مراراً المرحوم الشيخ محمد مهدي شمس الدين الذي كانت تربطه علاقات وثيقة بالكثيرين من أحرار اليمن خصوصاً من السادة والأشراف.

الحي القيوم» لأحمد بن الحسن بن محمد بن أبي بكر الرصاص (ت621هـ/1224م) والمعروف بالثلاثين مسألة في أصول الدين (عشر مسائل في التوحيد وعشر في العدل وعشر في الوعد والوعيد).
وتكمن أهمية الكتاب في عدة نقاط لعل من أهمها:

- أنه يُعتبر ملخّصاً وافياً لأصول المذهب الزيدي، إذ لا غنى لأحد عن هذه الرسالة المفيدة المهمة لمن أراد معرفة أسس وقواعد أصول هذا المذهب.

- أنه قام كثير من علماء الزيدية بشرح الرسالة وتحقيقها ولعل أهم من قام بذلك: العلامة أحمد بن محمد بن حمزة بن مظفر (ت875هـ/1470م)،والعلامةإبراهيم السحولي(ت1060هـ/1650م) وأحمد بن يحيى بن حابس (ت 1061هـ/1650م) وغيرهم.

ثم كانت اجتهادات أبو إدريس يحيى بن حمزة بن علي بن إبراهيم المنتهي نسبه إلى الإمام موسى الكاظم بن جعفر الصادق، والملقب بالمؤيد باللّٰه (ت749هـ/ 1348م)، والمعتبر في مقدمة أئمة الزيدية في الاجتهاد المطلق. ومن أشهر علماء ومجتهدي الزيدية أيضاً الإمام المهدي لدين اللّٰه أحمد بن يحيى المرتضى (763هـ-840هـ-1362/1437م) وينتهي نسبه إلى الإمام الهادي يحيى بن الحسين بن القاسم الرسي... ويُعد كتاباه «البحر الزخار الجامع لمذاهب علماء الأمصار»، و«متن الأزهار في فقه الأئمة الأطهار»، أهم كتب الزيدية على الإطلاق، حتى أنها صارت مصنّفة ضمن المقررات

في المدارس العلمية وكان الإفتاء والقضاء كله في اليمن قائماً على ما احتواه هذان الكتابان حتى اليوم... وقد انتشرت أيضاً كتب العلماء والمجتهدين الذين يشرحون هذين الكتابين فشكلت كلها الإطار العام للفقه الزيدي وتوحدّت فيها (خصوصاً كتابي البحر الزخار ومتن الأزهار) أسس المذهب، ومعها صار ممكناً الحديث عن اتجاه عام أو تيار فكري سائد في المذهب الزيدي هو الاتجاه أو التيار الرسمي اليوم... وأبرز أسس هذه الزيدية السائدة هي التالية:

- يجيزون الإمامة في كل أولاد فاطمة، سواء أكانوا من نسل الإمام الحسن أم من نسل الإمام الحسين.

- الإمامة لديهم ليست بالنص، إذ لا يشترط فيها أن ينص الإمام السابق على الإمام اللاحق، بمعنى أنها ليست وراثية بل تقوم على البيعة، ولكن فقط لمن كان من أولاد فاطمة واكتملت فيه شروط الإمامة وكان أهلاً لها.

- يقولون بوجوب الدعوة العلنية الصريحة والخروج على الإمام الظالم الجائر بإشهار السيف.

- والإمام الظالم الجائر لا تجب طاعته.

- يجوز لديهم وجود أكثر من إمام واحد في وقت واحد في قطرين مختلفين.

- تقول الزيدية بالإمام المفضول مع وجود الأفضل. إذ لا يشترط أن يكون الإمام أفضل الناس جميعاً بل من الممكن أن يكون

هناك للمسلمين إمام على جانب من الفضل مع وجود من هو أفضل منه على أن يرجع إليه في الأحكام ويحكم بحكمه في القضايا التي يدلي برأيه فيها.

- معظم الزيدية المعاصرين يقرون خلافة أبي بكر وعمر، ولا يلعنونهما، بل يترضون عنهما ويقرون بصحة خلافة عثمان مع مؤاخذته على بعض الأمور.

- يميلون إلى الاعتزال في ما يتعلق بذات الله، والاختيار في الأعمال. ومرتكب الكبيرة يعتبرونه في منزلة بين المنزلتين كما تقول المعتزلة.

- يرفضون التصوف رفضاً قاطعاً.

- باب الاجتهاد مفتوح لكل من يريد الاجتهاد، ومن عجز عن ذلك قلّد، وتقليد أهل البيت أولى من تقليد غيرهم.

- لا يقولون بعصمة الأئمة عن الأخطاء، كما لا يغالون في رفع أئمتهم.

- لكن بعض المنتسبين للزيدية قرروا العصمة لأربعة فقط من أهل البيت هم علي وفاطمة والحسن والحسين.

- لا يوجد عندهم مهدي منتظر.

- يستنكرون نظرية البداء الشيعية، حيث إن الزيدية تقرر أن علم الله أزلي قديم غير متغيّر وكل شيء مكتوب في اللوح المحفوظ.

- قالوا بوجوب الإيمان بالقضاء والقدر مع اعتبار الإنسان حراً مختاراً في طاعة الله أو عصيانه، ففصلوا بذلك بين الإرادة وبين المحبة أو الرضا وهو رأي أهل البيت من الأئمة.

- مصادر الاستدلال عندهم كتاب الله، ثم سنّة رسول الله، ثم القياس ومنه الاستحسان والمصالح المرسلة، ثم يجيء بعد ذلك العقل، فما يقر العقل صحته وحسنه يكون مطلوباً، وما يقر قبحه يكون منهياً عنه.

- يتمسكون بالعديد من القضايا التي يتمسك بها الشيعة كأحقية أهل البيت في الخلافة وتفضيل الأحاديث الواردة عنهم على غيرها، وتقليدهم، وزكاة الخمس، فالملامح الشيعية واضحة في مذهبهم.

- يخالفون الشيعة في زواج المتعة.

- يتفقون مع الشيعة في زكاة الخمس وفي جواز التقية إذا لزم الأمر.

- قولهم «حي على خير العمل» في الأذان على الطريقة الشيعية.

- صلاة الجنازة لديهم خمس تكبيرات.

- يرسلون أيديهم في الصلاة.

- صلاة العيد تصح فرادى وجماعة.

- يعدون صلاة التروايح جماعة بدعة.

- يرفضون الصلاة خلف الفاجر.

- فروض الوضوء عشرة بدلاً من أربعة عند أهل السنّة.

- تأثَّرَ الزيدية بالمعتزلة فانعكست اعتزالية واصل بن عطاء عليهم، وظهر هذا جلياً في تقديرهم للعقل وإعطائه أهمية كبرى في الاستدلال، إذ يجعلون له نصيباً وافراً في فهم العقائد وفي تطبيق أحكام الشريعة وفي الحكم بحسن الأشياء وقبحها فضلاً عن تحليلاتهم للجبر والاختيار ومرتكب الكبيرة والخلود في النار.

- أخذ أبو حنيفة عن زيد، كما أن حفيداً لزيد، وهو أحمد بن عيسى بن زيد، قد أخذ عن تلاميذ أبي حنيفة في العراق، وقد تلاقى المذهبان الحنفي السنّي والزيدي الشيعي في العراق أولاً، وفي بلاد ما وراء النهر ثانياً مما جعل التأثر والتأثير متبادلاً بين الطرفين.

تيار زيدي منفتح كثيراً على السنّة

منذ البداية وبسبب تعدد الروافد الفكرية والمنابع الفقهية والعقائدية تشكّل الفكر الزيدي الحديث من خليط جارودي سليماني صالحي. ولعبت السياسة الدور الأول في غلبة هذا الاتجاه أو ذاك في المراحل التاريخية المختلفة. وفي العصر الحديث خرج محمد بن إبراهيم الوزير(775هـ-840هـ/1373-1437م، وينتهي نسبه إلى الإمام الهادي إلى الحق)، على شيخه (محمد بن أبي القاسم

جمال الدين) الذي تعرّض للأشاعرة والسلفيين من أهل السنّة بحدّة وعنف. فأصدر ابن الوزير كتابه الشهير «العواصم والقواصم في الذب عن سنّة أبي القاسم»[23]، وفيه دعوة للزيديين إلى الاعتدال وإلى الوحدة وعدم التعصب إلا للحق وعدم الإساءة إلى الصحابة أو إلى أهل السنّة وبخاصة أهل السلف ورجال الحديث منهم. ومن هذا الموقف الأول خرجت دعوة محمد بن علي الشوكاني (1173هـ-1250هـ/1760-1834م، وقد تولّى منصب القضاء الأكبر والوزارة من العام 1209هـ/1795م وحتى وفاته) الذي استقبله السنّة بالترحاب الشديد، لا بل عدّوه من أئمة السلفية السنية. فهذا الإمام الزيدي القاضي والوزير في الدولة الزيدية صدم أهل المذهب حين تصدى لقدسية كتاب «متن الأزهار في فقه الأئمة الأطهار»[24]، ونقده في كتابه الأشهر: «السيل الجرار المتدفق على حدائق الأزهار»[25]، وبه واجه أئمة الزيدية والعائلات الشريفة في مسألة شروط الإمامة، كما واجه المذهب الزيدي برمّته في العديد من الأمور الفقهية آخذاً فيها جانب أهل السنّة. وقد خدم الشوكاني الدولة ودافع عنها وسار مع قادتها في حملاتهم العسكرية وأفتى بالقضاء على خصومها... الخ. حتى أن الكثيرين تساءلوا كيف يستقيم ذلك مع هدمه لنظريتهم في الإمامة ومخالفته لكثير من معتقداتهم الفقهية. والجواب يكمن في معرفة اختلاف الزيدية عن الاثني عشرية في قضية الاجتهاد. فالزيدية

---

23 - حققه وضبط نصه شعيب الأرناؤوط (بيروت: مؤسسة الرسالة، ط1، 1992).

24 - للإمام الزيدي المرتضى، انظر ما سبق.

25 - تحقيق محمود ابراهيم زايد (بيروت: دار الكتب العلمية، 1985).

إذ تدعو كما الجعفرية إلى الاجتهاد، إلا أنها تحرّم التقليد على من بلغ درجة الاجتهاد من علمائها مشترطة الاجتهاد لمن سعى في تولي منصبي القضاء والإمامة. لكنها من جانب آخر تحصر نطاق هذا الاجتهاد في الفروع دون الأصول وتقصر الاجتهاد المطلق على الأئمة المؤسسين للمذهب من آل البيت كالإمام زيد والإمام القاسم الرسي والإمام الهادي. وكل من جاء بعدهم عليهم الاقتصار على الاجتهاد في الفروع. وكل اجتهاد ينتهي إلى ما يُخالف الأصول المقررة لدى أئمة المذهب هو اجتهاد باطل. وتتحدد طبقات رجال المذهب بطبقة المؤسسين وطبقة المخرجين للمذهب، وطبقة المحصلين، وطبقة المذاكرين[26]. إضافة إلى ذلك فإن المنتمين إلى المذهب من غير أهل البيت والمشتهرين بالاجتهاد والفتوى (ومنهم الشوكاني) لا يمكن أن يصلوا إلى مرتبة الاجتهاد المطلق، ناهيك عن اعتبار اجتهاداتهم المخالفة لأصول المذهب باطلة. وما جعل الشوكاني مقبولاً، لا بل مرغوباً في السلطة القضائية والاستشارية للأئمة، ففتاويه (المماثلة لفتاوى ابن تيمية) في اعتبار القبائل الخارجة عن حكم السلطان خارجة عن الحق وباغية تحتكم إلى أعراف الجاهلية القبلية وليس إلى أحكام الإسلام، وبالتالي فقد اعتبر الشوكاني هذه القبائل كافرة يجب قتالها حتى تذعن للحاكم.

---

26 – انظر: القاضي حسين أحمد السياغي، أصول المذهب الزيدي وقواعده (صنعاء: مكتبة غمضان لإحياء التراث اليمني، 1984).

وفي الفترة المعاصرة برز العلامة الشيخ مقبل بن هادي الوادعي المتحول من الزيدية إلى السلفية الوهابية وسيكون لنا كلام لاحق عنه.

المجتمع القبلي في اليمن

«إن الأوطان كثيرة القبائل قلَّ أن تستحكم فيها الدولة» – عبد الرحمن بن خلدون.

كانت القبيلة هي الوحدة السياسية عند العرب في العصر الجاهلي، فأفراد القبيلة ينتمون أو يعتقدون انتماءهم إلى أصل واحد مشترك تجمعهم وحدة الجماعة وتربطهم رابطة العصبية للأهل والعشيرة، والتي تعبّر عن شعورهم بالتماسك والتضامن والاندماج بين من تربطهم رابطة الدم، فهي بذلك مصدر للقوة السياسية والدفاعية التي تربط بين أفراد القبيلة فتعمل بذلك على بقاء المجتمع وحفظ كيانه، وهي تعادل الشعور بالقومية في العصر الحاضر، ولكن رابطة الدم فيها أقوى وأوضح، فالفرد يرتبط ارتباطاً وثيقاً بقبيلته وينصرها ظالمة أو مظلومة.

غير أن مفهوم القبيلة في اليمن القديم لا ينبغي بالضرورة أن يقوم على صلة القرابة بالدم والجد الواحد المشترك كما استنتج بعض الباحثين من خلال تحليلهم لبعض النقوش، حيث يذكر «رودو كناكيس» أن: لفظة «قبيلة» كانت تستخدم للتعبير عن نظام خاص يقوم على أساس الروابط الاقتصادية والسياسية وروابط العمل، لأن

الحالة الاقتصادية والسياسية هي التي تفرض وظيفة الجماعة وهذه تسمى قبيلة[27].

أما جواد علي فيشير إلى أن القبيلة في اليمن قد تتكون من قبائل وعشائر مختلفة، ومن جماعات عمل تمثل الحرف انضمت إلى قبيلة كبيرة أو إلى مالك للعمل في أرضه أو لأداء خدمات له، ونتيجة لطول بقائها اندمجت في القبيلة الكبيرة أو في قبيلة المالك الكبير وبالتالي أصبحت جزءاً منه أو من أتباعه، وقد يُنسبون إليه بعد أجيال ويصبح هو جدهم المشترك[28].

وفي اليمن أكثر من 160 قبيلة تمثّل حوالى 85٪ من السكان وتتركز في المناطق الجبلية وخصوصاً الشمالية منها (141 قبيلة) وفي الساحل وتهامة (حوالى 27 قبيلة)[29].

التقسيمات القبلية في اليمن

هناك تقسيمات قبلية مختلفة متعارف عليها في اليمن منها التقسيمات الرئيسية يليها التقسيمات الفرعية المتوسطة والصغرى.

---

27 – رودو كناكيس، الحياة العامة للدولة العربية الجنوبية، ص 126–127، نقلاً عن كتاب: قائد الشرجبي، القرية والدولة في المجتمع اليمني، دار التضامن للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 1990.

28 – د. جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، الجزء7، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الثانية 1980، ص141.

29 – انظر قائد نعمان الشرجبي: الشرائح الإجتماعية التقليدية في المجتمع اليمني، بيروت، دار الحداثة، ط1، 1986، الصفحات55 – 62 و170 – 186. وفضل علي أحمد أبوغانم: البنية القبلية في اليمن بين الاستمرار والتغيير، دمشق، مطبعة الكاتب العربي، 1985، الصفحات 59 – 79.

وتعرف كل قبيلة باسم يميّزها عن غيرها من القبائل، وترتبط باسم جامع يجمعها مع قبائلً أخرى تشترك معها في رابطة الدم أو الخطر المشترك الذي يجمع في ما بين هذه القبائل على مواجهته كما هو معروف في الأعراف القبلية بـ«الداعي العام».

وهناك خمس تقسيمات رئيسية متعارف عليها وهي:

1- قبائل بكيل.

2- قبائل حاشد.

3- قبائل مذحج.

4- قبائل حِميَر.

5- قبائل كندة.

وعلى كل حال فإن قبيلتي «حاشد» و«بكيل» هما أهم قبيلتين اعتمد عليهما أئمة الزيدية وكانوا يسمونها «الجناحين». وتنقسم كل قبيلة من القبائل الكبيرة إلى عدة قبائل صغيرة نذكر منها: قبيلة همدان - قبيلة نجران - قبيلة يام - قبيلة وادعة - عيال سريخ - آل عامر - قبيلة خولان الشام - قبيلة ربيع - قبيلة سفيان - قبيلة بلاد البيضا - قبيلة الخمسين - قبيلة بلاد ذمار - قبيلة رذاع - قبيلة العلقمي - قبيلة الصالحي - قبيلة بلاد العدين - قبيلة الأغابرة.

ومن قبائل تهامة اليمن نذكر: قبيلة المسارحة - قبيلة العبادلة - قبيلة الحارث - قبيلة بن محمد - قبيلة بني مروان... إلخ.

وأشهر قبائل الجنوب يافع في ردفان التي حافظت على تماسكها، ومنها انطلقت ثورة الجنوب ضد البريطانيين. وهناك قبائل أصغر وتنتشر قي محافظات شبوة وأبين والمهرة وحضرموت.

ولكل قبيلة تقاليدها وعاداتها، ولهذا فمن الصعب أن يتحدث أي إنسان عن تلك القبائل بوجه عام، أي دون تخصيص... كما لا يعني الانتماء إلى قبيلة واحدة أن أفرادها متساوون في كل شيء، ذلك أن القبيلة عبارة عن صورة مصغّرة لمجتمع مستقل نسبياً يتفاوت أفراده من حيث المكانة الاجتماعية والوظائف كما من حيث المهن والحرف. كما أن هناك تفاوتاً بين القبائل من حيث الوزن السياسي والاجتماعي، فليست كل القبائل سواء. أما الذي يحكم القبيلة فمشايخها وأعيانها وعقلاؤها.

وتعتبر القبائل اليمنية (فيما عدا استثناءات محدودة) قبائل مستقرة، وهذا ينزع عنها طابع البداوة التقليدية ويجعل منها حالة خاصة مختلفة. وعادة ما يسكن أبناء القبيلة جماعة في مكان واحد وفي مساحة معينة تملكها القبيلة... ويُعتبر شيخ القبيلة السلطة العليا في كافة المسائل التي تخص أبناء القبيلة سواء في علاقاتهم ببعضهم البعض أو في علاقاتهم بأبناء القبائل الأخرى.

في بحثه غير المنشور «القبيلة والسلطة... القوة والضعف»[30]، عرّف الدكتور سمير الشميري القبيلة ومقوماتها قائلاً:

---

30 – الندوة التمهيدية حول الدور السياسي للقبائل في اليمن، 30–31 يناير/ كانون الثاني 2008، فندق تاج سبأ – صنعاء – اليمن.

«القبيلة هي جماعة تربط أعضاءها صلات الدم والقرابة، الإنتاج والتوزيع والاستهلاك، وأسلوب المعيشة والقيَم، ومعايير السلوك المشترك، وهيكل السلطة الداخلية». وبرأيه فقد حافظت القبيلة في اليمن على بقائها لعدة أسباب، أهمها:

العوامل السياسية	العوامل الاقتصادية	العوامل الاجتماعية
اشتراكها في السلطة	حصولها على امتيازات من الدولة	التمسك بالدين والعادات والتقاليد
ضعف الهيئات النظامية الرسمية	ممارستها لأنشطة اقتصادية وقيام البعض بأنشطة اقتصادية غير قانونية	التنشئة الاجتماعية القبلية
فعالياتها في الصراعات السياسية		قوة العادات والتقاليد
المساعدات الخارجية		التضامن القبلي
		نزعة الاستقلال والتمرد
		الانعزال وانتشار الأمية

تاريخياً تصارعت القبائل اليمنية على الموارد وعلى السلطة أيضاً، وهذا الصراع كان السبب في دعوتهم للإمام الهادي ليحضر إلى اليمن ويكون حَكَماً بينهم وحاكماً عليهم وهو سليل بيت النبوة والإمامة.

وقد اختلفت درجة الصراع القبلي في اليمن من إقليم إلى آخر تبعاً لدرجة الوفرة أو الندرة في الموارد. ففي الأقاليم الجنوبية مثلاً حيث سادت درجة من الوفرة انخفض مستوى الصراع بين القبائل؛

أما في الأقاليم الشمالية وحيث تتميز الموارد الطبيعية بالندرة فقد احتدم الصراع بين القبائل. وأدت ندرة الموارد واحتدام الصراع حول تلك الموارد في الأجزاء الشمالية من البلاد إلى احتفاظ القبائل الشمالية بدرجة عالية من التماسك وبالتالي من التأثير السياسي. لكن الصراع بين القبائل لم يكن دون ثمن بشري ومادي، ولذلك لجأت القبائل المتصارعة وكاستراتيجية للحد من الصراع إلى بناء التحالفات. ويوجد في اليمن اليوم ثلاثة تحالفات قبلية رئيسية هي حاشد وبكيل ومذحج، يليها -كما سبقت الإشارة- حِميَر وكندة. حاشد هي الأكثر تماسكاً، وبكيل هي الأكثر عدداً، ومذحج هي الأقل تماسكاً وهي تنتشر أيضاً إلى الجنوب دون أن تكون أصلاً لقبائلها. وبالرغم من أن التحالفات الثلاثة قد حدّت من درجة الصراع إلا أنها قادت بدورها إلى صراعات من نوع آخر تدور بين القبائل المتحالفة حول زعامة التحالف.

وبالنسبة للقبائل في الأقاليم الجنوبية فقد تعرضت للكثير من التأثيرات، وأدت الوفرة في الموارد إلى الاستبدال الجزئي للنظام القبلي بالنظام الإقطاعي الذي يمتلك فيه عدد قليل من الأشخاص (المشايخ أو السلاطين) الموارد وخصوصاً الأراضي الزراعية الخصبة. وأدت عمليات التحديث التي تعرضت لها المناطق الجنوبية والشرقية سواء تحت الاستعمار البريطاني أو في ظل الحكم الاشتراكي إلى المزيد من الإضعاف للدور القبلي وإلى ظهور الانقسام المناطقي الذي مثّل العامل الرئيسي في تحديد خطوط الصراع خلال فترة

حكم الحزب الاشتراكي لجنوب البلاد (والتي انتهت بمجزرة دموية بين أطرافه في يناير/كانون الثاني 1986 وعلى قاعدة الانقسامات الجهوية والقبلية برغم الشعارات الكبيرة).

التعدد المناطقي

تتصف اليمن بالتعدد الجغرافي؛ وقد عمل الأئمة في حكمهم لليمن على تكريس الانقسامات المناطقية وربط تلك الانقسامات بأدوار سياسية محددة. وإضافة إلى التقسيم بين سكان الجبال وسكان السواحل، جرى تقسيم البلاد إلى اليمن الأعلى واليمن الأسفل. وقد تركزت السلطة تاريخياً في أيدي سكان اليمن الأعلى في حين أن سكان اليمن الأسفل ظلوا خارج اللعبة السياسية أو أسندت إليهم أدوار رمزية. ولم تغيّر ثورة الـ26 من سبتمبر 1962 من التوزيع المناطقي للسلطة، وكل ما فعلته هو أنها نقلت السلطة من «الأئمة» إلى كبار شيوخ القبائل وكبار ضباط الجيش من القبائل. وتم تكريس ثقافة أن سكان اليمن الأعلى هم أكثر شجاعة من سكان اليمن الأسفل؛ وظلت المناصب العسكرية والأمنية ومواقع صنع القرار مغلقة على مناطق معينة، وفي الحال التي تم فيها إسناد أي دور هام لأبناء اليمن الأسفل فقد أعطي ذلك الدور للقبائل والشخصيات التي هاجرت إلى مناطق اليمن الأسفل من أمثال بيت «أبو رأس» وبيت «أبو إصبع» أو «أبو فارع» أو غيرهم.

وقد استمرت إلى اليوم معاملة أبناء المحافظات الجنوبية والشرقية بنفس الطريقة التمييزية القديمة دون التنبه إلى الاختلالات

العميقة في توزيع السلطة والثروة في ظل دولة الوحدة. وهذا ما يفسّر قوة ما يسمى بالحراك الجنوبي اليوم والمتزامن مع تحرك الشمال الزيدي الحوثي..

ورغم أن الانقسام المناطقي الرئيسي هو بين «اليمن الأعلى» و«اليمن الأسفل» إلا أن هناك انقسامات داخلية في اليمن الأعلى وفي اليمن الأسفل أيضاً. وإذا كان الانقسام المناطقي إلى شمال وجنوب قبل الوحدة قد اتصف بالهامشية في الشمال، فإن الانقسام المناطقي في الجنوب قد لعب دوراً هاماً في تحديد أطراف الصراع السياسي وفي التمييز بين الحلفاء والأعداء. وساعدت انقسامات القوى الجنوبية (خصوصاً بين الضالع وأبين وشبوة) الرئيس علي عبد الله صالح على تحقيق النصر في عام 1994. وبنفس الطريقة فإن الانقسامات الشمالية داخل حاشد وبين أتباع المذهب الزيدي هي التي تدفع اليوم وبقوة نحو مراجعة طريقة توزيع السلطة والثروة ليس فقط بين الشمال والجنوب ولكن داخل الشمال والجنوب أيضاً.

وفي حين أن أراضي الجنوب والغرب تتسم بخصوبتها النسبية وكثرة الأمطار فيها، كانت أراضي الشمال ضعيفة الخصوبة، وغلب فيها المناخ الصحراوي. وتميّز الشمال بغلبة الزيدية والجنوب بغلبة الشافعية. وفي الشمال سيطرة قوية للنظام القبلي في حين أنه أضعف في الجنوب، رغم أن الاستعمار البريطاني لم يسع إلى ضربه وإنما حافظ عليه وعلى مشايخه الذين جعلهم سلاطين وأمراء حين قسم الجنوب إلى 22 إمارة ومشيخة بحسب التقسيم القبلي السائد.

مناطق الزيدية هي: صعدة، صنعاء، حجه، عمران، الجوف، مأرب، ذمار، وجزء من أب وجزء من البيضاء. هذا يترك المحافظات الجنوبية كلها على المذهب الشافعي؛ ومعها تعز، الحديدة، الجوف، ريمة. وبسبب كون صنعاء هي العاصمة فهي تجمع المذاهب كلها.

التعدد الفئوي

انقسم المجتمع اليمني تاريخياً إلى فئات اجتماعية اعتماداً على علاقات النسب والسلالة، واحتل السادة -ويسمون أيضاً بالأشراف، أو الهاشميين، أو الفاطميين، وهم فئة اجتماعية تنتسب إلى الرسول عبر حفيديه الحسن أو الحسين- قمة الهرم الاجتماعي، ولعل أهم الأسباب التي جعلتهم يحظون بتلك المكانة قد تمثلت وبالترتيب (من حيث الأهمية):

1- في نسبهم الرسولي.

2 - في توارثهم للعلم الديني.

3 - الامتيازات المختلفة التي تمتعوا بها كنتيجة مباشرة لاحتكارهم للسلطة.

4 -كون الإمام وفقاً للتفسير الزيدي يجب أن يكون من السادة.

وبعد السادة تأتي فئة القضاة الذين لعبوا دوراً كبيراً في الحياة السياسية اليمنية خصوصاً بعد ثورة 1962 (ومنهم القاضي

عبد الرحمن الأرياني ثاني رئيس للجمهورية 1967-1974). والتجار والمشايخ مع اختلاف الباحثين حول ما إذا كان القضاة يسبقون التجار أم العكس. إن الاختلاف في الحقيقة هو بين شمال قبلي المشايخ هم أقوى فئاته الاجتماعية، وجنوب خضع للاحتلال البريطاني وتطورت فيه التجارة والمدينة الحديثة دون أن ينتهي الإنتماء القبلي. وقد مثّل الفلاحون -أبناء القبائل والفئة الأكبر في المجتمع التقليدي والتي وصل حجمها إلى قرابة 80٪ من السكان- الطبقة أو الفئة الوسطى. ولأن المكانة الاجتماعية للفرد في المجتمع التقليدي كانت تتحدد كما سبق الإشارة وفقاً للنسب فقد اتسمت القواعد المنظمة للزواج بالصرامة وبحيث يتم التزاوج بين أفراد الفئة نفسها، فالسادة مثلاً كانوا يتزاوجون في ما بينهم فقط، وفي الوقت الذي كان يمكن فيه للسيد أن يتزوج بفتاة من القبائل، فإن «السيدة» لم تكن تتزوج سوى من سيد.

الدور السياسي للقبيلة في اليمن تاريخياً

أدت التطورات السياسية في اليمن، ولاسيما بعد ضعف الدولة العباسية وبدء ظهور الدول اليمنية المستقلة، إلى عودة تنامي نفوذ الزعماء القبليين المحليين وخاصة عند اشتداد الصراعات على السلطة بين زعماء ومناصري الطوائف الدينية المختلفة، أو بينهم كل على حدة، وبين الدول المحلية التابعة لدولة الخلافة في دمشق أو بغداد أو القاهرة، بسبب محاولات فرض نظام شمولي محل النظام

القبلي مما كان يؤدي إلى تذمر الفلاحين واستيائهم وثورتهم على الدولة. ولذلك تميزت الحياة السياسية في اليمن بعدم الاستقرار والاضطراب السياسي، وأدى ذلك إلى ظهور النزوع الاستقلالي لدى الجماعات القبلية المحلية، كما ساعد على ذلك الظروف الجغرافية الصعبة والعوامل الاجتماعية والمذهبية.

وفي العام (284هـ – 897م) جاء الإمام الهادي يحيى بن الحسين إلى اليمن قادماً من المدينة المنورة بعد أن اتصل به بعض زعماء القبائل اليمنيين من (حاشد وبكيل) ودعوه للمجيء إلى اليمن في زمن سادت فيه الفوضى، وعدم الاستقرار، وضياع الحقوق. وقد ساندت تلك القبائل دعوة الإمام الهادي انطلاقاً من رغبتها في وضع حد للتناحر والاقتتال في ما بينها بتأمير واجهات دينية لم تكن طرفاً في القتال القبلي. وكانت قبائل المناطق الشمالية الشرقية (حاشد وبكيل) معروفة بولائها للعلويين تاريخياً منذ أيدوا الإمام علي بن أبى طالب، وظلوا على ولائهم لذرية الإمام علي، ولذلك يمكن القول إن مساندة القبائل كانت تقوم –أيضاً– على أساس قوي من الاعتبارات الدينية البحتة، والتعاطف مع «آل البيت». كما اعتبرت القبائل اليمنية أنها ملزمة بتقديم الحماية والمساندة لأحفاد الرسول لأنهم ضيوف وليسوا ضمن التكوين القبلي فيجب احترامهم وحمايتهم.

ومنذ ذلك الحين تعزز الدور السياسي للقبائل اليمنية بقوة، وخاصة في المناطق الشمالية والشرقية حيث ظلت دولة الأئمة الزيديين

تعيش في حدودها وتمتد فيها أحياناً وتنكمش أحياناً أثناء العهد الأول لدولة الأئمة، وظلت هذه القبائل – حاشد وبكيل- تلعب دوراً سياسياً وعسكرياً هاماً طوال عهد الإمامة الزيدية حتى سقوطها النهائي في العام 1962. ومع كل تلك الاعتبارات الدينية، فإن العلاقات العسكرية والسياسية والاقتصادية بين الجماعات القبلية من جهة وبين الأئمة من جهة أخرى اتسمت بالتقلب والتحول والتوتر والتمرد بسبب محاولة بعض الأئمة فرض نفوذهم على الشؤون المحلية للقبائل والحد من استقلاليتها. وبالإضافة إلى ذلك فقد كان التنافس بين العلويين على منصب الإمامة وقناعة كل واحد من المتنافسين بأنه أحق بها وفقاً للشروط الأربعة عشر المشهورة[31]، كان ذلك يزيد من التوتر والتناحر بين الأئمة وبين الجماعات القبلية، حيث كان كل داعية لنفسه بالإمامة يلجأ إلى جماعات قبلية لكسب تأييدها له ومساندتها له في حروبه ضد الآخرين. وقد أشعل هذا الصراع بين الأئمة روح العصبية القبلية بسبب الحروب الدامية المتتالية والانقسامات الشديدة بين القبائل. ويمكن القول إن عهد الأئمة الزيديين، قد شهد بروز الدور السياسي والعسكري للجماعات القبلية في المناطق الشمالية الشرقية، كما أدى إلى تعزيز استقلالها وترسيخ مكانة زعمائها القبليين. وبرز أكثر دور قبائل حاشد وبكيل في الأحداث السياسية والحربية رغم بروز

---

31 - شروط صلاحية الإمام لتولي الحكم أن يكون: 1-مكلفاً؛ 2-ذكراً؛ 3- حراً؛ 4-علوياً فاطمياً؛ 5-سليم الحواس والأطراف؛ 6-مجتهداً؛ 7-عدلاً؛ 8-سخياً بوضع الحقوق في مواضعها؛ 9-مدبِّراً؛ 10- أكثر رأيه الإصابة؛ 11- مقداماً حيث تجوز السلامة؛ 12- لم يتقدمه مجاب؛ 13- أن يدعو إلى نفسه؛ 14- ولا يصح وجود إمامين.

الصراع والعصبية القبلية التي كان الأئمة يغذونها لضرب القبائل بعضها ببعض واعتماد سياسة فرق تسد لشغل القبائل بالصراع فيما بينها حتى لا تتفق ضد حكم الأئمة ومواجهة الظلم الواقع عليها.

ومن المفارقات أنه بالرغم من أن الجماعات القبلية في المناطق الشمالية الشرقية شهدت بروز دورها السياسي والعسكري ومحافظتها على وحدتها واستقلاليتها وقوتها في زمن الدويلات التي حكمت اليمن، فإن الجماعات القبلية بالمناطق الوسطى والجنوبية شهدت ضموراً تدريجياً في قوتها ودورها السياسي بسبب نجاح الدويلات في تلك المناطق في إقامة حكم مركزي قوي عكس أثره على الدور القبلي، كما اندمج زعماء القبائل في علاقتهم مع «الدولة» التي تمكنت من تحويلهم إلى ما يشبه «كبار الموظفين» لديها، ورافق ذلك تدهور العلاقات بين الزعماء القبليين -الذين أثروا ثراء فاحشاً وتملكوا الأراضي- وبين رجال القبائل، فلم تعد العلاقات بين الطرفين قائمة على الندية والتقدير والشعور بالمسؤولية، فسادت المظالم والعداء بين الطرفين مما أفقد الظاهرة القبلية في تلك المناطق أهم مقوماتها وهو التضامن والمساعدة والمساواة والقيام بحاجات الرعية وخدمتهم.

في المرحلة الأولى من الوجود العثماني في اليمن في القرن العاشر الهجري، لم يستطع العثمانيون ضمان الاستقرار والأمن في البلاد بسبب ممارسات بعض الحكام والولاة ضد المواطنين

مما مهّد لقيام ثورة ضدهم بقيادة الإمام القاسم بن محمد عام 1045هـ/1635م، وقد لقيت هذه الثورة استجابة قوية من قبل بعض القبائل في المناطق الشمالية الشرقية بين صنعاء وصعدة، بل إن القبائل هي التي بادرت بمطالبة الإمام القاسم بالتمرد، وقام الكثير من رؤساء هذه القبائل بمراسلته سراً ودعوته للهجوم على العثمانيين بسبب تذمرهم من ممارسات ولاتهم، بل وأرسل زعماء القبائل أبناءهم إلى الإمام كرهائن لديه لتأكيد ولائهم له واستعدادهم للقتال معه. ولم يكن التذمر من سياسة الولاة العثمانيين هو السبب الوحيد لثورة القبائل، بل كذلك كانت الدعاية الإمامية سبباً مهماً فقد كانت تصف العثمانيين بأنهم خارجون عن الشريعة الإسلامية، ويستبيحون المحرمات كالزنا والخمر والربا، ويمارسون المظالم والعلاقات غير السوية. ونجحت ثورة الإمام القاسم في إلحاق الهزائم بالجيوش العثمانية، واستتب الأمر للإمام بعقد صلح مع العثمانيين آلت بموجبه الأمور إليه، وامتدت سيطرة الدولة المركزية من الحجاز حتى عُمان وعاد مجدداً عهد الوحدة اليمنية.

استقرت الأمور في اليمن بعد جلاء العثمانيين لقرنين من الزمن، لكن الصراع عاد من جديد بين المتنافسين على الإمامة، وعمت الفوضى من جديد، وضعفت سيطرة الدولة على أجزائها، وبدأ الولاة في بعض المناطق يستقلون بإدارتها. وفي فترة الفوضى هذه نجحت بريطانيا في احتلال عدن عام 1839 بعد أن صارت سيطرة صنعاء عليها اسمية. وأدى الاحتلال الإنكليزي لعدن إلى

عودة الاهتمام العثماني باليمن فعاد الجيش العثماني إلى اليمن عام 1849. لكن نفوذه انحصر في الساحل التهامي بعد أن فشل العثمانيون في إحكام سيطرتهم على صنعاء. وبعد أن تجددت الخلافات بين المتنافسين على الإمامة تقدم العثمانيون نحو الشمال وسيطروا على صنعاء لكن المناطق الشمالية ظلت متمردة عليهم مع عجز الطامعين في الإمامة عن توحيد أنصارهم في مواجهة العثمانيين. وبعدما بويع الإمام محمد بن يحيى حميد الدين بالإمامة بدأ بمحاربة العثمانيين، واستعان بالقبائل المحاربة من حاشد وبكيل، ولقي مساندة قوية من كبيرآل الأحمر حينها وزعيم حاشد الشيخ ناصر بن مبخوت الأحمر. واشتبك الإمام ورجال القبائل مع العثمانيين لكن الطرفين لم يستطيعا فرض هيمنتهما على بعضهما. وبعدما توفي الإمام المنصور محمد يحيى حميد الدين تولى الإمامة بعده ابنه المام يحيى حميد الدين بدعم قوي من الشيخ ناصر مبخوت الأحمر زعيم حاشد الذي حسم الأمر وأصر على مبايعة «يحيى» إماماً في العام 1904، وتم كل ذلك في مناطق «حاشد» حيث كان الإمام المتوفى يعيش في كنف قبيلة حاشد.

واصل الإمام الجديد يحيى حميد الدين أعمال الحرب ضد العثمانيين مستعيناً بالقبائل، فنجح في الاستيلاء على مدن مهمة مثل عمران وحجة وثلا، وحاصر صنعاء نفسها، وعجز الأتراك عن فك الحصار، وعجزت قوات الإمام يحيى عن دخول صنعاء حتى ساءت الأحوال بصورة مريعة هددت حياة المواطنين. ثم حدثت مفاوضات مع الإمام يحيى في كوكبان تم على إثرها استسلام الذين كانوا في

صنعاء التي دخلها الإمام يحيى عام 1905. لكن الدولة العثمانية لم توافق على الصلح، وعاد العثمانيون بجيش عظيم تمكن من دخول صنعاء مجدداً في العام نفسه بعد انسحاب الإمام يحيى وعودته إلى بلاد حاشد من جديد. واستمرت المناوشات والمواجهات بين القوات التركية وبين القبائل اليمنية، ولحقت بالأتراك خسائر فادحة بسبب شدة المقاومة مما كلف الدولة العثمانية خسائر باهضة من المال والرجال، فعرض الأتراك على الإمام يحيى المفاوضات لكنها لم تؤدِّ إلى نتيجة. وعادت الحروب مجدداً، وفشلت كل المحاولات لإيقاف الحروب وبسط السلام حتى نجحت مساعي الصلح في عقد اتفاق «دعان» في العام 1911، الذي احتفظ للدولة العثمانية بحق السيادة في اليمن، ومنح الإمام يحيى حق تعيين القضاة في المناطق التي يهيمن عليها، والإشراف على المسائل الشرعية وخاصة أن تكون الجباية على الطريقة الشرعية.

وبعد هزيمة الدولة العثمانية في الحرب العالمية الأولى (1918) ورث الإمام يحيى سلطتها في اليمن، وتأسست المملكة المتوكلية اليمنية في المناطق الشمالية والغربية فيما ظلت «عدن» والمناطق الشرقية حتى حضرموت والمهرة تحت سيطرة الإنكليز.

بدأ الإمام يحيى حميد الدين في توطيد قبضته على السلطة بمحاولة القضاء على الجماعات والأفراد الذين دعموا وصوله إلى الإمامة، مما أدى إلى نشوب حروب مع القبائل التي تمردت مثل

«حاشد» التي عانت من عدم تقدير الإمام لدورها في دعمه للوصول إلى السلطة ومشاركتها في الحروب الطويلة ضد الأتراك. كما شن الإمام حروباً ضد قبيلة «المقاطرة» في تعز و«الزرانيق» في الحديدة. وقمعت هذه القبائل قمعاً شديداً، وأحكم الإمام قبضته على كل البلاد واستخدم القبائل ضد بعضها بعضاً في سبيل تحقيق هيمنته على كل شيء. وفي سبيل إخماد ثورة 1948 الدستورية أباح الإمام (أحمد) العاصمة صنعاء للقبائل لمدة ثلاثة أيام انتقاماً لمقتل أبيه. وشهدت فترة الخمسينات عودة ظهور التمرد القبلي ضد الإمامة واستبدادها، وتبلورت حركة القبائل في أواخر الخمسينات لكنها انتهت بالفشل. وعندما قامت ثورة 26 سبتمبر 1962دعمت القبائل الجمهورية النظام الجمهوري بقوة فيما انحاز عدد من القبائل إلى الجانب الملكي تحت مبرر مواجهة النفوذ الأجنبي المصري، وتعزز دور الجماعات القبلية أثناء الحرب الأهلية 1962 – 1970، وبرز عدد من كبار الشيوخ في مقدمة الصفوف أثناء الدفاع عن الثورة والجمهورية أو في ممارسة العمل السياسي في زمن السلام. وعلى الرغم من أن دور الجماعات القبلية يبدو أكثر خفوتاً الآن، إلا أن ذلك لا يعني أن النظام القبلي قد اضمحل، فما زال هذا النظام موجوداً، وإن كان ازدياد قبضة الدولة واستيعابها لمعظم الشيوخ قد أدى إلى تراجع دور الزعماء القبليين خلف دور الدولة. كما أن الدولة أعادت للنظام القبلي وزعماء القبائل والعشائر اعتباره ودورهم في المحافظات الجنوبية والشرقية التي كانت ضمن إطار «اليمن

الجنوبي» سابقاً بعد أن كان النظام الماركسي الحاكم هناك قد عمل على القضاء على سلطة القبائل.

ما يزال زعماء القبائل والعشائر هم أساس سلطة الدولة في المناطق الريفية، ويقتصر دور المسؤولين الحكوميين المدنيين والعسكريين على الإشراف على القضايا العامة فيما يتولى شيوخ القبائل الكبار والمحليين إدارة شؤون قبائلهم وحل مشكلاتهم، وتمثيلهم لدى السلطات الرسمية التي تعترف رسمياً بهم وبدورهم وتعتمد تعيين الشيوخ كجزء من واجهات السلطة المحلية.

خلاصة حول الدور السياسي للقبيلة في اليمن

يرى الدكتور محمد الظاهري[32] أن الدور السياسي للقبائل اليمنية يتسم بالخصائص التالية:

أولاً: أدى الصراع التاريخي بين القبائل اليمنية وما زال يؤدي حتى اليوم إلى حالة من عدم الثقة بين الأطراف القبلية المتنافسة على السلطة والثروة، وفي ظل حالة غياب الثقة بين القبائل المتنافسة فإنها تميل إلى إعطاء السلطة المركزية لطرف ثالث (داخلي أو خارجي) ليقوم بدور تحكيمي بين القبائل المتنافسة. ولقد كان ذلك الطرف الثالث لحوالى ألف ومائة عام هو الإمام الهادي يحيى بن الحسين وأحفاده من بعده. أما بعد نهاية حكم الأئمة في عام

32 – المجتمع والدولة في اليمن (القاهرة: مكتبة مدبولي، 2004).

1962، فإن الملاحظ هو أن كبار شيوخ القبائل كالشيخ عبد الله والشيخ سنان قد فضلوا الابتعاد عن المنصب الأول وهو منصب رئيس مجلس الرئاسة أو رئيس الجمهورية. وفي الحالة التي وجد فيها المشايخ أنفسهم أعضاء في مجلس الرئاسة بعد انقلاب 5 نوفمبر/ تشرين الثاني 1967 (الانقلاب الذي أطاح بالرئيس السلال) فإن الملاحظ أن المنصب الأول لم يعطَ لأي من القبائل الرئيسية المتنافسة. وهكذا جاء عبد الله السلال وإبراهيم الحمدي وأحمد حسين الغشمي ثم علي عبدالله صالح من خارج فئات المشايخ.

ثانياً: عمل الأئمة في سعيهم للاحتفاظ بالسلطة على توظيف عدد من الاستراتيجيات في التعامل مع شيوخ القبائل عنوانها خلق توازن قبلي هم خارجه: من الجهة الأولى لم يحاولوا التغلغل في أراضي القبائل وتركوا السلطة داخل القبيلة إلى حد كبير لشيوخ القبائل. ومن جهة ثانية عمل الأئمة على إبقاء شيوخ القبائل في حالة صراع حتى لا يتوحدوا ضد حكم الأئمة. ومن جهة ثالثة استخدم الأئمة رجال القبائل كقوة عسكرية لمحاربة القوى الخارجية كما فعل الإمام يحيى في سعيه لنيل الاستقلال من تركيا أو لإخماد القبائل المتمردة. ومن جهة رابعة عمل الأئمة عبر التاريخ على منع ظهور شخصيات سياسية منافسة لهم في أوساط القبائل. ومن جهة خامسة فإن الأئمة الزيدية رسخوا في نفوس الرعية وجوب الطاعة كمبدأ ديني خصوصاً مع فتاوى الشوكاني الذي كان مقبولاً جداً لدى السنّة وخدم الأئمة الزيدية.

وقد أحكم الأئمة السيطرة على القبائل في الشمال والشرق بسبب الظروف الاقتصادية والعمرانية القاسية ومن خلال منح زعماء القبائل أعطيات مالية وعينية وإعفائهم من الضرائب وإباحة بعض المدن وبعض القبائل المتمردة، مثلما حصل مثلاً بعد فشل الثورة الدستورية عام 1948 الدستورية.

قد أدت ثورة سبتمبر 1962 إلى وضع نهاية لحكم الأئمة المنتمين إلى السادة، لكن تلك الأحداث لم تضع نهاية للصراع الفئوي حول السلطة. وقد تجلى ذلك الصراع في ست سنوات من الحرب الأهلية (1962–1968) بين الجمهوريين (شيوخ القبائل وأبناء الفلاحين) والملكيين (السادة)، وقد انتهت تلك الحرب بتقاسم للسلطة بين القبائل والسادة. وحدثت تحولات في البنية التقليدية للمجتمع اليمني خلال الخمسين عاماً الماضية وبرز شيوخ القبائل وكبار السياسيين من غير شيوخ القبائل وكبار ضباط الجيش كأعلى طبقة اجتماعية، في الوقت الذي ضعف فيه النسب كمحدد للمكانة الاجتماعية للفرد ليحل محله عوامل مثل ملكية الأرض والثروة.

فتحت ثورة سبتمبر 1962 أمام شيوخ القبائل آفاق التطلع إلى المساهمة في صناعة القرار السياسي بعد أن كان ذلك بعيد المنال إبان العهد الملكي. ففي عهد الإمام يحي حميد الدين ثم في عهد نجله الإمام أحمد لم يكن أمام الشيوخ سوى السجون والمعتقلات وهدم البيوت والتشرد وجزّ الرقاب. وحين قامت ثورة 1962 كان الكثير من

الشيوخ إما في السجون أو هاربين من قبضة الإمام أو مشردين في شتى البقاع.

ومنذ الأيام الأولى للثورة ونظراً لغياب جيش وطني حديث وجد قادة الثورة أنفسهم في حاجة لحشد وتعبئة القوى الشعبية من مختلف المناطق. وكذا جذب واستمالة الشيوخ إلى صفهم مع أفراد قبائلهم للدفاع عن الثورة ومواجهة القوى الملكية خشية سقوط النظام الوليد على أيدي القبائل المعادية.

كتب عبد الرحمن الإرياني في الأسابيع الأولى لاندلاع الثورة إلى آل «أبو لحوم» من قبيلة بكيل يحثهم على سرعة وصول الشيخ سنان أبو لحوم قائلاً: «نحن في انتظار سماع صوت النقيب سنان من الإذاعة»[33]. وكان ذلك تعبيراً عن الحاجة الملحة لاستمالة الشيوخ والوجهاء وكسب ولاء قبائلهم للصف الجمهوري.

لكن هؤلاء الشيوخ الذين كان السياسيون ينتظرون سماع صوتهم من الإذاعة، ويطلبون دعمهم ومساندتهم، سرعان ما تملكهم الشعور بأن الثورة ملكٌ لهم وأنها لم تقم إلا من أجلهم كثأر شخصي لما حلّ بهم على يد النظام الإمامي- الملكي، وأنهم هم المعنيون دون غيرهم من الشعب اليمني بحراسة النظام الجمهوري. يقول الشيخ عبدالله حسين الأحمر: « كان أبناء حاشد الذين كنت أقودهم هم

33- مذكرات سنان أبو لحوم، اليمن حقائق ووثائق عشتها، الجزء الثاني (صنعاء: مؤسسة العفيف، 2002)، ص 33.

جيش الثورة... وكان الشعور لدى قبائل حاشد شيوخاً وأفراداً أنهم مسؤولون عن حماية الثورة وأن الثورة ثورتهم، وهذا الإحساس تولد لدى حاشد نتيجة لما أصيبوا به عندما استشهد الوالد والأخ حميد وما نالهم من الإهانة والمعاناة، كل هذا أوجد عندهم شعور أن الثورة ما قامت إلا كرد فعل رسمي وشعبي لما حدث، وأن أهم عوامل قيامها هو ما حل بحاشد وشيوخها، وانطلاقاً من هذا الإحساس والشعور أصبحت لديهم قناعة أنهم مسؤولون عن حماية الثورة وأن ذلك يهمهم ويخصهم أكثر من غيرهم. وهذا الفهم كان موجوداً لدى بعض الذين كانوا يحاربون الثورة من القبائل الأخرى، حيث كانوا يعتبرون أن الثورة هي ثورة حاشد»[34].

ونظراً لتخلف تركيبة المجتمع اليمني وغلبة البنية الريفية – القبلية عليه ومحدودية حجم المدينة وضعف مساهمتها في النشاط الاقتصادي وما ترتب عليه من غياب قوى سياسية جماهيرية منظمة وفاعلة، وجدت تجمعات الشيوخ الأكثر تنظيماً والمستندة إلى قوى قبلية المجال مهيئاً لملء ذلك الفراغ. وهكذا تطلع الشيوخ للعب دور سياسي فاعل وامتلاك حق تقرير مصير النظام والتحكم في ثروات البلد وتحديد مستقبله. وقد وجد ذلك انعكاساً جزئياً في تشكيل الهيئات الحكومية منذ العام الأول للنظام الجديد حيث تشكل مجلس للشيوخ ثم تشكل في أبريل/ نيسان من عام 1963 مجلس رئاسة كان للشيوخ فيه حضور كبير.

34 – مذكرات الشيخ عبدالله بن حسين الأحمر (صنعاء: الآفاق للطباعة والنشر، 2007)، ص 85 – 87.

لكن تطلع الشيوخ السياسي اصطدم فعليا بالتواجد العسكري المصري في اليمن وتأثيره على القرار السياسي. ولهذا ناصب الشيوخ الحضور المصري العداء، إذ كانوا يرون في السياسات المصرية في اليمن عنصر تهديد لهم كزعماء قبائل وأن المصريين يعتبرونهم عقبة أمام تطور اليمن بل رأوا أن المصريين يعدون خطة لفرم شيوخ اليمن كما فرموا العمد في صعيد مصر[35]. وقد تمكن الشيوخ عبر سلسلة من معارك الكرّ والفرّ مع المصريين وقيادة النظام الوليد، وما لحق بمصر من هزيمة على يد إسرائيل في يونيو/ حزيران 1967، من تصفية التواجد العسكري المصري ثم إسقاط نفوذه السياسي من خلال الإطاحة بحكومة الرئيس السلال في شهر نوفمبر/ تشرين الثاني من العام 67. وفي العام 1970 تمكن الشيوخ من توحيد صفوفهم من خلال المصالحة التي تمت بين من كان يقف منهم في الصف الجمهوري ومن كان يقف في الصف الملكي.

في روايته لطريقة الانقلاب على حكومة عبد الرحمن الأرياني يقول الشيخ الأحمر إنه تمّ التخطيط لحركة 13 يونيو/ حزيران 1974 من قبل الشيخ سنان أبو لحوم والشيخ أحمد علي المطري والشيخ مجاهد أبو شوارب ومحمد أبو لحوم وعلي أبو لحوم إلى جانب إبراهيم الحمدي؛ ثم أبلغوه بالرأي الذي اتفقوا عليه والذي قد أصبح قراراً بانتظار موافقته عليه باعتباره طبعاً شيخاً لقبيلة حاشد لا رئيساً لمجلس الشورى[36].

35 – المرجع السابق، ص312.

36 – المرجع السابق، ص 209 – 210.

ويروي سنان أبو لحوم أن السعوديين اعتمدوا مبلغاً من المال وطُلب منه تقسيمه فيقول:

«قسّمت المبالغ على القبائل كل حسب حجمها... وخصصنا لحاشد ثلث المبلغ أي للشيخ عبد الله بن حسين الأحمر وأصحابه حاشد»[37].

يقول ناجي عبد العزيز الشائف شيخ قبيلة بكيل إنه وبقية الشيوخ يقومون بواجب الدولة في حلّ مشاكل الناس وفضّ المنازعات، أي أنهم يتدخلون في شؤون المواطنين ويبتّون في القضايا ويصدرون الأحكام ويفرضون الغرامات ولديهم ميليشياتهم القبلية التي يعتبرونها يدَ الدولة بينما هي في الواقع أياديهم هم، ولهم سجونهم الخاصة... الخ. والشيخ الشائف لا يرى حرجاً من التدخل في شؤون المواطنين، ولايرى في ذلك عملاً غير قانوني، علماً أن دستور البلاد لا ينص على منح الشيوخ دوراً مثل هذا، كما أن القوانين المعمول بها لا تخّول الشيوخ القيام بصلاحيات أجهزة الدولة ومؤسساتها. والأدهى من ذلك أن الشائف يستنكر أن الدولة «بدلاً من أن تقدر جهودنا في حل مشاكل الناس وفضّ المنازعات وإخماد الفتن بين القبائل، نجدها تتبنى حملات إساءة مستمرة ضد القبائل والشيوخ»[38].

وبحسب بعض الباحثين الأجانب فإن الثمانينات من القرن العشرين شهدت امتداد السلطة الشمالية إلى مناطق القبائل عبر تقديمها خدمات اجتماعية كالمدارس والعيادات الصحية والطرقات

37 – مذكرات سنان أبو لحوم، الجزء الثاني، مرجع سابق، ص 148–149.

38 – راجع صحيفة «الغد»، صنعاء، 2 مارس/ آذار 2008.

المعبّدة، فأصبحت بذلك منافساً للشيوخ. كما أنها بدأت تستميل هؤلاء بإعطائهم فرصاً للعمل وبهذه الطريقة صار رجال أمثال سنان أبو لحوم الشيخ الأكبر لقبيلة نهم في اتحاد بكيل، أكثر انشغالاً بالمصالح التجارية للشيوخ وأقل اهتماماً بالمحافظة على مواقعهم داخل قبائلهم، وتخلى بعضهم رسمياً عن موقعه في القبيلة ليكرس وقته للربح والمال[39]. وفي هذا السياق يؤكد شيخ مشايخ حاشد، عبدالله الأحمر (ت 2007) انخراط القبائل في المدينة والتحديث وأنها صارت هي تسعى لاستخدام الأحزاب السياسية بعد أن كانت هذه الأخيرة تسعى لأن تستخدم القبائل[40].

أما على الصعيد السياسي فإن الصراع الفئوي وخصوصاً في الجزء الشمالي من البلاد تبلور منذ عام 1962 بين السادة من جهة وشيوخ القبائل وكبار الضباط من جهة أخرى. ورغم أن تقاسم السلطة الذي أعقب الحرب الأهلية قد وضع حداً للصراع المسلح إلا أن الصراع بين المجموعتين ظل حاضراً وقابلاً للتحريك في أي وقت، ولا يمكن رؤية حروب صعدة وغيرها من الأحداث إلا كحلقات في مثل هذا الصراع.

وفي الجنوب «الاشتراكي» تشكلت سلطة الجبهة القومية ثم الحزب الاشتراكي من أبناء زعماء القبائل وكبار التجار وغلبت عليها الصراعات القبلية - المناطقية (خصوصاً بين أبين وشبوة والضالع) وقد كان مركز الصراع الجيش ومؤسسات الدولة الحديثة

---

39 - انظر مقالة شارل دنبار ضمن كتاب: حرب اليمن 1994، الأسباب والنتائج، مجموعة من المؤلفين (أبو ظبي: مركز الدراسات الإماراتي للبحوث الاستراتيجية، 1995).

40 - انظر مقابلة الأحمر مع رياض نجيب الريّس (بيروت: جريدة النهار، 18 مايو/أيار1998).

والحزب الطليعي نفسه. واستأثرت أبين والضالع بمعظم المراكز في الدولة الاشتراكية وعملت على تحطيم خصومها. وفي حين خسرت التكوينات القبلية موقعها ودورها في الجنوب (أيام النظام الإشتراكي- قبل الوحدة) إلا أنها احتلت بالمقابل الدور الأول داخل تركيبة النظام الجديد. أي أن القبيلة أعادت إنتاج نفسها بواسطة الحزب الحديث. وحين انتهى الحزب ودولته في الصراع الدموي الكبير (كانون الثاني 1986) ثم في طلب الوحدة مع الشمال (1989-1990) وصولاً إلى الحرب الانفصالية (1994) التي أنهت سيطرة الحزب الاشتراكي على الجنوب، عادت القبيلة لتحتل دورها المركزي في الجنوب كما في الشمال.

من ثورة الدستور إلى اتحاد القوى الشعبية

لم يمتد نفوذ الزيدية ليحكم كامل اليمن الحالية إلا في أوائل القرن الحادي عشر هجري (السادس عشر ميلادي)، إذ لم يتمكن الأئمة الزيديون من السيطرة على صنعاء والجنوب قبل ذلك التاريخ، وخصوصاً زمن الإمام المتوكل إسماعيل بن القاسم. وفي القرن الرابع عشر هجري (نهاية التاسع عشر ميلادي) بدأ حكم أسرة حميد الدين، وأشهرهم يحيى الذي أسس مملكة متوكلية يمنية (1924) تشمل الشمال الزيدي والجنوب الشافعي والحنفي. وهو استثار عداء السادة (الأشراف) لاختياره قضاة وإداريين من خارج سلكهم، ولتهميشه إياهم في الحياة السياسية والإدارية للبلاد. حتى أن بعض أبنائه خرجوا عليه وانضموا للمعارضة التي قادتها أسرة آل الوزير وخصوصاً في الثورة الدستورية (1948) التي لعبوا فيها دور

القيادة كما في صياغة إطارها الفكري الإسلامي الشوروي (إمامة مقيَّدة بالدستور) بما لا يمس جوهر المذهب الزيدي. وعقب فشل الثورة الدستورية وإعدامٍ قادتها، أسّس ابراهيم بن علي الوزير (نجل رئيس وزراء الثورة الذي أعدم) عصبة الحق والعدالة التي كانت النواة الرئيسية لحزب الشورى في عدن والقاهرة (أو الشورويون التعاونيون حسب تسمية أخرى) وهو الحزب الذي حلّه الاحتلال البريطاني وهاجم مقره في عدن وأغلقه ولاحق أعضاءه، ما أدى لاحقاً إلى تأسيس إبراهيم الوزير لحزب اتحاد القوى الشعبية 1960. وقد أعلن برنامجه السياسي وقانونه الأساسي في أغسطس/آب 1962 أي قبل شهر من الثورة الجمهورية. ومع بداية الانقسامات والحرب الأهلية اليمنية بين جمهوريين وملكيين (والتدخل المصري العسكري لدعم الجمهوريين مقابل الدعم السعودي للملكيين)، ثم انقسام الجمهوريين أنفسهم ما بين يمينيين (شخصيات من بقايا ثورة 48، ومشايخ القبائل، وكبار ضباط الجيش) ويساريين (الشباب المثقف والحزبي وخصوصاً حركة القوميين العرب الناصرية، وحزب البعث، والماركسيين وصغار الضباط) حول أسلوب المواجهة، وهو خلاف تحول إلى حرب داخلية انتهت بانقلاب «يميني» على حكم المشير عبد الله السلال (5 نوفمبر/ تشرين الثاني 1967) استفاد من نكسة حزيران وما تركته من ضعف للدور المصري واليساري ومصالحة سعودية - مصرية وانسحاب الجيش المصرى من اليمن فى سبتمبر- أكتوبر. وفى هذا الجو من الصراعات والمنازعات قدّم آل الوزير رؤيتهم الفكرية والسياسية للخروج باليمن إلى بر الأمان مركّزين على الإطار الفكري للحلول إذ إن العمل السياسي والحلول السياسية ليست برأيهم سوى انعكاس

لرؤية فكرية ذات أهداف واضحة، وإلا كانت حركة بلا بَركة. والحل الفكري يتمثل بنظام الإمامة العادلة لا الجمهورية ولا الملكية. والأداة هي حزب اتحاد القوى الشعبية.

وباعتقاد آل الوزير، فإن الإمامة العادلة كنظام إسلامي هي «قيادة تنفيذية لشريعة الله، متبعة لها، خاضعة لأحكامها، بدءاً بالإمام وانتهاءً بمعاونيه الذين يلتزمون جميعاً بمبدأ الشورى أي حق الأمة في المشاركة السياسية باستشارة رأيها على أن يكون الترجيح في الرأي مستنداً إلى الكتاب والسنّة وأهل الرأي والإختصاص. وأن يتم ترجيح جانب الأكثرية لكل عمل يحتمل أن يعود بالنفع أو الضرر على الأمة. وأن تكون البيعة هي طريق تولي الإمامة، فلا إكراه فيها. وذلك اقتداءً بسنّة الخلفاء الراشدين. وأن من حق الإمام العادل على رعيته السمع والطاعة في المعروف، إذ لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق...»[41].

في عام 1990 بعد إعلان الوحدة اليمنية والسماح الدستوري للتعدّدية السياسية إطاراً ثقافياً وسياسياً في اليمن الجديد، انتقل آل الوزير وغيرهم إلى العمل العلني، لا بل وحتى إلى الطرح المباشر لقضايا الخلاف المذهبي الزيدي - الشافعي وخصوصاً قضية

41 - انظر: إبراهيم بن علي الوزير، لكي لا نمضي في الظلام (القاهرة: دار الشروق، ط3، 1989). وزيد بن علي الوزير، محاولة لفهم المشكلة اليمنية (بيروت: منشورات العصر الحديث، ط2، 1988). وعبد المولى سعيد مغلس، الحركة الإسلامية في اليمن، اتحاد القوى الشعبية: رؤية تاريخية وفكرية (القاهرة: دار الفكر الإسلامي، 1991). وانظر: إبراهيم بن علي الوزير، الحصاد المر (بيروت: دار «إقرأ» للطباعة والنشر، ط 1، 1971). وفي هذا الكتاب الأخير مجموعة رسائل: «رسالة إلى الأمة»، و«رسالة إلى العلماء»، و«رسالة إلى مجتهد» (أعيد طباعتها في بيروت مراراً حتى مطلع التسعينات من القرن العشرين)، و«خطوط رئيسية عن المقومات الأساسية للدولة في الإسلام»، وهي رؤية إسلامية لنظام الحكم مثّلت الإطار الفكري والسياسي لحركة آل الوزير (إلى مطلع التسعينات).

الإمامة. فأنكروا وجود نص خفي أو جلي عن الرسول يحدد خليفته أو الإمام من بعده (لا في أبي بكر ولا في علي). وشككوا بحديث الأئمة في قريش، وأقروا بصحة خلافة الشيخين وشرعيتها، وقالوا إن بداية الانحراف كانت مع الأمويين فتحولت الخلافة من شورى وانتخاب من أهل الحل والعقد إلى قوة وتغلّب ما خلق أزمة فكرية إسلامية ناتجة عن فقدان العدل. ورأوا أن ثورة زيد لم تكن شيعية أو مذهبية بل ثورة عدل ضد الظلم ومن أجل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. فاتبع آل الوزير موقف السليمانية والصالحية وخالفوا الجارودية من جهة كما القاسمية والهادوية من جهة أخرى. إذ يرى آل الوزير أن هذه الأخيرة بحصرها الإمامة في البطنين ثم بجعلها الإمامة أصلاً من أصول الدين قد أدت بالفكر الزيدي إلى الجمود وبالنظرية السياسية الزيدية إلى الإخفاق ثم الخضوع القوي للتيار السنّي (كما عند الشوكاني) الذي يجيز الاستخلاف ووراثة الحكم ويدعو إلى طاعة الحاكم الجائر وعدم الخروج عليه ما لم يُظهر كفراً بواحاً[42].

وإلى جانب اتحاد القوى الشعبية، شكّلت أسرة أخرى من آل الوزير حزباً مشابهاً هو «حزب العمل والتوحيد الإسلامي» وأمينه العام إبراهيم بن محمد الوزير. وهو يجعل الشورى مُلزمة للحاكم لا يجوز له الخروج عنها كما لا يجوز للأمة التفريط فيها. ولكل مواطن الحق

42 – انظر: زيد بن علي الوزير، محاولة في تصحيح المسار (بريطانيا، ريتشموند ساري، مركز التراث والبحوث اليمني، ط1، 1992). وانظر أيضاً: إبراهيم بن علي الوزير، على مشارف القرن الخامس عشر هجري (القاهرة: دار الشروق، ط4، 1989). إبراهيم بن علي الوزير: بين يدي المأساة، حديث إلى اليمنيين النازحين (بيروت: منشورات العصر الحديث، ط2، 1991). زيد بن علي الوزير: عندما يسود الجفاف، مأساة التمذهب (بريطانيا: ريتشموند ساري، مركز التراث والبحوث اليمني، ط1، 1993).

في الترشيح للرئاسة إذا توفرت فيه شروط الكفاءة والعدل والأمانة، ويختاره أهل الحل والعقد. وبعد الاختيار تصير الطاعة واجبة ما دام الرئيس متمسكاً بالشورى. وهذا الحزب دعا للحفاظ على النظام الجمهوري ما دام ملتزماً بالإسلام عقيدة ومنهاجاً وما دام الرئيس متمسكاً بالشورى والعدل[43].

نشط حزبا آل الوزير في الفترة ما بين 1962 (الثورة) و1982 وهو تاريخ نشوء حزب المؤتمر الشعبي العام الذي احتوى العديد من القوى السياسية الشمالية من اليمين واليسار، من التقدميين كما المحافظين، من الإسلاميين كما الليبراليين. وفي الجنوب كان الحزب الاشتراكي الحاكم يقمع كل الأحزاب والحركات السياسية ويؤسس ديكتاتورية بيروقراطية أنتجت المذابح والسقوط التاريخي عام 1990 بعد سقوط جدار برلين وتفكك المنظومة الاشتراكية. وخلال انتعاش وانتشار قوى الحزب الحاكم في الشمال (المؤتمر الشعبي) تراجعت قوة آل الوزير وسط الزيدية، وازدادت بين السنّة وخصوصاً الإخوان المسلمين في العالم العربي. وقد عاش آل الوزير معظم الوقت في الخارج (القاهرة خصوصاً ثم أميركا وأوروبا) ولم يستطيعوا تطوير أية فكرة جديدة تستجيب للواقع الجديد بعد 1982، الأمر الذي سمح للرئاسة ومعها كبار الظباط والشيوخ باحتكار السلطة في الشمال، كما احتكرها الاشتراكي في الجنوب. ولكن سقوط النموذج الاشتراكي

43 – حزب العمل الإسلامي: النظام الأساسي للحزب، الجمهورية اليمنية، ص 48 – 59.

العالمي وانهيار مسخه في جنوب اليمن خلق واقعاً جديداً استشعره الزيدية خطراً على مصالحهم ونفوذهم في الحكم الجديد. فقد تشكلت السلطة الجديدة بعد الوحدة من أغلبية شافعية شغلت أعلى المناصب؛ يشهد على ذلك أنه خلال الفترة الانتقالية (1990–1994) كان الرئيس صالح والقاضي عبد الله العرشي من الزيدية في حين كان عضوا مجلس الرئاسة الآخران عبد العزيز عبد الغني وسالم صالح محمد، ونائب الرئيس علي سالم البيض، ورئيس الحكومة حيدر أبو بكر العطاس، ورئيس البرلمان ياسين سعيد نعمان، إضافة إلى غالبية الوزراء، من الشافعية.

من حزب الحق إلى الحزب الحوثي

أدت التعددية السياسية بعد عام 1990 إلى ظهور أحزاب وتنظيمات كثيرة حتى بلغ عددها 46 أبرزها حزب المؤتمر الشعبي العام والحزب الاشتراكي اليمني والتجمع اليمني للإصلاح. وفي هذه الأجواء وُلد حزب الحق الذي أعلن صراحة أنه يتبنى الفكر الزيدي الفقهي والسياسي والدفاع عن هذا الفكر باعتباره فكراً إسلامياً لا يمكن التخلي عنه، ولأنه ثانياً جزء من تاريخ اليمن وعقيدته لا يمكن سلخه منها. وباعتقادي فإن آل الوزير وأحزابهما عجزا عن رؤية التحول الخطير الذي استشعر فيه الزيود أن مكانتهم وسلطتهم في خطر، فصارت أطروحات حزب اتحاد القوى الشعبية وحزب العمل

الإسلامي أقرب إلى الإخوان المسلمين العرب وإلى حزب التجمع اليمني للإصلاح، وصار من الضروري قيام حزب زيدي خالص يعطي للزيديين وسيلة للتعبير السياسي الصافي أو «لإيجاد توازن فكري سياسي منظّم يُعبّر عن وجهة نظر إسلامية أخرى»، على حد تشخيص السيد أحمد الشامي[44].

وأول نشاط لحزب الحق تمثّل في بيانه الشرعي الذي وقّع عليه المؤسسون للحزب من علماء صنعاء فقط، أما علماء صعدة فلم يوقعوا عليه برغم أنهم شاركوا في التأسيس، وعلى رأسهم رئيس الحزب نفسه العلامة مجد الدين بن محمد المنصور بن منصور المؤيدي. ولعل السبب يكمن في أن البيان الشرعي أعلن التخلي عن الإمامة كإطار فكري وسياسي لنشاط الحزب، واعتبرها صيغة بشرية كان لها مبرراتها في الماضي ولم يبق لها مكان في حاضر اليمن، وأن معيار اختيار الحاكم اليوم هو التقوى، وأن الأمة هي مصدر السلطات... الخ[45]. هذا في حين لم يوافق أئمة صعدة على التخلي عن أحقية آل البيت في الحكم معتبرين ما ورد في البيان الشرعي تراجعاً عن الإطار الفكري للزيدية لا يبرره القول بأن الهدف هو رد دعوى القائلين بأن حزب الحق هو حزب إمامي. في حين أكّد العلامة المؤيدي على حقيقة أن القول بأن الإمامة هي في منصب مخصوص هو قول كل علماء الأمة من زيدية وشافعية وحنفية ومالكية وحنبلية

44 – آراء ومواقف، مقابلات وحوارات مع العلاّمة أحمد بن محمد الشامي، أمين عام حزب الحق، جمعها محمد يحيى سالم عزّان (عمان: مطابع شركة الموارد الصناعية الأردنية، ط1، 1994)، ص 28.

45 – بيان شرعي لعلماء اليمن، ضمن كتاب آراء ومواقف العلامة الشامي، مرجع سابق، ص23–27.

(لم يذكر الجعفرية) وأن ذلك المنصب هو لقريش (لحديث الأئمة من قريش) وإنما الاختلاف هو حول من في قريش؟ أقريش عامة أم أبناء الحسنين خاصة. ومع اعتقاد المؤيدي أن الإمامة لا تكون إلا في أهل البيت (ببراهين عقلية ونقلية مأخوذة من الشيعة الجعفرية) إلا أنه يرى أن أهل البيت تعاملوا أحسن معاملة مع الذين تولوا من غيرهم وساروا بالعدل وأقاموا أحكام الشريعة (ويذكر هنا عمر بن عبد العزيز ولا يذكر الشيخين- الخليفتين أبو بكر وعمر). ولذلك فهو يرى أن مسألة المنصب عن آل البيت هي استدلالية، أي أنها ليست نصية من جهة ما يعني أنها ليست من ضروريات الدين، ولم يقل من أصول الدين، دون أن يتراجع عن القول بأحقية آل البيت بالإمامة من جهة أخرى. ويمكن تفسير ما يبدو تناقضات في تصريحات قيادة حزب الحق بالاختلاف بين علماء صعدة وعلماء صنعاء من جهة، ولكن أيضاً وأساساً بالتطورات السياسية العربية بعد وفاة الإمام الخميني وانتهاء الحرب العراقية-الإيرانية (1988-1989) (وكان اليمنيون عموماً من مؤيدي الرئيس صدام حسين) وتطوّر المقاومة الإسلامية الشيعية في لبنان ضد الاحتلال الإسرائيلي بدءاً من العام 1990، ناهيك عن التطورات اليمنية الداخلية التي جعلت الانقسام السياسي يتمحور حول حزبي المؤتمر الشعبي (الزيدي-السنّي) والإصلاح (السنّي-الإخواني- السلفي).

يوم الجمعة 16 مارس/ آذار 2007، قدّم أمين عام حزب الحق رسالة طالب فيها بحل الحزب، بعد تعذر عقد المؤتمر العام

الأول للحزب رغم مرور 16 عاماً على تأسيسه. وقد قوبلت الرسالة بردود فعل كثيرة وبتشكيك فيها وفي دوافعها من قبل عدد كبير من قيادات الحزب. وقد أقرت لجنة شؤون الأحزاب والتنظيمات السياسية (في18 مارس/ آذار 2007) حل حزب الحق الذي كان من أبرز مؤسسيه المرجع الشيعي العلامة بدر الدين أمير الدين الحوثي، وابنه حسين الحوثي، الذي قاوم الدولة عام 2004 ولقي مصرعه في 10سبتمبر/أيلول من العام ذاته، وشقيقه يحيى الذي يقيم في ألمانيا، وتطالب به اليمن عبر الإنتربول الدولي بعد رفع الحصانة البرلمانية عنه.

وقد برّر العلامة أحمد الشامي، أمين عام الحزب، طلبه حل الحزب بعدم التزام بعض الأعضاء الموقعين على طلب تأسيس حزب الحق بتوجهاته وبرنامجه السياسي ونظامه الداخلي، وعدم التزام الأعضاء بالعمل على تحقيق أهداف الحزب بالطرق السياسية طبقاً لدستور الجمهورية اليمنية وقانون الأحزاب والتنظيمات السياسية وعدم الالتزام بما ورد في المادة 12 فقرة 16 من النظام الداخلي للحزب والتي تقضي بالتزام الأعضاء بالمحافظة على وحدة المجتمع اليمني وتماسكه، ومكافحة العنصرية والطائفية، وكل ما من شأنه إثارة الفتن وتفكيك أواصر المجتمع والوحدة الوطنية، وتخلي الكثير من أعضاء الحزب عن الحزب وسلوكهم مسالك أخرى وتفرقهم هنا وهناك.

وأكد الشامي في رسالته أن محاولات بذلت للنأي بالحزب عن كل تلك الممارسات الخاطئة وغير الوطنية وغير المسؤولة، ووضع حد لها من خلال عقد مؤتمر عام للحزب إلا أنه ورغم مرور 16 عاماً على تأسيس الحزب تعذر عقد المؤتمر العام الأول للحزب للأسباب التي أشارت إليها الرسالة.

طلب حل الحزب يعكس الأزمة العنيفة التي هزت الزيود الرسميين وحزبهم، وتفسّر نوعاً ما صعود الحوثيين كتيار إحيائي من داخل المذهب الزيدي ومن داخل نخبته السياسية (حزب الحق). وقد نجح الحوثيون في جر أغلب المذهب الزيدي، ثم جزء كبير من آل البيت في كل اليمن، وقطاع كبير من الصوفية على الرغم من التباين المذهبي الحاصل بين الشافعية والزيدية. فقد تغلب هنا داعي العصبية القبلية على المذهب، وحلت روابط القربى وصلة الرحم والنسب بين الحوثي الزيدي والصوفي الشافعي، محل التمذهب والفكر. وأصبحت الصوفية في اليمن، وتحديداً في تعز والحديدة وحضرموت، تتشكل بمرجعيات، ومؤسسات، وبخطاب تاريخي، جديدة كل الجدة على تراثها. ولأول مرة عبر تاريخها أصبحت تلك الصوفية تمتلك رؤية فكرية وخطاباً سياسياً يعملان في المسار الذي يقترب كثيراً من الاستراتيجية الحوثية. ولقد أصبحت مدينة «تريم» حسب كثير من المراقبين ذات طقوس وخصوصية، بنمطها الثقافي والفكري والإداري، مؤهلة لأن تغادر النسيج العام الشافعي.

الظاهرة الحوثية

في كتابه «الظاهرة الحوثية، دراسة منهجية شاملة»، يُعرّف الدكتور أحمد محمد الدغشي[46] الظاهرة الحوثية بأنها «ظاهرة حديثة في شكلها وهيكلها الخارجي بيد أنها ذات جذور اختلط فيها القديم بالحديث»، وأنها «تلك الحركة أو ذلك التنظيم السياسي المسلح الذي أعلن عن نفسه في العام 1990 باسم تنظيم الشباب المؤمن؛ كإطار تربوي وثقافي وسياسي». ويرى الباحث الدغشي بأن الحوثية اليوم أداة نفسها مستقلة تماماً بمشروعها الخاص، والحوثيون جزء في البنية السياسية الرسمية الآن، وطرف فاعل في المنظومة السياسية العامة ومعادلة الصراع الحاصلة، وضمن التكوين الاجتماعي والمذهبي، والمنظومة الوطنية.

القصة تبدأ مع الشيخ محمد سالم عزان مؤسس تيار الشباب المؤمن، الذي يقول متحدثاً عن أهداف حركته، إن الشباب المؤمن هو «مؤسسة تربوية دينية تعني بإعداد الشباب روحياً وثقافياً وليس تنظيماً سياسياً ولا حزبياً ولا عسكرياً»، ويتابع: «كنا بحاجة إلى حفظ شبابنا من مخاطر الانخراط في تيارات ومذاهب وأحزاب كنا

---

46 – أستاذ أصول التربية وفلسفتها المشارك– كلية التربية – جامعة صنعاء– اليمن.

نرى أنها تحمل أفكاراً خطيرة على الشباب والمجتمع». ويضيف بأن الفكرة التي تبلورت في العام 1994 كانت تهدف إلى «تعليم الشباب العلم الشريف في مختلف الفنون، وتنمية ورعاية المواهب لدى الشباب في شتى المجالات وإعداد الداعية إلى الله ثقافياً وأخلاقياً وروحياً وسلوكياً وتعريف الطالب على إخوانه الشباب وتمتين أوصر الأخوة الإيمانية على أساس الولاء لله وللمسلمين، وترسيخ الوحدة بين المسلمين والبعد عما يثير الخلاف ويمزق الأمة»47.

وبحسب عزان فإن جماعة «الحوثي» لم تكن عند تأسيس «الشباب المؤمن» لها حضور وتواجد واضح فيه. وإن «الشباب المؤمن» أقام العديد من الدورات الصيفية في صعدة لطلاب من محافظات مختلفة وكان يعمل بطريقة رسمية وتحت إشراف رسمي وشهد ازدهاراً كبيراً، وإنه تم إعداد منهج ملائم يجمع بين الأصالة والمعاصرة ويلبي جاحة الطلاب ويتناسب مع المرحلة ويحظى بقبول المؤسسة الدينية.

غير أننا نعلم أن بدر الدين الحوثي كان أحد كبار المراجع العلمية الزيدية من فرقة الجارودية القريبة من الإمامية الاثني عشرية من حيث إنكار إمامة الخلفاء الأول والقول بإمامة علي والحسن والحسين بالنص الخفي من النبي. وقد عارض باجتهاداته الكثير

---

47 - انظر خصوصاً حوار محمد يحيى سالم عزان مع صحيفة الناس، أجرى الحوار عبد الباسط القاعدي في 9 أبريل/نيسان 2007، وانظر الحوار كاملاً في مأرب برس:
http://marebpress.net/articles.php?id=1501
وانظر أيضاً حوار صحيفة «26 سبتمبر» مع محمد يحي سالم عزان في 15 مارس / آذار 2007.

من فتاوى الزيدية المعاصرين له ومنهم مجد الدين المؤيدي وحمود عباس المؤيد ومحمد بن محمد المنصور وأحمد الشامي الذين أكدوا أن شرط النسب الهاشمي والبطنين للإمامة لم يعد مقبولاً اليوم، وأنه كان في ظرف تاريخي مضى، وأن شؤون الأمة وقيادتها (الرئاسة) حق لكل المواطنين. وبسبب هذا الخلاف هاجر بدر الدين الحوثي إلى إيران حيث مكث لسنوات ثم عاد إلى صعدة بعد وساطات من علماء اليمن مع الرئيس علي عبد الله صالح. وكان حسين الحوثي شديد التأثر بوالده وبآرائه ومواقفه. وهو شارك في تأسيس حزب الحق عام 1990 ونجح في أول انتخابات نيابية عام 1993 عن محافظة صعدة باسم الحزب مع صديقه عبد الله عيظة الرزامي (الذي قتل في حرب 2004). وقد انشق الحوثي مع غيره عن حزب الحق في العام 1994 بسبب اتهامه بمناصرة قوات الحزب الاشتراكي اليمني في مسعاها الانفصالي يومذاك. ومنذ العام 1997 بدأ بتأسيس مراكز دينية في مديرية حيدان بمحافظة صعدة أطلق عليها اسم الحوزة، وذلك قبل الإعلان عن «تنظيم الشباب المؤمن».

مراحل التنظيم وتطوّراته

يتضح من خلال التتبع لمسار الاتجاه الحوثي، أو ما عُرِف بتنظيم «الشباب المؤمن» أنه مرّ بمرحلتين مفصليّتين في مسيرته، وذلك على النحو التالي:

المرحلة الأولى: مرحلة التأسيس والتكوين

وتبدأ منذ إعلانه عن نفسه عام 1990، في بعض مناطق محافظة صعدة، أي بعيد إعلان الوحدة اليمنية والسماح الدستوري للتعدّدية السياسية إطاراً ثقافياً وسياسياً على شكل «منتدى الشباب المؤمن» الذي قام بنشاطات تثقيفية وتعليمية ودورات تدريبية تميزت بطبيعة المنهج الذي تم تقريره على الطلبة في الفترة الصيفية، وكذا المحاضرات التوعوية وجملة الأنشطة الفكرية والسياسية المصاحبة، والمقدّمة لمنتسبي هذا التنظيم. وكانت تتضمن دروساً دينية، كالفقه، والحديث، والتفسير، والعقائد، إضافة إلى أنشطة مختلفة كالرياضة، وتعليم الخطابة، والأناشيد، والمسرحيات، واللقاءات، والحوارات وغيرها، كل ذلك في إطار برنامج يومي مكون من ثلاث فترات: فترة صباحية، وفترة الظهيرة، وفترة المساء[48]. وغدت هذه المراكز قبلة لكثير من الطلاب القادمين إليها من مختلف المحافظات المعروفة تاريخياً بانتمائها إلى المذهب الزيدي الهادوي ثم تجاوز الأمر محافظة صعدة إلى العديد من المحافظات والمدن، ذات الطابع الشيعي الزيدي الهادوي، التي فتحت مراكز خاصة بها، وفق المنهج القائم في صعدة. وبلغ عدد الطلاب في تلك المراكز 18000 طالب في صعدة بحسب بيان صادر باسم الحوثيين اليمنيين[49]. وتفيد بعض المصادر

48 – راجع حوار صحيفة «26 سبتمبر» مع محمد يحي سالم عزان، مرجع سابق.

49 – راجع نص البيان في: صحيفة الناس العدد (231) بتاريخ 1425/12/21هـ- 2005/1/31م.

الصحفية أنه «خلال سنوات قليلة صار للمنتدى أكثر من 67 حلقة تدريس، ومدرسة، تجاوزت صعدة إلى قرابة 9 محافظات يمنية، بل وصلت إلى دول خليجية منها قطر. وللمرة الأولى نجح فريق من شباب المنتدى المتحمسين في إعداد «منهج دراسي» وطباعته، كان الشرارة التي أشعلت الخلاف، بعد أن كان متوارياً بسبب تداخلات النفوذ الاجتماعي والديني»[50].

وتفصّل مصادر صحفية أخرى ذلك على النحو التالي: صعدة 24 مركزاً، عمران 6 مراكز، حجة 12 مركزاً، أمانة العاصمة والمحويت وذمار 5 مراكز في كل واحدة منها، إب وتعز مركز في كل واحدة منهما[51].

ويبدو للباحث أحمد الدغشي أن أحد العوامل الأساسية لقيام تلك المراكز هو الردّ العملي على التحدّي الذي شكّله قيام مركز «دماج» السلفي التقليدي في مديرية وادعة القريبة من مدينة صعدة، بإدارة الشيخ الراحل مقبل بن هادي الوادعي (ت: 1422هـ-2002م): رأس الدعوة السلفية في اليمن، مع ما يُعلم تاريخياً من كون منطقة صعدة تمثّل كرسي الزيدية الهادوية في اليمن. والشيخ الوادعي هو أبو عبد الرحمن مقبل بن هادي بن قائدة، الوادعي ثم الهمداني، من قبيلة وادعة المنتشرة في صعدة. وُلد في قرية دماج الواقعة في

50 - نبيل الصوفي، تفاصيل الثورة الحوثية الشيعية الزيدية مع الحكومة اليمنية، صحيفة الحياة 2007/6/3.

51 - أحمد عايض، الحوثيون والحوزات العلمية ونشر المذهب، موقع أسرار برس، 2008/6/1.

الجنوب الشرقي لمحافظة صعدة. توفي والده وهو صغير وبقي في حضانة والدته ونشأ في بيئة قريته المغالية في حب آل البيت والولاء لهم إلى حد التمسك بالأساطير والخرافات عنهم. سافر إلى المملكة العربية السعودية حيث عمل حارساً لبناية بمكة المكرمة. فكان يستمع إلى الوعاظ والدعاة ويتأثر بهم حتى صار يقرأ كتب السن~ة واقتنع بالطريقة السلفية وصار يدعو لها. ثم رجع فترة إلى اليمن واصطدم بأهله ومشايخه حتى قرر العودة إلى السعودية لطلب العلم ملتحقاً بمعهد الحرم الملكي دارساً فيه ست سنوات K ثم مواصلاً دراسته في الجامعة الإسلامية بمكة حيث نال الماجستير من كلية الدعوة وأصول الدين بتقدير جيد جداً. وقد كان الوادعي خلال سنوات الدراسة ثم التدريس بمكة من مؤسسي ما عرف باسم جماعة الإخوان السلفية التي منها جهيمان العتيبي ورفاقه. وقد اصطدمت الجماعة بالسلطات السعودية ونتج عن ذلك سجنه عدة شهور ثم ترحيله قبيل أحداث الحرم المكي في مطلع عام 1400هـ (أواخر 1979م). وعاد إلى اليمن كما عاد معه وقبله وبعده عدد من المشايخ الذين لهم نفس موقفه وفكره، أمثال الشيخ حزام البهلولي والشيخ محمد المهدي والشيخ محمد الوصابي، حيث استقر الأول في صنعاء والثاني في إب والثالث في الحديدة، وصاروا يمهدون لدعوة الوادعي التي صاروا جزءاً منها والتي كان همّها الرئيسي مواجهة الشيعة والرد على معتقداتهم. وقد عُرف عن الشيخ الوادعي اتسام شخصيته بثقافة سلفية تقليدية هجومية حادّة، ومناظرات تمثلت في جملة إصدارات مطبوعة ككتبه

الثلاثة «رياض الجنّة في الردّ على أعداء السنّة» و«الطليعة في الرد على غلاة الشيعة» و«حكم القبة المبنية على قبر الرسول»[52]، وسيل من الأشرطة المركّزة بوجه خاص على خصومه الشيعة ولاسيما في محافظة صعدة. وهذا التطرف والغلو السلفي الذي صار يعمل بحرية داخل الشيعة الزيدية ومناطقها، هو ما قاد الطرف الحوثي إلى ردود فعل، بعضها مطبوع ومن أشهرها كتاب «تحرير الأفكار» للمرجع الزيدي الهادوي بدر الدين أبي حسين الحوثي، الذي خصّصه للرد على بعض كتب الوادعي[53]، ولا سيما كتبه المشار إليها آنفاً. وقد أفصح الحوثي عن ذلك في حوار صحفي حين سئل: «السلفيون الآن يزداد تواجدهم وكان مركزهم في صعدة... كيف تنظر إليهم؟» فقال: «لقد رديت عليهم، وألّفت ضدّهم كتباً...»[54]. ويقول الدغشي إنه يبدو أن للفكر التربوي الذي تمكنّت وزارة التربية والتعليم بمناهجها الدينية التوفيقية المعتدلة، وكذا مناهج المعاهد العلمية وأنشطتها البعيدة عن إثارة الروح المذهبية، من زراعته في نفوس الناشئة، أثراً إيجابياً في تحقيق نوع من التصالح والتسامح، إلى أن جاءت استثارة النزعة المذهبية من قبل الدعوة (الوادعية)، إلى جانب إحساس عميق كامن تارة وصريح تارة أخرى في نفوس بعض أبناء المذهب الزيدي هنالك بالقضاء على مذهبهم وضياع تراثهم، واستهدافهم من قبل

---

52 – جمعت كلّها في مجلّد واحد، 1415هـ/1994م، الطبعة الأولى، د.ت، د.م، د.ن.

53 – تحرير الأفكار (صنعاء: مؤسسة أهل البيت للرعاية الاجتماعية، 1415هـ/ 1995م).

54 – حوار صحيفة الوسط مع بدر الدين الحوثي، أجرى الحوار جمال عامر، موقع الوسط نت، 9 مارس/ آذار 2005.

«الوهابية» القادمة بقوّة من وراء الحدود. وزاد من حدّة الأزمة تزامن ذلك مع الإعلان عن انتصار الثورة الإسلامية في إيران عام 1979، وما أعلنته من سعي حثيث لتصدير الثورة. فقاد مجمل ما سبق إلى إعادة الصراع جَذِعاً، وجرّ -من ثمّ- إلى مناصبة كثير من المتمذهبة الزيدية في محافظة صعدة بوجه خاص العداء للفكر السنّي بعامة. بل لقد حدث تراجع محدود لعدد من أبناء الشريحة «الهاشمية» -بوجه خاص- بمن فيهم بعض المنتمين إلى جماعة الإخوان المسلمين، عن المنهج السنّي، لصالح المذهب الهادوي أو «الجارودي» الذي يمثّل الوجه الآخر لبعض متمذهبة الزيدية المعاصرين[55].

الخلاف داخل الشباب المؤمن: وكان العلامة الزيدي مجد الدين المؤيدي قد أصدر فتوى يشنع فيها على الشباب المؤمن ويحذر من التعاون معهم الأمر الذي أدى إلى نقاشات مستفيضة فيما بين جيل الآباء المؤسسين الذين انقسموا إلى تيار قاده العلامة بدر الدين الحوثي وتيار آخر آثر البقاء على موروث الشباب المؤمن. وصار تيار الحوثي يصدر مناهج جديدة للتدريس كما أصدر مجلة أو منشور شهري باسم الرسالة (1996) كرسه للردود على مخالفيهم وخصوصاً العلامة المؤيدي ومن يرى رأيه. وهكذا كان ظهور «الخلاف والانقسام داخل الشباب المؤمن» في العام 1996. يقول الشيخ عزان: «الخلاف كان حول المنهج الدراسي، وإن بيانات عديدة صدرت ضد الشباب المؤمن، وإن العلماء والوجهاء في «صعدة» تدخلوا وكلفت لجنة من العلماء بمراجعة

55 - الدغشي، مرجع سابق.

النهج... كنا نميل إلى التركيز على التوسع في الجوانب العلمية ودراسة الموروث الفكري بجرأة والإجابة على تساؤلات الطلاب حول المسائل الخلافية بحرية، بينما كان الفريق الأخر يعطي أولويات في التركيز على جانب العلاقات بين الطلاب والتهذيب الروحي. وفي العام 1999 زادت الخلافات وكنا نتكتم عليها خوفاً من الشماتة ومللاً من العودة إلى فترات المهاترات وتبادل التهم والتشنيع بمخالفة المذهب والتثبت بما بقى من مواضيع الاتفاق... وبعد جدل دام لشهر ومفاوضات جرت في العاصمة صنعاء اضطررنا إلى قبول تعديلات في «الشباب المؤمن» ومنها توسيع نشاط «الشباب المؤمن» على أساس أن تكون المراكز الصيفية جزءاً من أنشطته ويتولاها كل عام فريق. ومع العام 2001 كان الخلاف قد قسم الساحة بشكل بيِّن، ورفَض فريق «الحوثي» الوفاء بما تم الاتفاق عليه بأن تكون إدارة المراكز العلمية هذا العام إلينا، فصارت المراكز منقسمة بين إدارتين»[56].

انقلاب الحوثي: يقول الشيخ محمد عزان57 إنه في العام 2002 ظهرت شعارات حسين بدر الدين الحوثي «الموت لأميركا والموت لأسرائيل» وشيئاً فشيئاً فإذا بأنصار ذلك الاتجاه يظهرون حالة من المبالغة في تقديس الملازم[58] التي كانت تفرغ من أشرطة

---

56 – انظر حوار محمد يحيى سالم عزان مع صحيفة الناس، في 9 أبريل/ نيسان 2007، وفي مأرب برس:
http: //marebpress. net/articles. php?id=1501
وانظر أيضاً حوار صحيفة 26 سبتمبر مع محمد يحي سالم عزان في 15 مارس – آذار 2007.

57 – المرجع السابق.

58 – محاضرات للعلماء مكتوبة على ورق ويتم تصويرها وتوزيعها على الطلاب.

صوتية بشكل بالغ الغرابة لمن يعرف فكر الزيدية... ويتابع «عزان»: «اطلعنا على تلك الملازم فوجدنا فيها كثيراً مما لا نقره ولا نتفق معه مما حملنا على توضيحه ومحاولة صده وحصره وبيان أنه لا يمثلنا ولا نقره ولا نتحمل تبعاته كما فعل ذلك غيرنا من العلماء... ودخلنا معهم في نزاعات على المناطق التعليمية في محافظة صعدة وظل ذلك حتى وقعت الحرب الأولى مع الحكومة في العام 2004»[59].

المرحلة الثانية: مرحلة المواجهة المسلّحة

ثم تأتي المرحلة الثانية، وهي مرحلة التنظيم المسلّح العلني للشباب المؤمن، أو ما بات يُعرف بجماعة الحوثي، وتبدأ منذ الشهر السادس من عام 2004، حيث تحوّل التنظيم -أو قسم منه- إلى تلك الميلشيات العسكرية ذات البُعد الأيديولوجي. وقد خاض عدة حروب مع الجيش اليمني، على مدى يزيد قليلاً عن ستة أعوام، بدءاً من 2004 وحتى 2010، وإن تخللت كل حرب وأختها استراحة محارب، رغم الإعلان الرسمي من الجانبين الالتزام بإيقاف الحرب. ولعل مردّ نجاحات الحوثيين يعود إلى التجذّر الأيديولوجي للجماعة، وتداخل الأيديولوجي المذهبي بالسياسي، والاجتماعي بالاقتصادي والتنموي، ثم ما يتردّد عن اختراقات أمنية تحقّقها العناصر الحوثية عبر بعض الشخصيات النافذة في الجيش اليمني، وبعض أجهزة الدولة ومفاصلها. وقد أفصح بدر الدين الحوثي عن قدر من ذلك في رسالة منسوبة إليه بهذا الشأن[60].

59 - المرجع السابق.

60 - راجع الوثيقة المنسوبة إلى بدر الدين الحوثي المرسلة إلى السيّد جواد الشهرستاني، بتاريخ 1ربيع=

نظرة أشمل على الخلافات الداخلية

بحسب رواية الأمين العام الأسبق محمّد سالم عزان فإن بداية الخلاف كانت حين أبدت بعض المرجعيات التقليدية الكبرى كمجد الدين المؤيدي تحفظها على بعض ما يدرّس في المنتديات، بوصفه خارجاً عن السائد في المذهب الزيدي، وتسبّب في «مسخ» الشباب تحت لافتة الانفتاح والتجديد، مما أدى إلى إيقاف الدراسة دورة واحدة، واستؤنفت بعد تدخل العلامة بدر الدين الحوثي ومراجعته لتلك المقرّرات، وإقناع المؤيدي بسلامتها. غير أن الخلاف كان قد اشتهر حتى وصل إلى رئيس الجمهورية، الذي قابل الأمين العام عزان، وبعض رفاقه وفي مقدّمتهم حسين بدر الدين الحوثي وعبد الله عيظه الرزامي اللذين كانا عضوين في مجلس النواب آنذاك (عن حزب الحق).

ويحدّد عزان عام 1999 كتاريخ لبروز الخلاف بين المجموعة المؤسسة نفسها حول ما ينبغي التركيز عليه أكثر، حيث كانت مجموعة يتقدّمها عزان، ترجح أولوية التركيز على التوسع في الجوانب العلمية، ودراسة الموروث الفكري بجرأة، والإجابة على تساؤلات الطلاب حول المسائل الخلافية بحرية؛ بينما كان الفريق الآخر ويتقدّمهم محمد

=أول 1425هـ (2004م) في ملاحق كتاب عادل الأحمدي، الزهر والحجر (صنعاء: مركز نشوان الحِميَري للدراسات والنشر، الطبعة الثانية،2006)، ص 353-355.

وجواد الشهرستاني، هو صهر آية الله علي السيستاني ووكيله الرئيس في العالم وهو يقيم في قم حيث يدير كل أعمال المرجع والوكلاء.

بدر الدين يميلون إلى التركيز على جانب العلاقات بين الطلاب، والتربية الروحية، والتقيّد بالموروث الفكري، وتأكيد العلامات الفاصلة بين المذاهب. ثم تدخل حسين بدر الدين الحوثي أواخر عام 2000 لصالح طرف شقيقه محمد، أي لترجيح فكرة تقديس الموروث، والكف عن التحديث والانفتاح، إذ اعتبر ذلك خطراً ومفسداً لأتباع المذهب... وهنا يقول عزّان إنه «بعد جدل وحوار دام عدة أشهر اضطررنا إلى توسيع إدارة المنتدى بحيث شملت: حسين بدر الدين، ويحيى بدر الدين، وعبد الله الرزامي وآخرين. ولكن لم تستمر تلك الإدارة إلا عاماً واحداً ثم انفرط عقدها، حيث كان الخلاف في أواخر عام 2001 قد قسم الساحة بشكل بيّن، ولم يكن حسين قد أعلن عن توجهه الجديد، إلا أنه كان يصر على الإعلان عن أنه لم يعد هنالك ما يعرف بالشباب المؤمن، ولكننا رفضنا ذلك، وأكدنا تمسكنا بهذا الاسم وبالأهداف التي وضعناها من قبل، وبالمنهج الذي سرنا عليه فكرياً وثقافياً وسلوكياً. وأطلقت علينا التهم وأصدرت التحذيرات عن مراكزنا، وعرف الخلاف في كل مكان حتى كادت أن تقع بيننا وبينهم مواجهة في بعض مناطق خولان وسحار، ولكننا استمرينا على نهجنا واستمروا على نهجهم حتى وقع التمرد وأشعلت الفتنة الأولى»[61].

ولا يستبعد الدغشي[62] أن يكون مما عزّز من ذلك الخلاف قيام دعم مالي رسمي للتنظيم هدفه المعلن تعزيز الاتجاه المعتدل بين

61 – حوار صحيفة 26 سبتمبر مع محمّد سالم عزّان، مرجع سابق.

62 – الدغشي، مرجع سابق.

الفصائل «الدينية». وقد صرّح بذلك الرئيس علي عبد الله صالح في خطابه أثناء اللقاء مع العلماء المصنّفين على المذهب الزيدي حيث قال: «سارت الأيام وجاءت المظاهرات على السفارة الأميركية بداية غزو العراق، وإذا ما يسمّى بالشباب المؤمن في مقدّمة الصفوف، فعاتبنا الكثير من القوى السياسية بأن هذا لا يخدم مصلحة اليمن وقلنا لهم: إنكم بذلك تجرّون علينا المشاكل، فقالوا: هؤلاء الشباب حقّك الشباب المؤمن شباب الرئيس، أنت الذي نظمتهم. صحيح أن هناك مجموعة من إخواننا من هنا ومن هنا، قالوا هؤلاء الشباب مؤمنين ومعتدلين، ولا يريدون أن يكون لهم ارتباط خارجي مع أية فئة خارجية، فيريدون دعم الدولة، ويبتعدون عن الارتباط أو التبعية الخارجية. وقدّمنا لهم الدّعم. ويعرف الأخ عضو مجلس النواب عبد الكريم جدبان، وأخذوا هذا الدعم على أنّهم شباب مؤمن فقط، إنه إيمان بالله، معتدلين ووسط، غير متعصّبين، تعصّب متطرّف، أو أيّ تعصّب آخر مذهبي»[63]. ويصرّح بذلك الأمين العام الأسبق لتنظيم الشباب المؤمن محمّد يحي سالم عزّان في بعض حواراته حين قال في بعضها: «وفي الأخير جاءتنا مساعدة من فخامة رئيس جمهورية -رعاه الله- فسدّت كثيراً من حاجاتنا، وذلك معروف منه لن ننساه ولن ننكره، وإن التبس أمرنا فالأيام كفيلة بكشف ما غُيّب»[64].

63 - خطاب رئيس الجمهورية مع بعض العلماء المصنفين على المذهب الزيدي في 2004/7/3. وانظر: عادل الأحمدي (ملاحق)، ص 259-260، مرجع سابق.

64 - حوار عزان مع صحيفة «26 سبتمبر»، مرجع سابق.

ولكن يلاحظ أن هذا الدعم قد اقتصر على طرف دون الطرف الآخر، حيث يقول عزّان في هذا: «الرئيس حينما ظهرت المشكلة بيننا وبين الوالد مجد الدين في صعدة واشتهرت أن هناك مشاكل وتحزّبات استدعى الطرفين، فقابل الرئيس مجد الدين وأصحابه وسمع كلاماً عنّا، ربما مجمله هو أن هؤلاء الشباب طائشون، واستدعانا الرئيس بطبيعة الحال، وشرحنا له منهجنا وكتبنا، وقلنا له بأننا نريد أن نخرج صعدة من حالة العزلة القاتلة التي هي فيها، ونريد أن ننفتح على الآخرين، ونريد أن يعرف الناس أن في الدنيا غيرهم، وأنه يوجد مذاهب أخرى، وأنه يوجد ناس آخرون، ورؤى مختلفة، وأنه بالإمكان احترام الآخرين إلى آخر ما هنالك. الرئيس في الواقع أعجبه الطرح وقال: «هذا خلاف بين عقليتين وجيلين وهو طبيعي». وربما كانت قد وصلته تقارير من المحافظة، لأننا كنا نستدعى من المحافظ ومدير الأمن والناحية، ليحضروا ويقيّموا في حالة ما إذا كان خطأ في مسيرتنا، فكانت العلاقة علاقة رضا»[65]. ثم سئل عزّان: «هل خرجتم من عند الرئيس باتفاق على دعمه لكم؟»، فأجاب بما حاصله أنهم الجماعة الوحيدة في البلاد التي ليس لها أيّ مساعدة. وأنهم كانوا يوضحون لمن يدعمهم من فاعلي الخير أنه إذا لم يتم دعمهم فربما مدّوا أيديهم إلى الخارج؟ فسئل: «وبدأ الدعم المالي؟»، فقال: «نعم. دعم مالي فقط ومحدود». ثم سئل: «كم كان هذا الدعم بالتحديد؟»، فأجاب: «أربعمائة ألف ريال شهرياً، مقابل

65 – حوار عزّان مع «الوسط»، مرجع سابق.

العمل الواسع جدّاً جدّاً، وكنا نتقشّف، إلى درجة أن الذين كانوا يريدون إنشاء مراكز، كنا نقول لهم أن يتكفلّوا بـ 80٪ من التكلفة؟»[66].

ومع أن بعض الباحثين يذهب إلى أن أجهزة الدولة المختلفة تفاجأت «بتحوّل حسين بدر الدّين الحوثي وتنظيمه الشباب المؤمن من حركة سعت إلى دعمها، كحركة علمية دينية مسالمة، إلى حركة مسلّحة ومنظّمة ومجهزة بالأسلحة المختلفة، بدأت بالإعلان عن تمرّدها متجهة اتجاهاً آخر[67]؛ إلا أن بعض المراقبين يذهبون إلى أن الهدف الأبرز غير المعلن لدعم التنظيم كان تفويت الفرصة على الجماعات الحركية كالإخوان وبعض فصائل السلفية. ثم إن من المرجّح -وفقاً لحديث عزّان- أن الدعم قد اتجه نحو فصيله وحده، لذلك حين سئل: «هل كان هذا الدّعم مقصوداً منه مواجهة بدر الّدين الحوثي؟»، أجاب: «لا، وفهمت أنّ هذا الدّعم كان لأنّهم رأوا أننا بدأنا ننظر نظرة جديدة، ونفتح آفاق المنطقة، ونجدّد فكرها، وهذا الشيء مطلوب في الواقع؟»[68]. وفي سياق مماثل سئل: «هل دعمكم من قبل السلطة في فترة معينة كان بغرض استخدامكم لتصفية حسابات مع جماعات أخرى؟»، فقال: «الرئيس يدعم أكثر من جماعة باعتبار الدعم يذهب إلى اليمن، وكنا من الجماعات الناشئة التي لا عون لنا وكنا نصر على أن يكون انتماؤنا للداخل، فالرئيس شعر بهذا وأراد أن

---

66 - المرجع السابق.

67 - عبد الفتاح محمّد البتول، عصر الإمامة الزيدية في اليمن، ص 378.

68 - حوارعزّان مع «الوسط»، مرجع سابق.

يساوينا ببعض الآخرين لأنهم مدعومون على مستويات رفيعة»[69].

ويبدو أن لعامل الدّعم ومصدره أثراً لا يخفى في توسيع شقّة الخلاف بين الطرفين. فعلى حين يقرّ محمّد عزان بالدّعم -على نحو ما سبق- فإن بدر الدين الحوثي ينفي وصول أي دعم، وذلك حين سئل عن دعم الرئيس لابنه حسين الحوثي قال: «غير صحيح، الرئيس لم يدعم حسين، ولو بريال واحد، ونحن مستعدون لأن نرجع أي ريال للرئيس؟»[70].

ومن ثم فقد جرّ ذلك إلى تساؤلات داخلية لا تخلو من اتهامات مبطّنة وربما صاحب ذلك قدر من التحريض، عن مصدر دعم أيّ من الطرفين. وفي هذا يقول عزّان عن مصدر دعم حسين وأتباعه: «من البديهي أن يكون لدى أية جماعة تتمترس في الجبال منذ سنوات مصادر للدعم، غير أني لا أملك معلومات صحيحة عن مصدر معين، إلا ما أسمع عن دعم تجار لا أعرفهم وتجمعات دينية من خارج اليمن. ومن الطبيعي أن يكون لهم دعم، ولكن ليس من الطبيعي أن لا تعرف الدولة مصدر ذلك»[71].

هذا في حين يحصر بدر الدّين الحوثي الدّعم المادي الذي كان يحصل عليه ولده حسين في المواد الغذائية وما أشبه، وإن كان لا ينفي أن ذلك يأتيه من جهات عدّة، وهو ما يفهم منه جهات داخلية

---

69 - حوار عزّان مع «الناس»، مرجع سابق.

70 - حوار بدر الدين الحوثي مع «الوسط»، مرجع سابق.

71 - حوار عزّان مع «26 سبتمبر»، مرجع سابق.

وخارجية. ولذلك حين سئل عن مصدر الدّعم قال: «وتأتي له من جهات عديدة مساعدات عينية تتمثل في المواد الغذائية كالقمح وما أشبه ذلك، وهو يحمل ديوناً كبيرة، ونحن الآن نقضي الديون، وقد كان يكتبها بخطّه إلا أن الدولة أخذتها»[72].

الظاهرة الحوثية والتشيّع السياسي

لاشك أن الفرقة الزيدية تمثِّل واحدة من فِرق التشيّع، وإن كان السائد في أدبيات أهل السنّة أنها الأعدل والأكثر قرباً إليهم من بين فرق الشيعة الأخرى. إلا أننا نلحظ تقارباً ملحوظاً بين الزيدية الهادوية المعاصرة، والزيدية الجارودية، وبين الشيعة الإمامية الجعفرية الاثني عشرية، من خلال أرضية التشيّع، بصرف النظر عن اختلاف طبيعة المذهبين وفلسفة كل منهما. وهذه الأرضية المشتركة بين المذهبين الجعفري الإمامي الاثني عشري وبين الزيدي الهادوي والجارودي قد ساعدت على تقارب في الوجهة بين المذهبين في الجانب السياسي (موضوع الإمامة وهي نقطة الخلاف الرئيسة بين المذهبين). فالمرجع الزيدي الأعلى بدر الدين أمير الدين الحوثي -على سبيل المثال- صرّح بمسألة حصر الإمامة في البطنين. وحين أبدى مرونة نسبية في إجازة حكم غير الهاشمي وجّه إليه الصحفي سؤاله قائلا: «أعتبرها فتوى منك، أنه يجوز أن يحكم أيا كان، ولو من غير آل البيت؟»، فأجابه بدر الدين الحوثي بتفصيل ذلك قائلاً:

---

72 – حوار بدر الدين الحوثي مع «الوسط»، مرجع سابق.

«هناك نوعان، نوع يسمّى الإمامة وهذا خاص بآل البيت، ونوع يسمّى الاحتساب، وهذا يمكن في أي مؤمن عدل، أن يحتسب لدين اللّه، ويحمي الإسلام ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، ولو لم يكن من البطنين». فسأله الصحفي: «كيف توفّق بين هذين النوعين؟»، فأجاب: «لايوجد تعارض لأنه إذا انعدم الإمام يكون الاحتساب»[73].

وفي ما يقدّمه المرجع بدر الدين الحوثي هنا، إشكال حقيقي عبّر عنه العلامة الحوثي بقوله «الانتخاب والديمقراطية طريقة لكن الإمامة طريقة ثانية». وهو أجاب في موطن لاحق من الحوار نفسه إجابة ملتبسة ولكن كاشفة حين سئل: «أنت كمرجع شيعي موجود: هل تقرّ بشرعية النظام القائم؟» فأجاب: «ما علينا من هذا الكلام لا تحرجني»[74].

ويبدي الباحث الدغشي تفهمه للحرج البليغ الذي أوقع بدر الدين الحوثي أولاده وأتباعه فيه بعد هذا الحوار، مما دفع ولده عبد الملك لأن يبعث رسالة إلى رئيس الجمهورية -بعد نشر حوار والده وما أحدثه من تداعيات سلبية على الفكر الحوثي ودعاته أمام الدولة والنخبة وعموم المتابعين، حتى من المتعاطفين مع حركته- يؤكّد فيها التزامه وحركته بالنظام الجمهوري والدستور والقانون، وأن ما صدر عن والده في حوار صحيفة «الوسط» إنما هو حديث عن نظرية زيدية، دون أن يقصد السعي من وراء ذلك إلى تحقيقها على أرض

73 - المرجع السابق.

74 - المرجع السابق.

الواقع، نظراً لخطورة المرحلة. وأبدى استعداده وأتباعه لمد يد السلام والوئام إلى الرئيس[75]، كما نوّه في آخر رسالته إلى أنه -أي عبد الملك- كان قد أرسل تعقيباً على مقالة والده نشرها في صحيفة الوسط ذاتها، بعنوان «المرحلة ليست مرحلة الإمامة»[76].

التكوين العلمي والفكري الأيديولوجي

بحسب محمد سالم عزّان فإن حسين الحوثي ووالده بدر الدين ورفيق دربه عبد الله الرزامي وآخرين، كانوا يداً واحدة بداية الأمر، تجاه بعض الأفكار المتشدّدة المنصوص عليها في بعض الموروث، وهي كانت محلّ نقد وتحفّظ من قبل المرجع الشيعي الأعلى مجد الدين المؤيدي (ت 2007/9/18م)، مما جعلهم جميعاً يسعون إلى إقناعه لرفع ذلك العتب والتحفظ عن مناهجهم الجديدة بعد أن راجعها وصادق عليها بدر الدين الحوثي[77].

لكن سرعان ما نشب خلاف بعد ذلك بين طرفين أحدهما يتزعمه حسين الحوثي والآخر يتزعمه محمد سالم عزان. وفي هذا يقول الأخير: «والخلاف كان بين خطّين: خط يؤيد الانفتاح على الآخر والحوار والتجديد في الفكر وهذا كان يمثله 4 من الإدارة وأنا منهم، والخط الآخر يميل إلى إعادة استهلاك الموضوع الثقافي والفكري والتركيز على القضايا التقليدية القديمة. وفي ظل هذا الخلاف

---

75 - راجع نص رسالته بتاريخ 2005/5/25م في: عادل الأحمدي، (وثيقة)، مرجع سابق، ص 373-375.

76 - يمكن مراجعة مقالته في الوسط نت.

77 - حوار صحيفة 26 سبتمبر مع محمد سالم عزّان، مرجع سابق.

والتوتر قالوا لا بد من توسيع الإدارة، ويومها انضموا إلينا مجموعة ومن ضمنهم حسين بدر الدين الحوثي»[78].

ويصف عزان حسين الحوثي بأنه كان فرداً عادياً في إطار منتدى الشباب المؤمن الذي تأسس عام 1990: « كأي فرد، ولم يكن عضواً في التنظيم حتى عام 2000، ففي 1999 جاء حسين بدر الدين من السودان في ظل ظروف وملابسات معيّنة، وكان هناك توسع في المراكز. وقد ظهرت بعض الخلافات حينها. وكان هناك رأي بتوسيع دائرة الإدارة وكانت مكونة من 6 أشخاص هم: محمد بدر الدين الحوثي، عبد الكريم جدبان، علي أحمد الرازحي، صالح أحمد هبرة، أحمد محمد الهادي، محمد يحيى سالم عزان»[79]. كما يصفه أيضاً بأنه «كان من التقليديين»[80]. «ومنذ العام 1999 بدأت المراكز تصنف إلى فريق معتدل وفريق تقليدي، حتى داخل المركز الواحد كان هناك تصنيف على هذا الأساس. وفي عام 2000 انفصلت المراكز وبدأ الاستقلال واستمرينا على أهداف وأدبيات الشباب المؤمن، بينما حسين بدر الدين والآخرون الذين انضموا إليه واصلوا في الجهة الأخرى، غيّروا الأهداف»[81].

---

78 – حوار عزان مع صحيفة «الناس».

79 – المرجع السابق.

80 – المرجع السابق.

81 – المرجع السابق.

وواضح لمن يتتبع خطاب حسين الحوثي بعد تلك المرحلة (ما بعد 2000) أن هذا التغيير الذي يشير إليه عزان قد شمل التكوين الكلي بأبعاده النفسية والتربوية والفكرية والسياسية، لشخصية حسين الحوثي، إذ لم يعد مقلّداً للمذهب الزيدي، ولا متابعاً تقليدياً لآراء فقهائه، كما لايمكن -في الوقت ذاته- استنتاج أنه غدا نسخة مستعارة من الفكر الاثني عشري الجعفري -كما يتردّد في الوسط السنّي كثيراً- بل غدا خطابه الفكري الموجّه نحو أتباعه ذا روح انتقائية ثورية متمرّدة، تبدأ من نقد الآخر، المذهبي، كأهل السنّة عامة[82]، إذ وصفهم بأنهم جميعاً لا يخيفون اليهود، بل الشيعة هم من يفعل ذلك[83]، أو الوهابية -كما يصفها-[84]، أو ابن تيمية من القدماء[85]، أوالألباني والفوزان[86] والزنداني من المعاصرين[87] وصولاً إلى نقد المذهب الزيدي بل اتهام الزيدية -ولا سيما المعاصرة منها- بأنها لا تقل سوءاً عن «المجبِرة» في باب تأويل بعض آيات الصفات[88]. وفي حين أشاد بتعلّم اللغة العربية لمعرفة القرآن الكريم فإنه شن

---

82 - انظر: حسين الحوثي ملزمة دروس من هدي القرآن: الثقافة القرآنية، ص 20، بتاريخ 2002/8/4، أعدّها ضيف الله صالح أبو غيدنة.

83 - حسين الحوثي، ملزمة الصرخة في وجه المستكبرين، ص5-6، بتاريخ 2002/1/17، أعدّها ضيف الله صالح أبو غيدنة.

84 - المرجع السابق، ص17.

85 - انظر: حسين الحوثي: شريط (1) من معرفة الله، الدرسان الثاني والثالث.

86 - انظر: حسين الحوثي ملزمة دروس من هدي القرآن: الثقافة القرآنية، ص 17، مرجع سابق.

87 - انظر: حسين الحوثي، ملزمة دروس من هدي القرآن الكريم: الصرخة في وجه المستكبرين، ص8، مرجع سابق.

88 - راجع حسين الحوثي، شريط: لقاء مع المعلّمين في 26 و2003/5/28، وشريط الزيدية والإمامية (2)، د. ت.

حملة شعواء على علمَي أصول الفقه، وعلم الكلام، حيث نفى أن تكون معرفة القرآن متوقفة على أصول الفقه، بل وصفه بأنه: «فنٌّ يضرب القرآن ضربة قاضية، يضرب القرآن ضربة شديدة، يضرب فطرتك، يضرب توجهك نحو القرآن، يضع مقاييس غير صحيحة، تدخل إلى القرآن والقرآن بشكل آخر؛ ولهذا نجد أنفسنا كيف أن القرآن لم يعمل عمله فينا، لم يستطع القرآن، لأننا وضعنا عوائق أمام فهمنا له، أمام اهتدائنا به، أشياء كثيرة حالت بيننا وبين أن نفهمه، وبالتالي قتلناه، وأصبحنا أمة ميتة، أصبحنا أمة ميتة، أسأنا إلى أنفسنا، وأسأنا إلى القرآن الذي هو أعظم نعمة من الله علينا»[89].

وهو ينتقد أيضاً بشدة علم الكلام لأن «علماءه لم يعتمدوا القرآن والفطرة في دراستهم للعقيدة، بل اعتمدوا الفلسفات اليونانية، فتجدهم يعانون من ضعف الخشية لله». ونقل عن القاسم بن إبراهيم (أحد أئمة الزيدية) قوله: «ما خشع متكلّم لله». كما ضرب المثال في ذلك ببن تيمية الذي اعترف بغزارة علمه ومعرفته الواسعة، لكن إغفاله الأسس القرآنية في دراسة التوحيد، وتأثره بثقافة معيّنة، وبسبب عدم اعتماده على مطلوب القرآن الكريم، وبسبب الضعف في تحقيق لا إله إلا الله، جعله يخرج بآراء وصفها بالغريبة الشاذة[90].

---

89 – انظر: حسين الحوثي ملزمة دروس من هدي القرآن: الثقافة القرآنية، ص 17، مرجع سابق.
من الطريف والمفيد هنا مقارنته مع دروس السيد محمد حسين فضل الله في تفسير القرآن وكذلك خطبه الكثيرة رحمه الله.

90 – حسين الحوثي، شريط من معرفة الله، الدرس (3) رقم (1)، وشريط: من هدي القرآن، معرفة الله، الدرس الثاني، شريط رقم (1). وقارن هنا مع موقف سيد قطب في موضوع معنى لا إله إلا الله.

ولعل حسين الحوثي قد رأى في نفسه أهلاً للاجتهاد، والخروج -من ثمّ- عن بعض الآراء السائدة في المذهب الزيدي، وهو ما جلب عليه سخط أبرز علماء المذهب، حيث حذّر أشهر رموزه في ختام بيان أصدروه بهذا الشأن، ويحمل أسماءهم وتواقيعهم، مما وصفوه بـ«ضلالات المذكور (أي حسين الحوثي) وأتباعه، وعدم الاغترار بأقواله وأفعاله، التي لا تمتّ إلى أهل البيت وإلى المذهب الزيدي بصلة، وأنه لا يجوز الإصغاء إلى تلك البدع والضلالات ولا التأييد لها، ولا الرضا بها (ومن يتولهم منكم فإنه منهم)، وهذا براءة للذمّة، وتخلّص أمام الله من واجب التبليغ»[91].

ومع أن الأمين العام الأسبق لتنظيم الشباب المؤمن محمّد سالم عزّان يقرّ أن هذه الجماعة تنتمي في الجملة إلى الزيدية، إلا أنّه يشايع بيان علماء الزيدية السابق حين قال في حوار صحفي: «ولكن الأفكار التي قامت الفتنة[92] على أساسها غريبة على مذهب الزيدية، ولذلك لم يُقرّها علماء الزيدية، ولم يشاركوا فيها، بل حذروا منها ونصحوا بتجنبها»[93].

---

91 - راجع -على سبيل المثال- بيان من علماء الزيدية «هذا بلاغ للناس ولينذروا به»، منشور نسخة منه، ضمن وثائق كتاب الزهر والحجر، مرجع سابق، ص 349. كما هو بنصّه في: عبد الله الصنعاني، خلفية الفكر الحوثي ومؤشِّر الاتجاه، جـ2 (القاهرة: دار الأمل، الطبعة الأولى، 1427هـ-2006م)، ص 85-87.

92 - المقصود الحروب الحوثية ضد النظام.

93 - حوار صحيفة «26 سبتمبر» مع محمد سالم عزّان، مرجع سابق.

وقد حاول شقيق حسين الحوثي الأكبر (محمّد) التقليل من شأن ذلك الجدل حول العلاقة بالمذهب، في معرض إجابة له على سؤال بهذا الشأن قائلاً: «هناك بعض المسائل التي يعتبرها البعض من علمائنا مسلّمات لا جدال فيها كمسألة الاجتهاد، وعلم الكلام، ولا نعني به أصول الدين، ونحوها، ولم يكن الأخ حسين أولّ من تكلّم فيها، بل أولئك العظماء من قدماء أئمة أهل البيت عليهم السلام، كالإمام القاسم الرسّي، والإمام الهادي محمّد بن القاسم، وغيرهم، ومن فتشّ كتبهم عرف ذلك. مع أنه قد لا يوجد عالم من علماء الزيدية إلا وله نظرة في موضوع ما تُخالف المذهب... إلخ». ونصح بقراءة ملازم حسين، والاستماع إلى محاضراته، والحوار والتفاهم. وحين وجّه إليه سؤال آخر حول أن بعض علماء الزيدية الذين يرون مخالفة حسين للمذهب، يتهمونه وأتباعه بالدعوة «إلى إزالة الإطارات المذهبية، والمسميات الطائفية، كونها سبب ضعضعة الإسلام. فهل يعني هذا أنّكم بصدد إنشاء مذهب جديد، أم بصدد إنشاء مشروع غير متحقّق في نظر البعض، لإقامة وحدة إسلامية بلا مسمّيات؟» أجابه بالقول: «نحن ندعو للالتفاف حول القرآن الكريم، وتحكيمه في ما اختلفت الأمة فيه، وتوحّد الأمة لا يكون إلا على منهج علمي وهو الجهاد في سبيل الله ضدّ المستكبرين في الأرض... أما عن شطر السؤال الأخير، فنحن لم نأت بجديد، حتى يتصور أحد أننا بصدد إنشاء مذهب جديد، وفي المذاهب الموجودة كفاية، وكل ما قاله الأخ حسين مما يستغربه البعض قد قاله غيره كما أسلفنا، وهو في كتب

قدماء العترة الطاهرة، وإنما مشكلة البعض هي عدم الاطلاع، خاصة على كتب قدماء أهل البيت عليهم السلام»[94].

والسبب الثاني يعود إلى أن جزءاً لا يتجزأ من تكوين حسين الحوثي الفكري والسياسي نابع في الأساس من الفكر السياسي الزيدي الذي يعدّ الأصل الخامس عنده هو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ومن مستلزمات الإيمان به الرفض والتمرّد والعصيان بل المحاربة والثأر على كل حاكم يُعتقد فسقه وفساده[95]. ولعل من مظاهر ذلك -على سبيل المثال- ما ورد في سياق حديث حسين الحوثي عمّا وصفه بمحاولات تعميم وزارة الأوقاف والإرشاد (اليمنية) لثقافة طاعة ولي الأمر أيًا ما كان مسلكه[96].

خلاصة القول أن الحوثي صار صاحب حضور لافت في بيئته وخارجها، لأسباب مختلفة لعل في مقدّمتها تلك النزعة الثورية المتمرّدة، في واقع اجتماعي وسياسي بائس. هذا عدا عن امتلاكه خطاباً جذّاباً في أسلوبه، غير معهود في الأوساط التقليدية، وفي مثل بيئته بوجه خاص؛ فقد غدت شخصيته (كاريزمية)، على نسق شخصية السيد حسن نصرالله في لبنان.

---

94 - راجع: حوار محمد بدر الدين الحوثي، مع صحيفة الديار (اليمنية)، أجرى الحوار في ضحيان بصعدة: أسامة حسن ساري، العدد (75)، ص 13، 2008/12/28.

95 - علي عبد الكريم الفضيل شرف الدين، الزيدية نظرية وتطبيق، مرجع سابق، ص89-91.

96 - راجع: ملزمة دروس من هدي القرآن: الثقافة القرآنية، مرجع سابق، ص 19-22. والصرخة في وجه المستكبرين، مرجع سابق، ص6.

الإمامية في فكر الحوثي

في كتاب للمفكر الشيعي اللبناني علي الكوراني[97] يُسمى «عصر الظهور»، فصل بعنوان «اليمن ودورها في عصر الظهور»، وفحواه التبشير بقدوم رجل يقال له حسن أو حسين من كرعة بالقرب من صعدة باليمن، يقود ثورة تمهِّد لظهور المهدي الغائب[98]، وهو ما أثار جدلاً واسعاً عن علاقة ذلك بدعوة الحوثي. والحق أن الباحث الدغشي «بعد اطّلاعه المباشر على تلك النصوص -وقبل استماعه إلى محاضرة مسجّلة لحسين الحوثي في السياق ذاته- كان يعدّ ذلك الكتاب وما ورد فيه عن اليمن -بوجه خاص- دليلاً كافياً على صحة الاتهام الذي لطالما وجّه إلى حسين الحوثي، وكان يعتقد كما آخرون[99]، أن ما تبناه حسين الحوثي من فكر إنما يستمد جوهره -على الأقل- من خلال تبعيته المطلقة لإيران، وأن حركته العسكرية هذه إنما قامت في إطار خطّة محكمة الأبعاد، تتدثر برداء النصوص (المقدّسة) تلك. بيد أن المتابعة المعمّقة لجملة ما صدر عن الحوثي عبر المحاضرات والدروس والملازم ونحوهما، فرض على الباحث التروّي وضرورة التحليل المعمّق، لهذه المسألة[100].

97 - الشيخ علي الكوراني العاملي اللبناني، من قادة حزب الدعوة العراقي الذين عارضوا السيد محمد باقر الصدر. غادر النجف إلى بيروت ثم إلى قم بعد انتصار الثورة الإسلامية، ومن هناك كان من أبرز المنظرين لحزب الله ولولاية الفقيه قبل أن يتفرغ مؤخراً للكتابة عن الإمام المهدي ومواعيد ظهوره.

98 - راجع: الشيخ علي الكوراني العاملي، عصر الظهور (بيروت: مؤسسة الشهيد، 1408هـ)، ص143-148.

99 - راجع -على سبيل المثال-: عبد الله الصنعاني، الحرب في صعدة، ج2، مرجع سابق، ص 35-37.

100 - الدغشي، مرجع سابق.

ففي ضوء حديث مثير مسجّل لحسين الحوثي عن الإمامية والزيدية (يظهر فيه بوضوح الأثر المعتزلي في الفكر الزيدي عند الحوثي) يمكن للباحث في حقيقة الفكر الحوثي أن يتوصّل إلى حقيقة ما يتردّد عن علاقة بين الحوثي والمذهب الإمامي الاثني عشري. وحاصل ما دار في حديثه ذاك أنه بعد تأكيد الحوثي على أن فكرة المهدي المنتظر، وكونه من أهل البيت، من حيث هي ليست موضع خلاف لدى عموم المذاهب الإسلامية، ينتقل إلى عقيدة الإمام الغائب التي تمثل ركناً أساسياً في الفكر الاثني عشري الإمامي، فيوسعها استخفافاً وسخرية ودحضاً وتفنيداً، مبتدئاً بفكرة الغيبة تلك، وتصويرها بأنها مؤامرة مصطنعة نسجت خيوطها في العهد العباسي، بهدف نزع فتيل التشيع وشوكته من النفوس، وتأكيده على عدم ثبوت ولادة ما يسمى بالإمام المهدي الغائب، ومحاججته الجعفرية الإمامية القائلة بذلك، منكراً صراحة وجود إمام غائب يمثّل حجة الله على الناس، داعماً رأيه بعدم معرفة الأمة به، إذ لم يتصل بالأمة، ومؤكّداً أن حجة المهدي على الناس إنما تكون في حال ظهوره، وليس في فترة غيابه التي لا يعلم أحد كم ستستمر. ويمضي مع الاثني عشرية في عقيدتهم فيفترض معهم التسليم بولادته وأنه لا يزال يعيش إلى آخر الزمن وسيظهر، ليرد محاججاً إياهم بقوله فإن «كان المراد بالمهدي هو أنه إمام للأمة منذ ذلك الزمن وعلى امتداد التاريخ وحجة عليهم، فلماذا تتحدثون عن ظهور المهدي؟ وعندما يأتي المهدي؟ ودولة المهدي؟ وأنه رجل أعد لهذا العصر المتأخر؟ منطقكم ذا يدل على

أن المهدي هو رجل أعدّ لعصر لم يأت بعد، أي فما هو الآن فيه ليس هو فترة دولته ولا فترة حجيته، ولا فترة ارتباط الأمة به»[101].

والحق أن هذه المداخلة وحدها كفيلة بنقض تهمة تحضيره من قبل إيران ليكون الرجل الذي جاءت به الآثار التي أوردها الكوراني في كتابه «عصر الظهور». وقد نفى الكوراني التهمة الموجّهة إليه بكونه المرجع الأول لحركة الحوثي، مشيراً إلى أنه قد أوضح للسفير اليمني بطهران الذي زارهم إلى مدينة قم أن لاعلاقة له بحركة حسين الحوثي، وأنّه ليس اليماني الموعود قائلاً: «وإذا ادّعى ذلك لا نصدّقه، حتى يأتي بمعجزة». وأكّد في بعض المنتديات «أن كتابه مؤلّف من سنين طويلة، وأنّه ينقل أحاديث شريفة عن النبي والأئمة، ويتحدّث عن عصر ظهور المهدي الذي لا يعلم أحد متى يكون؟ فقد يكون بعد قرون، وليس في الكتاب خطّة مني، ولا توجيه، ولا تحريك، وشخصياً أرى أن القتال وسفك الدماء حرام على الطرفين، وأنّه يجب عليهم حلّ مشاكلهم بالطرق السلمية»[102].

ووصف الحوثي فكرة التعمير الطويل لمن تصفه الإمامية بـ«الإمام الغائب»، بكونه سابقاً للحضارات وكي لا ينبهر بها بـ«المغالطة»، واستشهد بولادة الإمام الخميني من رحم هذه الحضارة الغربية، فهو ابن القرن العشرين، وكان من أشدّ الناس مقاومة لطغيان الحضارة الغربية المعاصرة، دون أن ينبهر بها! كما ردّ دعوى ظهوره

101 – حسين الحوثي، شريط الزيدية والإمامية، مرجع سابق.

102 – راجع تقرير: محمّد الخامري، إيران تنفي علاقتها بتمرّد الحوثي، موقع إيلاف، 13 أبريل/ نيسان 2005، وهو مثبت في: عادل الأحمدي (ملحق)، مرجع سابق، ص 292.

لبعض الاثني عشرية في صورة «شبح» -رغم الزعم بأنه حجة على الناس جميعاً وليس على الاثني عشرية وحدها- بأنه من أساطيرهم، وتساءل: لماذا لم يره أحد من علماء الزيدية الكبار عبر تاريخهم، رغم أن فيهم أئمة وعلماء وعبّاداً وصالحين من المؤمنين بفكرة المهدي وأنه من آل البيت؟ وتساءل بلهجته «ليش ما بيلقاه المهدي هذا؟»، أي لماذا لم نعثر على المهدي؟ ولفظ «هذا» هنا للتهكّم؟ مستنتجاً أن الهدف من ذلك هو تحقيق الإمامية لمطلب التحوّل للزيدية تحديداً وعبّر عن ذلك بالقول: «ما بلّا إذا بدا يتحوّل إلى اثني عشري فسيلقى المهدي». أي أن الشرط لرؤية المهدي الغائب هو البدء بالتحوّل الفعلي إلى المذهب الاثني عشري، وهذا دليل أكثر قوّة على اختلافه مع فكرة إحلال المذهب الاثني عشري في اليمن أو موافقته على عمليات التحوّل التي تقع لبعض أفراد المذهب الزيدي ورجالاته. ومضى في كشف «تلك الأسطورة» راجياً ممن يصرّ على أنه رأى المهدي بأن يمسكه ويطلب موعداً للحوثي، كي يأتي إليه ليراه! «قلنا لواحد منهم طيّب أنت بتشوفه رجاء متى ما لقيته حدّد لنا موعد معه لنجلس معه ونحن مستعدون، أنت ثقة خلاص متى ما لقيته حدّد لنا موعد لنجتمع معه ونؤمن به وننصره»... ووصف ذلك بالخرافة حين قال «هذا من الأشياء التي تعتبر خرافة، دعوى أنه لا يراه إلا هم»[103].

ثم يأتي إلى تعزيز مناقشته في دحض فكرة الإمام الغائب بما ورد في بعض الروايات الإثني عشرية -وقد أوردها كتاب الكوراني

---

103 - حسين الحوثي: شريط الزيدية والإمامية، مرجع سابق.

المشار إليه سابقاً وإن لم يذكره بالاسم- من كون الرجل الذي يأتي قبيل ظهور المهدي من اليمن، وأن رايته أهدى الرايات، واصفاً ذلك بأنها «إشكالية لديهم». وأشار إلى أنهم حاولوا التملّص من ذلك بقولهم: «إنه لا يعني هذا بأنه يمكن أن يظهر وهم ليسوا اثني عشرية، يفترض بأنهم سيكونون اثني عشرية». ثم جاراهم وقال: «حتى إذا كانوا اثني عشرية؛ فلماذا رايتهم أهدى من راية الخراساني والخراساني هو منهم اليوم...؟ إذا ليش ما يظهر لليمانيين...؟ وهم من سيكونون من أنصار المهدي، واليماني هذا فيهم هو رايته أهدى الرايات؟ مابش مابلا فقط الاثني عشرية». واستغرب أن يترك المهدي -مادام موجوداً- أتباعه من الاثني عشرية في هذا الاضطراب في فنونهم وعلومهم سواء في التفسير أم الحديث أم الفقه أم الأصول، شأنهم في ذلك، شأن غيرهم من أهل السنّة وغيرهم، مختلفين متنازعين، فلماذا لا يعطيهم المهدي الغائب العلم الحق الذي يرفع النزاع ويقطع الخلاف في العلوم جميعاً؟ كما استغرب أن يوردوا حديث: «من مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهلية»، في حين لم يظهر هذا الإمام، ولم يدع الناس إلى بيعته مباشرة! واستهجن اعتقاد أن يكون هناك إمام يعلم الغيب، لأن الأنبياء لا يعلمون الغيب، ولا علي ولا الحسن ولا الحسين، وحشد عدداً من الأدلة من تاريخ آل البيت تدحض جميعها هذا الاعتقاد. مشيراً إلى أن الإمامية طيلة تاريخها تحرّك مسألة آل البيت عاطفياً، وإن بدأوا يحركونها اليوم ثورياً، وتفرّق بين الحسين والحسن، لتعلي من أهمية الأول، في مقابل إزدراء الثاني أو التقليل من

شأنه، على حين أن الزيدية لا تفرّق بينهما. وأشار إلى أن فكرة الاثني عشر إماماً عند الإمامية، لا تختلف عن مفهوم عدالة الصحابة عند السنّة، وعقيدة الصليبية عند النصارى، لكنه أشار إلى أن الإمامية بالغت في تضخيم أئمتها إلى حدّ أن جعلت عدد الساعات الاثنتي عشرة مرتبطاً بكل إمام، فالساعة الأولى باسم الإمام فلان والثانية باسم الإمام فلان وهكذا... إلخ، وكذا الأذكار. واستنكر أن تقدّم الإمامية فكرة الأئمة الاثني عشر وتعدّها من المسلمات المفروغ منها!! كما استنكر بعض المظاهر التي تقيمها الاثني عشرية عند المشاهد كالسجود عند باب المشهد مستقبلاً القبر نفسه، من غير اتجاه القبلة، وعلّل ذلك بالنسبة للاثني عشرية بطغيان مسألة الأئمة عندهم حتى «تراها وكأنها طاغية على النبوة». فلم تعد لديهم المسألة مستنكرة، تماماً كما طغت مسألة الصحبة عند السنة على النبوة![104].

وبرّر إعجابه بإيران والخميني ونصر الله وحزب الله بأنه إعجاب بجانب الإرادة والحركة والقدرة على التغيير، وليس بمذهبهم العقدي والفقهي لأنهم تجاوزوا مذهبهم.. «نحن لا نلحظ إطلاقاً الجانب المذهبي لديهم، لأنه-كما قلت سابقاً: لو أتأثر بهم مذهبياً لوجدت مذهبهم غيرهم، لوجدت مذهبهم يفرض عليهم أن لا يكونوا على ذلك النحو الذي كانوا عليه. ليس في مذهبهم مسألة ولاية الفقيه ولا حركة ولا حكومة إسلامية ». وأضاف: «بعض الناس ستشكل عندما أتحدّث عن الخميني أو أتحدث عن كذا لأن هذا قد

104 - المرجع السابق.

يؤدي إلى أن الناس يتأثرون بهم مذهبياً، أنظر إلى حديثي عنهم، أنا أقدمهم كأشخاص جربوا القرآن في تاريخنا هذا، لأن الناس من حولنا ماعاد أصبح يكفيهم نصوص الآيات القرآنية... نقدّمهم كمَثَل ونحن ليس لدينا من كتبهم الفقهية ولا نتأثر بهم اعتقادياً، ولا نلتفت إلى هذا الجانب إطلاقاً».

وحمل على الزيدية، متهماً أتباعها بأهم صاروا من الضعف بحيث بات الناس يتخطفونهم من حولهم، مشيراً إلى أنه بدلاً من أن يقدّم الزيدية أنفسهم بأنفسهم، صار الآخرون -في إشارة إلى الإمامية- يقدّمونهم مشوهّين. ثم صرّح -عقب ذلك- بأنه لابد من استنكار تشويه الزيدية من قبل الاثني عشرية الذين يتحرّكون في اليمن اليوم، وأن هؤلاء ليسوا على خط الخميني، وقد بدأت المعاناة منهم (يقصد الإصلاحيين) داخل إيران ذاتها، مذ بدأوا يتخلّون عن فكرة تصدير الثورة. وحذّر الشباب من الاستعانة بكتب الجعفرية في خطبة أو نحوها لما فيها من السلبيات الكثيرة كدعوى علم أئمة الاثني عشرية الغيب. مؤكّداً على ضرورة إدراك أن السلوك الذي يبعث على الإعجاب بمثل الخميني أو نصر الله يأتي بمعزل عن مذهبهم! محذِّراً -في الوقت ذاته- من خطورة التسهيلات التي تقدّم للجعفرية، ومنوّهاً إلى أن من أخطر القضايا لدى الإمامية: قضيتي الخمس والمتعة، وتكادان أن تكونا من أصول المذهب عندهم، وتساءل مستنكراً: هل يمكن لليمنيين أن يسلِّموا الخُمس؟ هل يمكن لأهل الجوف -مثلاً- أن يسلّموا الخُمس مع أنهم يخطفون الطير من

الهواء؟ أمّا المتعة فأكّد أنها لا تنسجم مع مذهب الزيدية وتقاليدهم وشهامتهم وشيمهم. وغمز بمن انخرط مع الجعفرية وراحوا يدعون إليها بسؤالهم: «لماذا لا تجعفر أخواتك؟»، وحين يراهم يتردّدون قال لهم: «إذاً أنت ماتتشتي (لا تريد) اثني عشر من صدق»، وأردف: «المعلوم أن الذين تجعفروا هم رجال فقط، وليس هناك نساء». وأكّد أن اليمنيين يبحثون عن من يعطيهم مصروفاً، كما كان في عهد الإمام أحمد، وفي التاريخ، ولذلك من يذهب إلى حوزة أو نحوها إنما ذهب للبحث عن مصروف من هناك أو «يترزّق اللّٰه ويتعيّش». ومع أن الجعفرية تعلم بأنه لا يمكن لليمنيين تطبيق المتعة والخمس، فإنهم يقبلونهم: «حياهم اللّٰه، المسألة مسألة إيجاد طائفة على هذا النحو». وانتقد بشدّة ظاهرة التبشير بالاثني عشرية في اليمن، وأن البعض تصدّى لها، وأن هناك كتباً تبيّن الفرق بين الإمامية والزيدية، وهو وإن كان يعتقد أن المرحلة ليست مرحلة تخصيص ردود عليهم، لكن إذا استمرّوا في منهجهم في نشر الاثني عشرية فتوعّد بالتصدّي لهم، مذكّراً بأن لديه من الشواهد ما يجعله قادراً على كشفهم. ثم أكّد أن الزيدية هي أصدق الفرق في ولائها لآل البيت[105].

وهكذا يبدو أن حسين الحوثي يعتبر شيعة الخميني وحزب اللّٰه أقرب على فكر الزيدية (فكرة الخروج المسلح على الحكم وفكرة العدل والأمر بالمعروف وفكرة أن إمام الزمان هو من يدعو لنفسه ويخرج مجاهداً بالسيف) منهم إلى فكر الاثني عشرية القائم على

105 – حسين الحوثي، شريط الزيدية والإمامية، مرجع سابق.

الانتظار والتقية. ولا شك أن سفر الحوثي في 1994 ووالده إلى إيران، ثم لبنان، قد جعله يعود أكثر إعجاباً بالتجربة الإيرانية والخمينية وتجربة حزب اللّه، وهو مما استفاضت به محاضراته ودروسه المسجّلة وملازمه... بيد أن ذلك لا يعدّ دليلاً كافياً على تبعية مطلقة لإيران أو حزب اللّه، إذ إن دعم إيران المعنوي والمادي لم يقتصر على جهات أو اتجاهات شيعية فحسب، بل ثمّة أطرافاً سنيّة تعلن اعتزازها بموقف إيران (الشيعية) ودعمها لها، ولعل أنموذج حركتي «الجهاد» و«حماس» خير شاهد على ذلك، ناهيك عن حركات لبنانية ومصرية وعربية وغيرها. وإذا صحّت شهادة القائد الميداني الأسبق لتنظيم القاعدة في السعودية محمّد عتيق العوفي بأنه قد انفصل عن التنظيم وسلّم نفسه لأجهزة الأمن السعودية، بعد أن تأكّد له -أثناء هروبه إلى اليمن- أن هناك دعماً مادياً إيرانياً لتنظيم القاعدة يرد إليها عبر الحوثية[106]. فإن ذلك شاهد آخر على أن للسياسة حساباتها أحياناً، بمنأى عن الأيديولوجيا والطائفة والمذهب، إذ كيف يجتمع تنظيم يوصف بأقصى درجات التطرّف السلفي السنّي بتنظيم مضادّ يوصف كذلك بأعلى درجات التطرّف الشيعي (الإمامي)؟!. وغاية ما في الأمر بالنسبة للحوثية -في ظل قيادة حسين الحوثي تحديداً- هو أنها قد التقت مع إيران وحزب اللّه -من الناحية العقدية والفكرية- على غير تخطيط مسبق في فكرتها الجوهرية المتمثّلة في الموقف من كبار الصحابة ولاسيما أبو بكر وعمر وجعل الولاية مخصوصة بآل البيت،

106 - راجع تصريحات العوفي للقناة السعودية الأولى -على سبيل المثال- في: صحيفة الثورة اليمنية، 1 ربيع ثاني 1430هـ الموافق 28 مارس 2009، ص 3.

وذلك ما لا يمكن إنكاره بوصفه مستفيضاً جدّاً في الفكر الحوثي؛ وإن اختلفت الحوثية بعد ذلك كليّاً مع الاثني عشرية في مفهوم الولاية هذا وشروطه ومواصفاته. وذلك هو جوهر الفكر الزيدي (الجارودي) الذي بات الدغشي مقتنعاً بتوصيف الحوثية في إطاره، ولا سيما في الفترة التي قاد فيها حسين الحوثي تنظيم الشباب المؤمن. ويشاطره في هذا الاستخلاص ثلاثة أطراف مختلفون من الناحية الفكرية والمذهبية، بيد أنهم اتفقوا جميعاً على توصيف الفكر الحوثي ومؤسسه على نحو ما ذهب إليه الباحث الدغشي.

أمّا الطرف الأول: فسنّي سلفي، وأمّا الآخر فشيعي جعفري إمامي. الأول هو الشيخ محمّد بن محمّد المهدي (رئيس جمعية الحكمة اليمانية في مدينة إب) الذي قال في سياق مناقشة له بهذا الشأن: «ما يتعلّق بالأستاذ حسين الحوثي فرسائله بعد قراءتي لها، وصلت إلى القناعة التي أجبت عليها في بعض المقابلات الصحفية مؤخراً أنه زيدي جارودي متأثر بالاثني عشرية في أمور، فيتكلّم في أبي بكر وعمر وعثمان وعائشة في رسائله طولاً وعرضاً، وعنده غلو في مسألة إمامة علي بن أبي طالب -رضي الله عنه... وأن المسألة مرتبطة بعلي وذريّته فقط -رضي الله عنهم... فعلى كل حال هو باختصار زيدي جارودي، أخذت ذلك من رسائله، ومن أشرطته... فإذاً لا يمنع من أن أقول لك: إنّه متأثر بالاثني عشرية، مع كونه لا يستطيع أن ينكر أنّه زيدي»[107].

---

107 - محمّد بن محمّد المهدي، على هامش حوارات سابقة مع الأستاذ عبد الفتاح الحكيمي، صحيفة إيلاف (اليمنية)، العدد (65)، ص 13، 3 ذو الحجة 1429هـ/ 2 ديسمبر 2008م.

وأمّا الآخر فهو الطالب الجعفري الذي تحوّل من الزيدية إلى الجعفرية حسن علي العماد الذي أجاب عن سؤال: «هل صحيح أن الحوثيين اثني عشرية؟»، فأجاب: «متأثرون ببعض الأفكار الاثني عشرية»[108].

أمّا الطرف الوسط فيمثّله الأستاذ محمّد سالم عزان الأمين العام الأسبق لتنظيم الشباب المؤمن، الذي خرج على التنظيم بعد بلوغه مرحلة المواجهة المسلّحة مع السلطة، وقد أجاب على سؤال: «هل ارتبطوا بالمذهب الاثني عشري؟ بـ: «لا». وحين سئل: «فمن من أي أصول استمدت إذاً؟»، أجاب: «خليط من كل شيء، بعضها فيها طابع الفكر الجعفري، وبعضها السلفي، لا تستطيع أن تحدّد لها هوية»[109].

هذا في ما يتصل بحسين. أما بالنسبة للأب بدر الدين فقد نفى تهمة الجعفرية عنه وعن ابنه، وفي معرض إجابته عن العلاقة مع الجعفرية وإقامة السيستاني علاقة مع الأميركان في العراق، قال: «إن طريقة الزيدية مختلفة عن طريقة السيستاني الجعفرية». وفي إجابته على سؤال عن حقيقة اعتناق ابنه حسين للمذهب الجعفري نفى ذلك بالقول: «غير صحيح، هذه دعاية كاذبة مثلها مثل ما قالوا إنّه ادّعى النبوة والإمامة، كلّه كذب»[110].

---

108 – حوار من إيران مع الطالب الجعفري حسن علي العماد (لم يذكر اسم المحاور)، صحيفة إيلاف (اليمنية)، العدد (65)، المرجع السابق، ص3.

109 – حوار محمّد يحي سالم عزان، مع صحيفة الناس، مرجع سابق.

110 – راجع حوار بدر الدين الحوثي مع صحيفة الوسط، مرجع سابق.

تجدر الإشارة إلى أن بعض الباحثين اليمنيين يرجعون ظاهرة التطرّف والمغالاة في التشيع في اليمن إلى تأثير خارجي منذ القديم، إذ يؤكّدون أنه كان يفد إلى اليمن بعض الأفراد أو الجماعات من إيران لغرض سياحة أو تجارة أو نحو ذلك، لكنهم يعمدون أثناء إقامتهم باليمن إلى نشر مذهبهم (الإمامي) في أوساط العامة[111].

يورد الشوكاني (ت 1250هـ/1834م) في ترجمته للإمام محمّد بن إسماعيل الأمير الصنعاني (ت 1182هـ/1768م) أن فتنة حدثت في أيام الإمام المنصور الحسين بن القاسم (حكم اليمن من سنة 1139-1161هـ/1727-1748م) بسبب أنه اتفق في بعض الجمع أن الأمير الصنعاني لم يذكر الأئمة الذين جرت العادة بذكرهم في الخطبة الأخرى مما أثار عليه جماعة من آل الإمام مع جماعة من العوام وأعدّوا خطة لقتل الأمير في الجمعة المقبلة، وكان من أعظم مثيري الشغب والفتنة شخص إمامي قدم من «فارس» يدعى يوسف العجمي، وكان قد حظي بمنزلة رفيعة عند المنصور، إذ صار مدرّساً بحضرته، ولم يطرده من اليمن إلا الإمام المهدي عباس بن الحسين (حكم اليمن من سنة 1161- 1189هـ/1748-1775م) على خلفية الفتنة إياها[112]. هكذا يظهر لنا سرساب يمني قديم (ولعله عربي على العموم) في نسبة التشيع الإمامي إلى تأثير فارسي خارجي... ما يفسر لنا الوضع الراهن في اليمن كما غيرها.

111 - عبد الله السريحي محقّق ودارس كتاب أدب الطلب ومنتهى الأرب للشوكاني، ص 62، الطبعة الأولى، بيروت: دار ابن حزم، وصنعاء: مكتبة الإرشاد، 1419هـ- 1998م.

112 - محمّد بن علي الشوكاني، البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، جـ2، ص 134،، د. ت، د. ط، بيروت: دار المعرفة.

الله أكبر، الموت لأميركا، الموت لإسرائيل، اللعنة على اليهود، النصر للإسلام استبسل حسين الحوثي وأتباعه في سبيل هذا الشعار، وتعرّضوا للسجن المديد، والملاحقات الأمنية، ورفضوا أيّة تعهدات منهم، لإخلاء سبيلهم بعد فترة احتجاز بعضها طويل.

وفي تقرير مقدّم إلى بعض إصدارات الأمم المتحدة أفاد مصدر وُصِف بذي الإطلاع في صعدة أنه كان «قد التف حول الحوثي

عدد كبير من الشباب في صنعاء، وبدأوا يرددون شعاري «الموت لأميركا» و«الموت لإسرائيل» في المسجد الكبير بالمدينة بعد صلاة الجمعة، مما أربك الحكومة وأثار قلقها». ووفقاً للمصدر ذاته «ألقت الحكومة القبض في عام 2004 على 800 شخص من أنصار الحوثي في صنعاء، كانوا قد رفضوا التوقف عن ترديد الشعارات». حيث يقول المصدر إن «إصرارهم على ترديد الشعارات جذب إليهم انتباه السلطات وزاد من مخاوفها وقلقها حيال مدى تأثير التيار الحوثي. حيث اعتقدت السلطات الأمنية أن ترديد أنصار الحوثي شعار الموت لأميركا، سيشجعهم في ما بعد على ترديد شعار الموت للرئيس (اليمني)»[113].

تعود قصة هذا الشعار إلى بداية الثورة الإسلامية في طهران 1979 حين رفع الإمام الخميني ذلك الشعار في وجه الشاه، وصار أتباعه يردّدونه فى حماسة لافتة، وكان له -أى للشعار- دويّه

113 - راجع تقرير اليمن: النزاع في محافظة صعدة، الخلفية والتطور صنعاء، 2008/7/27م، موقع أرابيك إيرين نيوز.
http: //arabic. irinnews. org/ReportArabic. aspx?SID=890

المؤثّر في النفوس، لذلك ظل مصاحباً لعمر الثورة، ولايزال يردّد في المساجد ونحوها، وانتقل إلى لبنان، بحكم الوجود الشيعي المقاوم للاحتلال الإسرائيلي وللسياسات الأميركية.

وفي 17يناير/ كانون الثاني 2002 أطلق حسين الحوثي هذا الشعار من قاعة مدرسة الإمام الهادي في مَرّان – صعدة، وطلب من الحضور أن يردّدوه، وسط مطالبة عاطفية عاصفة بعمل شيء في وجه «الاستكبار الأميركي»[114]. وقبل أن يدعو الحضور إلى الصرخة بالشعار قال لهم: «نعود من جديد أمام هذه الأحداث لنقول: هل نحن مستعدون أن نعمل شيئاً؟ ثم إذا قلنا نحن مستعدون أن نعمل شيئاً فما هو الجواب على من يقول (ماذا نعمل؟). أقول لكم أيها الإخوة: اصرخوا، ألستم تملكون صرخة أن تنادوا: اللّه أكبر/ الموت لأميركا / الموت لإسرائيل/ اللعنة على اليهود / النصر للإسلام، أليست هذه صرخة يمكن لأي واحد منكم أن يطلقها؟ بل شرف عظيم لو نطلقها نحن الآن في هذه القاعة فتكون هذه المدرسة، وتكونون أنتم، أول من صرخ هذه الصرخة التي بالتأكيد -بإذن اللّه- ستكون صرخة ليس في هذا المكان وحده، بل وفي أماكن أخرى، وستجدون من يصرخ معكم -إن شاء اللّه- في مناطق أخرى: اللّه أكبر/ الموت لأميركا / الموت لإسرائيل/ اللعنة على اليهود / النصر للإسلام. هذه الصرخة أليست سهلة، كل واحد بإمكانه أن يعملها وأن يقولها؟ إنها من وجهة نظر

---

114 – ملزمة الصرخة في وجه المستكبرين، مرجع سابق، ص 9، الهامش1.

الأميركيين -اليهود والنصارى- تشكل خطورة بالغة عليهم...»[115].

ومنذ ذلك الحين صار الشعار جزءاً من المراسيم «الحوثية» الأساسية في أية فعالية ثقافية، إذ تتخلّل المحاضرات والدروس، وقد تأتي في نهايتها، أو تعقب صلاة الجمعة.

شعار مقدّس

وبعد اندلاع شرارة المواجهات بين الجيش والحوثيين، وبعد مرور شهر تماماً على إعلان الحرب تحدّث حسين الحوثي إلى بعض الإذاعات الناطقة بالعربية عن الحرب وأسبابها مقرّاً أن الشعار هو العنوان الأبرز لذلك، ومشيراً إلى أن الرئيس كان قد أرسل إليه قبل اندلاع المواجهات بنحو شهرين من يطلب منه التوقف عن الشعار، لكنه علّل عدم الاستجابة بالوعد والوعيد اللذين صاحبا هذا (الإنذار)؛ أما بعد الحرب فجاءه رسل ليسلّم نفسه، فرفض ذلك، وأضاف أنه مهما كان هناك من محاولة لتضليل الرأي العام حول الذي يجري فإن «الناس في اليمن يعرفون أن عملنا ليس جديداً، منذ حوالى سنتين ونصف»[116].

وفي حوار كامل مخصّص للشعار وتداعياته يقرّ عبد الملك الحوثي الشقيق الأصغر لحسين ضمناً أن الشعار هو السبب المباشر في كل التداعيات اللاحقة، لكنه أشار في معرض إجابته أن اتفاق

---

115 المرجع السابق، ص 9-10.

116 - حوار حسين الحوثي مع إذاعة لندن، في 2004/7/19م، وراجع نص الحوار في موقع: بوابة اليمن.

الحرب الأولى لم يكن من بنوده الامتناع عن رفع الشعار أو ترديده، وبرّر ما حدث من قبلهم بأنه دفاع عن النفس في وجه القوات الحكومية. كما سعى لتبرير بقاء الشعار، مهما كلّف الأمر، بوصف ذلك حقّاً مكفولاً لأي مواطن، معلّلاً شرعية الاستمرار في رفع الشعار بأن: «لدينا شرعية إلهية قرآنية ضدّ أي معتدٍ، ولو كانت الدولة ذاتها... يقول الله تعالى: ﴿وَلِمَنِ انْتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُولَئِكَ مَا عَلَيْهِمْ مِنْ سَبِيلٍ﴾ (الشورى:41)، مضيفاً -في سياق سؤال عن كون الشعار كان سبب تأجيج الفتنة فكيف سيصبح حلاً أو سينصر مظلوماً- بأن «الشعار هو أقل ما يمكن فعله في مواجهة الحملة الأميركية الصليبية على العالم الإسلامي ممثلة في الأميركان وإسرائيل...»[117].

ويرجع الأمين العام الأسبق لتنظيم الشباب المؤمن محمد سالم عِزّان فكرة الشعار إلى حسين الحوثي، حين سئل الأول عن الشعار المسببّ للحرب فقال: «حسين هو صاحب الفكرة، لأنه كان يحبّ أن يجمع الناس تحت شعار معيّن، من أجل أن يقول للناس شيئاً، لأن الناس عندهم مشاكل وجهل... فطرحوا قضية الشعار، وقلنا ربما إنها مناسبة لتلك الأحداث التي حدثت يومها، وإذا بها تتحول من مسألة عاديّة إلى مسألة دينية كالصلاة، وأصدرت فتاوى بها والتأكيد عليها، حتى وصلت إلى المواجهات»[118].

---

117 - راجع نص حوار عبد الملك الحوثي حول الشعار والسلاح والعنف مع موقع نيوز يمن في 2005/95 (لم يذكر المحاوِر) في: عادل الأحمدي، (ملحق)، مرجع سابق، ص 307-309.

118 - راجع حوار محمّد سالم عزان، مع صحيفة «الوسط»، مرجع سابق.

ويؤكِّد حديث عزان المتعلّق بكون صاحب الفكرة حسير
صرّح به المرجع الزيدي بدر الدين الحوثي (والد حسين) إذ أبى
حديث له بهذا الشأن- أن يقرّ أنه مرجع الشباب المؤمن، مسنداً
إلى حسين، الذي أكّد أنه (أي بدر الدين) «مرجعية الدين والمذ
وقد كانت قبلاً، أما مرجعية هذه القضية فهو الولد حسين». و
إنه -أي حسين- «يدعو المسلمين إلى الثبات على الإسلام،
الحذر من تدخّل أميركا في الإسلام، وتغييرها له، والثبات
ذلك، بإعلان الشعار الإسلامي، حتى يكون حاجزاً ما بينهم و
أميركا، لكي لا تدخل عليهم بأي طريقة، وحينما ثبتوا على الش
ضدّ أميركا طاردتهم». وحين سئل: «هل يستأهل النداء بهذا الش
أن تراق دماء المسلمين من أجله؟»، أجاب: «الحفاظ على الإس
يستحق، لأن الله قال: ﴿وَلَوْلا دَفْعُ اللهِ النَّاسِ بعضَهُمْ ببعضٍ لَفَس
الأَرضُ﴾ (البقرة:251). فسئل: «ألم يكن من الأولى التنازل عن
الشعار حفظاً لدماء المسلمين؟»، فأجاب: «نعم... لكن ما هو ف
(أي ليس عَمَلَنا) ونحن لم نقف إلا وقفة دفاع فقط ولم يكن موقفن
موقف الابتداء لنقاتل»[119].

كما يؤكّد حديث عزّان المتعلّق بالمبالغة في الحفاوة بالش
وإصدار الفتاوى إزاءه، ما صدر عن حسين الحوثي من فتوى تقدّ
بها مجموعة من أتباعه تسأله حول مدى جواز إقامة صلاة الج
مستقلة، نتيجة معارضة بعض المصلين لترديدهم ذلك الشعار

119 - المرجع السابق.

الصلاة في المسجد الجامع، فأجاز لهم ذلك[120]. لكن بعضهم أراد أن يستوثق لفتواه أكثر، فقدّم سؤالاً حول ذلك، إلى المرجع الأكبر بدر الدين الحوثي (الأب)، مشيرين إلى أن حسين الحوثي قد أجاز لهم ذلك، بيد أن هنالك من يقول: إن في ذلك تشتيتاً للشمل، وتفريقاً لجماعة المسلمين، مما جعل بعض أتباع الحوثي يساورهم الشك في صحّة الصلاة، غير أن بدر الدين أفتاهم بعدم جواز ذلك، داعياً لهم إلى ترديد الشعار، وعادّاً الصلاة التي فيها الشك، صلاة من يخالف الاجتماع مع ترديد الشعار، حيث أجاب بالقول: «الجمعة تقام لرفع كلمة الحق، فيجب الاجتماع لرفع الشعار والخطبة المفيدة، لرفع راية الحق، والجهاد في سبيل الله، فما خالف ذلك فهو المشاق، وصلاته فيها شك، لأن الحقّ ليس معه، بل عليه أن يصلّي مع أهل الحق، ويترك الشقاق، ويرفع الشعار»[121].

ويبرّر محمّد بدر الدين الحوثي الشقيق الأكبر لحسين الاستمرار في رفع الشعار رغم ما خلّف من «هذه التداعيات الغامضة»، فقال: «دعوتنا إنما هي إلى ثقافة قرآنية، وهي لا تحمل أي طابع عدواني، إنما لنحيي ما أحياه القرآن، ونميت ما أماته القرآن، وأميركا هي حاضرة في كل مكان، ولو لم تكن حاضرة في بلادنا لما شنّت علينا هذه الحروب، لأننا هتفنا بالموت لها، وهذه فلسفة القضية فلا غموض إذاً»[122].

---

120 – راجع السؤال والإفادة بإجازة حسين الحوثي لذلك في: عادل الأحمدي مرجع سابق (وثيقة)، ص 357.

121 – راجع السؤال والفتوى من قبل بدر الدين الحوثي في المرجع السابق، ص 357.

122 – راجع حوار محمّد بدر الدين الحوثي مع صحيفة «الديار»، مرجع سابق، ص 13.

إيران والتشيع في اليمن

يقول أمين عام حزب الحق، رداً على ما يقال من أن حزب الحق امتداد لحزب الله في اليمن وأنه يملك مليشيات مدعومة من إيران: «أن نكون امتداداً لحزب الله شرف لنا لا نستحقه لكننا نرفض أن نكون امتداداً لأحد، فنحن حزب يمني النشأة والجذور وليس امتداداً لمدرسة أو مذهب خارج اليمن لأن المؤسسين كانوا علماء ومراجع المذاهب الثلاثة المعروفة في اليمن، ولو كنا امتداداً لأحد ما تعرضنا لما تعرضنا له وما عانينا ما نعاني وما كثر خصومنا وما حقدهم أن يسألوا به، وبحسب ما أعلم به من موقعي لم نتلق أي دعم من إيران أو غير إيران، بل إن اتصالاتنا بالإيرانيين مقطوعة تماماً»[123].

ولكن هذا لا يعني -بالمقابل- نفي سعي إيران سواء على المستوى الرسمي أم على مستوى بعض المرجعيات اللافت والدؤوب لسيطرة مشروعها المعروف، على كل مكان تستطيع أن تتمدد إليه، انطلاقاً من عقيدة تصدير الثورة المعلن. ويعترف حسن علي العماد بالنفوذ الإيراني وأنّه صار يهدّد العرب، ولكنّه يبرّر ذلك بسبب «ضيق بعض حكامنا في استيعاب الشريحة الشيعية في بلادهم، فكان المنفذ الوحيد للتغذية الفكرية الشيعية إيران»[124]. وحين سئل: «هل خدم

123 – من حوار نشرته صحيفة «الشارع»، مرجع سابق.

124 – حوار مع الطالب الجعفري، صحيفة إيلاف (اليمنية)، ص، 3، العدد (65)، مرجع سابق.

شقيقك عصام الفكر الحوثي من خلال نشاطاته في إيران؟» أجاب: «تجار الفتن كان لديهم غايتان رئيسيتان من ضرب الحوثيين، ونجاح هاتين الغايتين مرهون بتحرّك إيران»[125].

يذكر أن عصام العماد غدا واحداً من أبرز المتحوّلين إلى الجعفرية في اليمن، بل صار يعرف بلقب «آية الله»، ويرأس ما يسمّى بالمجلس الشيعي الأعلى في اليمن، وإن ظل ذلك عنواناً لا تُعرف له حقيقة على الأرض، مع العلم أنّ عصاماً مختلف اختلافاً شخصياً حادّا مع أخيه حسن. وفي سياق التأكيد على مدى الجهود المبذولة من بعض الأطراف الإيرانية في سبيل نشر المذهب الجعفري في اليمن يؤكِّد علي يحي العماد (والد حسن وعصام) أن بعض المرجعيات الإيرانية يئست من محاولة إقناع المرجع الزيدي بدر الدين الحوثي (والد حسين) في التحوّل من الزيدية إلى الجعفرية، مما اضطره إلى الهرب منها، وأنه -أي علي العماد- قد صارح بعض أعضاء مجلس الشورى الإيراني بذلك، متّهِماً الإيرانيين بالتهوّر، حين وجّه الأخير إلى الأول سؤالاً عن سرّ هرب الحوثي (الأب) من إيران.. ثمّ أكّد موقف بدر الدين من الجعفرية بسماعه شريطاً مسجّلاً لبدر الدين فيه يرفض المذهب الجعفري وينتقده بشدّة، مختتماً حديثه بهذا الخصوص بأن من لايزال بعد كل ذلك يتهم بدر الدين الحوثي بأنه جعفري « فهو جاهل لأنه زيدي متعصّب»[126].

---

125 – المرجع السابق، ص 3.

126 – راجع حوار علي يحي العماد مع صحيفة الوسط، الوسط نت.

كما أن ذلك لا ينفي قيام معطيات موضوعية تشير إلى تبعية مقصودة مطلقة لبعض أفراد أو قيادات شيعية يمنية من غير المستبعد أن تستغل العباءة الحوثية لتتدثر بها -إذ هي سابقة في صعدة أو غيرها على إعلان تنظيم الشباب المؤمن- بهدف إحلال المذهب الشيعي الاثني عشري القادم من إيران وتصديره إلى اليمن. وتؤكّد ذلك بعض المعطيات الموضوعية على الأرض، مثل تبني بعضهم منظومة الأفكار الاثني عشرية -دعك من الصحابة وقداسة آل البيت- وتعليمها علانية للناشئة، قبل اندلاع المواجهات المسلّحة في بعض المراكز التابعة لبعض الرموز اليمنية المشتهرة بخلافها مع الفكر السنّي العام، بل إعلان ذلك في بعض الخطب المنبرية ودروس المساجد في أحيان نادرة، والقيام بالتبشير بالفكر الاثني عشري عبر التوزيع المجاني اللافت للإصدرات الشيعية، مع ما يُعلم من مخالفتها للعقيدة الزيدية ومذهبها. وما صدور بيانين منسوبين في بعض مراحل القتال عن الحوزتين العلميتين بالنجف وقم ووصف واقع الأحداث في اليمن بأنه اضطهاد للشيعة في اليمن بقسميها الزيدي والإمامي الاثني عشري[127]، إلا تأكيد على أن ثمّة اهتماماً خارجياً علنياً لا يخفى، وثمّة أفراداً من الشيعة الإمامية الاثني عشرية تنشط في البلاد. وقد صدر بيان منسوب إلى من وصفوا أنفسهم بالاثني عشرية اليمنيين صوّروا فيه الشيعة الزيدية والاثني عشرية بأنها مضطهدة منذ قيام الثورة

127 - راجع بيان حوزة قم في: عادل الأحمدي، مرجع سابق، 281. ورد علماء اليمن على البيانين في: المرجع السابق نفسه، ص 305-306.

اليمنية في سنة 1962، وأنه تم منذ ذلك التاريخ وبعده إعدام المئات من علماء الحوزة العلمية وطلبتها... إلخ[128].

ويصرِّح حسن علي العماد بأنه « شيعي جعفري اثني عشري» جواباً على سؤال عن مذهبه[129]. وحين سئل: «هل هناك مذهب اثني عشري في اليمن؟ ومنذ متى؟ وكيف انتشر؟» أجاب: «التشيع الإمامي الاثني عشري كان يظهر في اليمن ويقمع بشكل أو بآخر. حتى يقال إن المطرفية الذين عاصروا الإمام عبد الله بن حمزة كانوا اثني عشرية، وأيضاً في زمان المتوكّل على الله إسماعيل في مناطق بني مطر وخولان، كان يؤذّن الشيعة بـ«أشهد أن عليّاً ولي الله»، ولكن وكما ذكرت سابقاً، الحريّة العقائدية والفكرية التي عشناها من التسعينات إلى 2004، لم يسبق لها مثيل في اليمن، وهي المرحلة الحقيقية التي نستطيع أن نقول إن وجود الاثني عشرية بدأ منها».

بل ذهب إلى أبعد من ذلك حين قال: «أنا ذكرت بالدليل الجامع أن التشيّع الاثني عشري دخل إيران من اليمن». ويبرّر تحوّله من الزيدية إلى الاثني عشرية بقوله: «الزيدية تحكم اليمن منذ أكثر من ألف سنة، وهذه المدّة كتجربة كافية لأي فكر أو نظرية أو مذهب حاكم لتثبيت السعادة المطلقة للبشرية، لكن هذا لم يتحقّق، إن دلّ على شيء فإنما يدلّ على فشل هذه النظرية»[130].

---

128 – راجع نص البيان في: صحيفة «الناس»، مرجع سابق.

129 – حوار مع الطالب الجعفري حسن علي العماد، مرجع سابق، ص 3.

130 – المرجع السابق، ص3.

من إصدارات مدارك Madarek

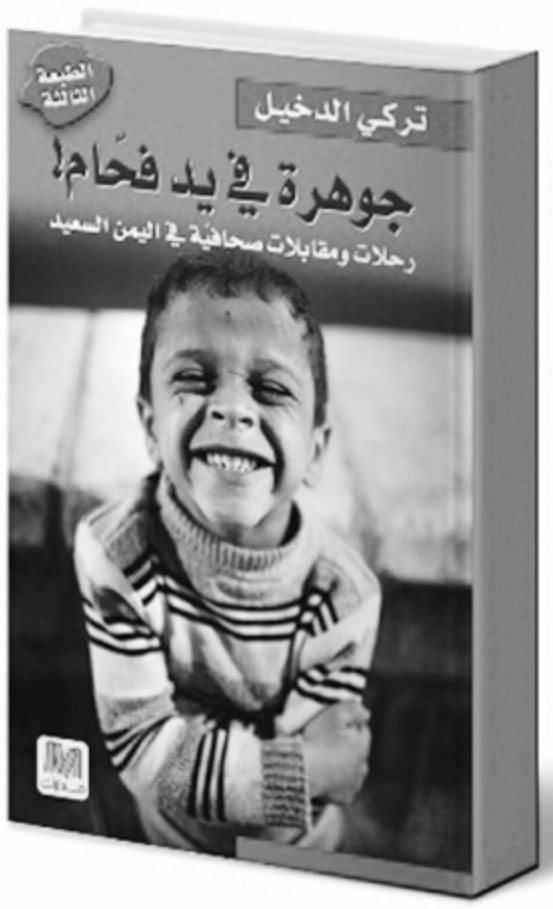

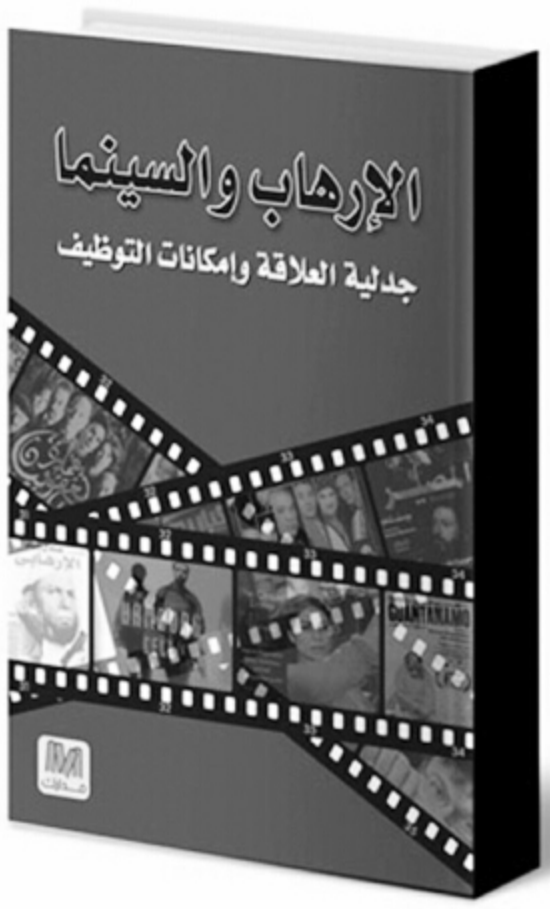

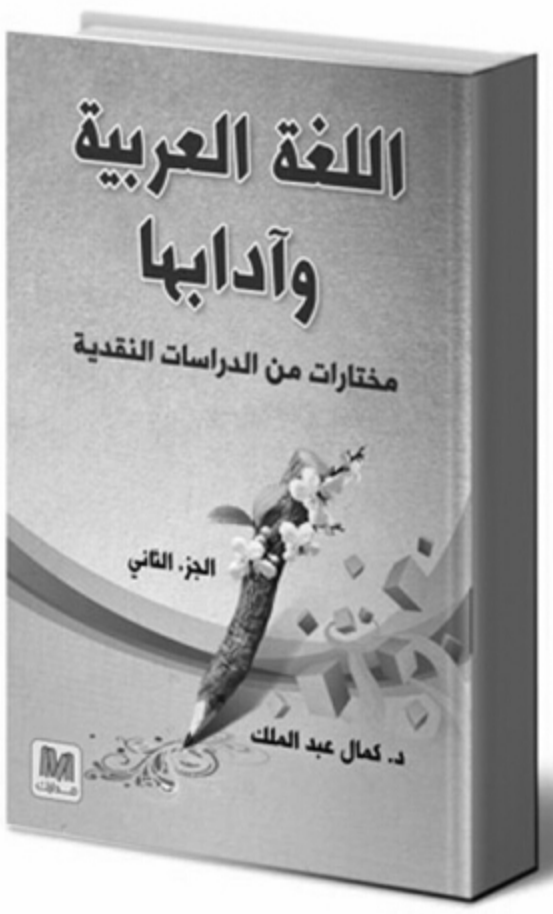

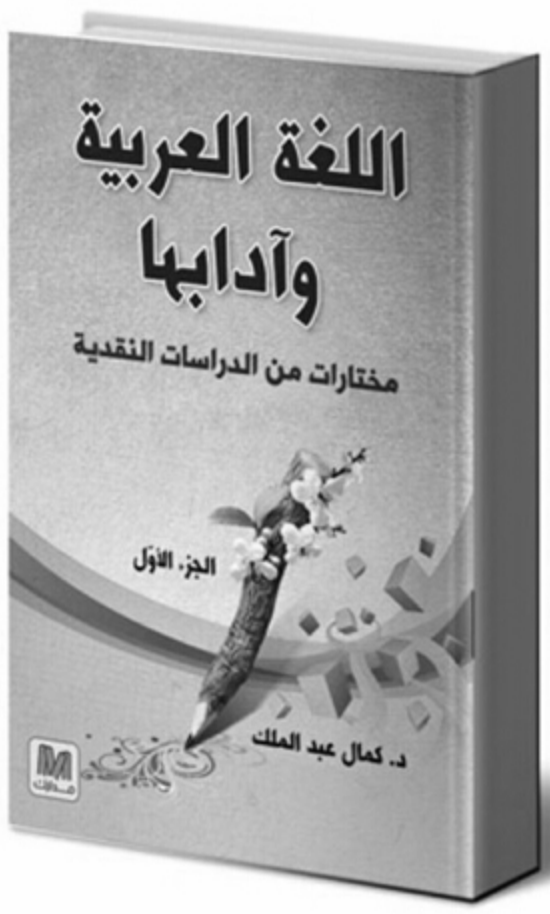

السيد علي الأمين
الأحزاب الدينية

السيد علي الأمين
ولاية الدولة
ودولة الفقيه

المرأة
والولاية العامة
بين الفقه الإسلامي والقوانين العربية
رياض محسن السيحان

حكاية اسمها
غازي القصيبي
أعدها:
كمال عبد القادر

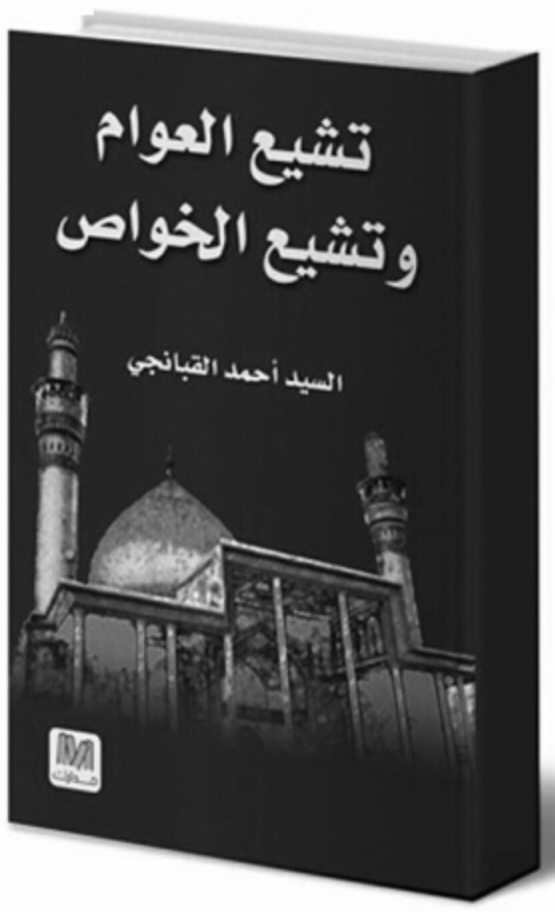
تشيع العوام
وتشيع الخواص
السيد أحمد القبانجي

صورة أوروبا
في
الأدب العربي الحديث
من طه حسين إلى الطيب صالح
د. كمال عبد الملك
منى الكحلة

كنّا في إسرائيل
رحلات مصرية
منذ 1956 وحتى 2008

أمريكا
في مرآة عربية
صورة أمريكا في أدب الرحلات العربي
1668 - 1995
الجزء الأول

أمريكا
في مرآة عربية
صورة أمريكا في أدب الرحلات العربي
ما بعد 11 سبتمبر 2001
الجزء الثاني

تركي الدخيل
إنما نحن... جوقة العميان

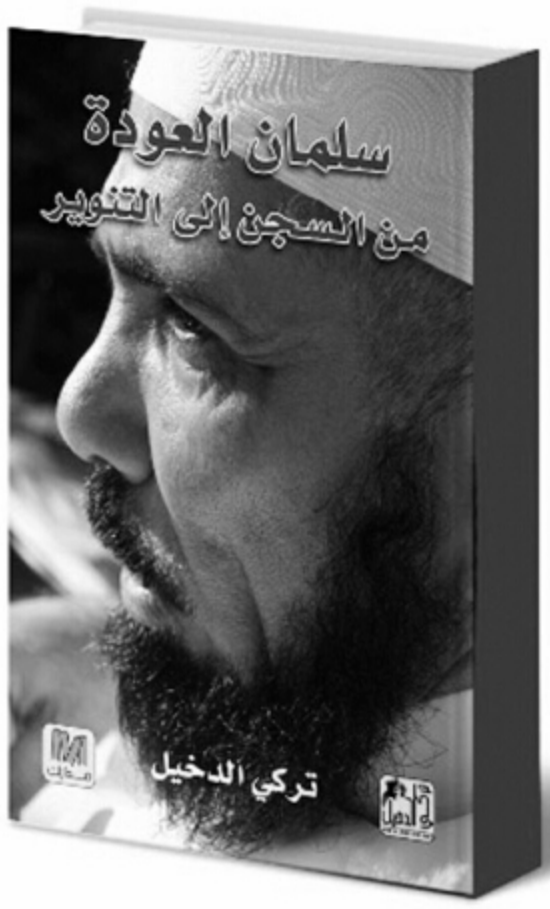
سلمان العودة
من السجن إلى التنوير
تركي الدخيل

تركي الدخيل
الدنيا... امرأة!

تغطية العالم!
بدعة الإلزام بتغطية الوجه
أحمد السيد عطيف

نازح من جازان
مفاجآت التمرد الحوثي
على الحدود السعوديّة
هادي فقيهي

الدكتور أحمد اللويمي
المجتمع
الأحسائي المعاصر
قراءة في طباعه وأفكاره

عبدالله المغلوث
يَا
يَا
يَا

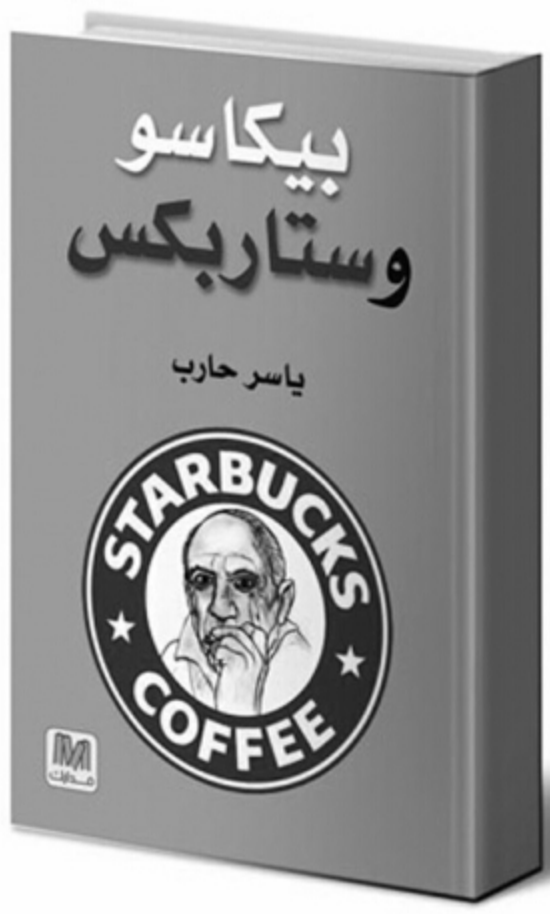
بيكاسو
وستاربكس
ياسر حارب
STARBUCKS
COFFEE

خَارِجُ ٱلطَّائِفَةِ
د. علي أحمد الديري

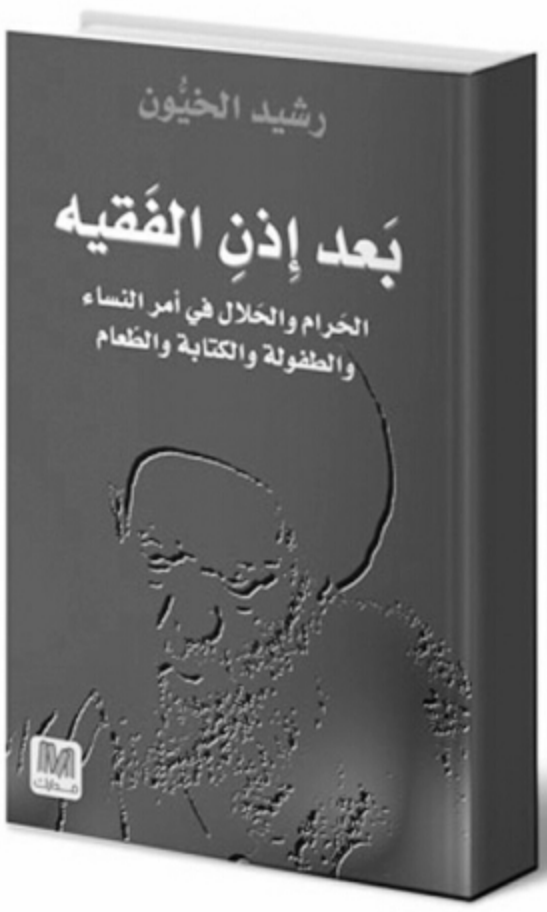
رشيد الخيُون
بَعد إذنِ الفَقيه
الحَرام والحَلال في أمر النساء
والطفولة والكتابة والطَعام

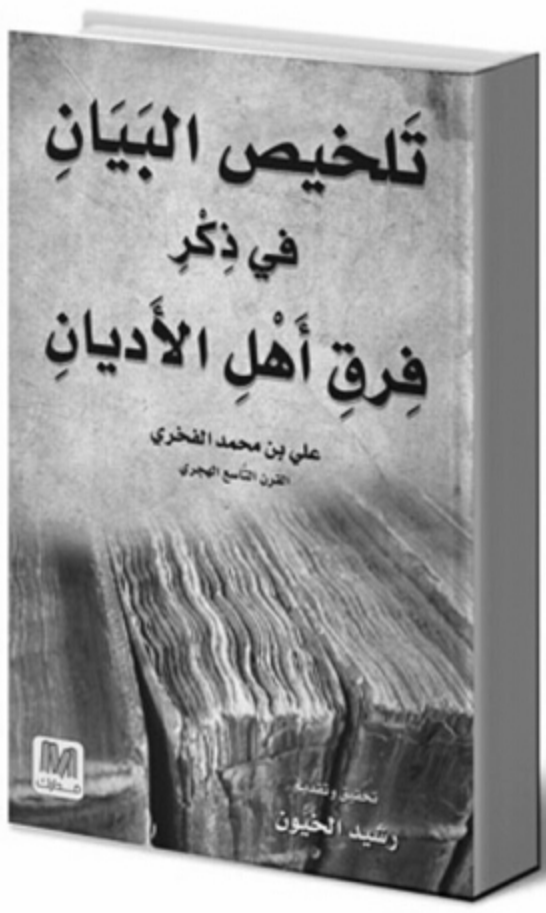
تَلخيص البَيَانِ
في ذِكْرِ
فِرقِ أَهْلِ الأَديانِ
علي بن محمد الفخري
القرن التاسع الهجري
تحقيق وتقديم
رشيد الخيُون

طبعة ثانية منقحة
رشيد الخيُون
عمائم سُود
بـ
القصر السُعودي
انطباعات شخصية عن نجد والحجاز

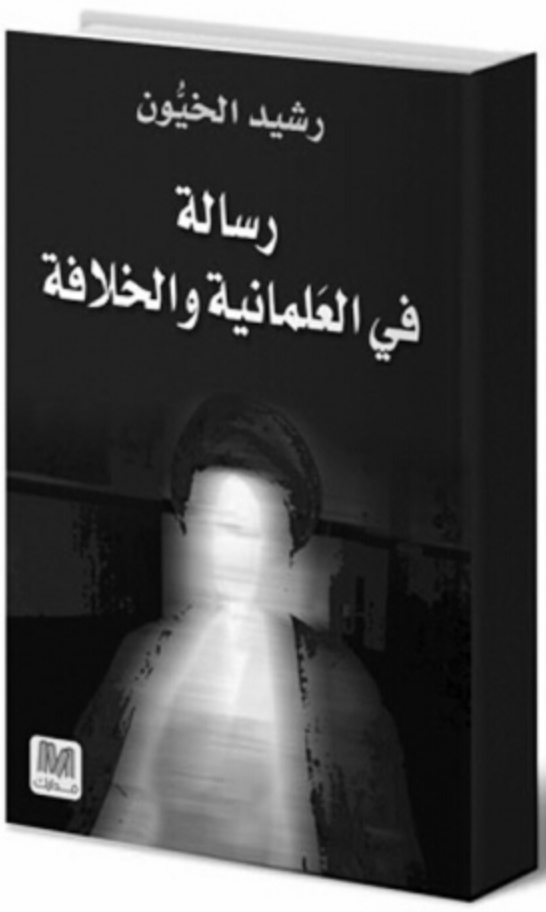
رشيد الخيُون
رسالة
في العَلمانية والخلافة

رشيد الخيُون
ضد الطَّائفيّة
العِراق... جَدَل ما بَعدَ نيسان 2003

رشيد الخيُون
لا إسلام بِلا مَذاهِب
و
طُرُوس أُخر من التراث

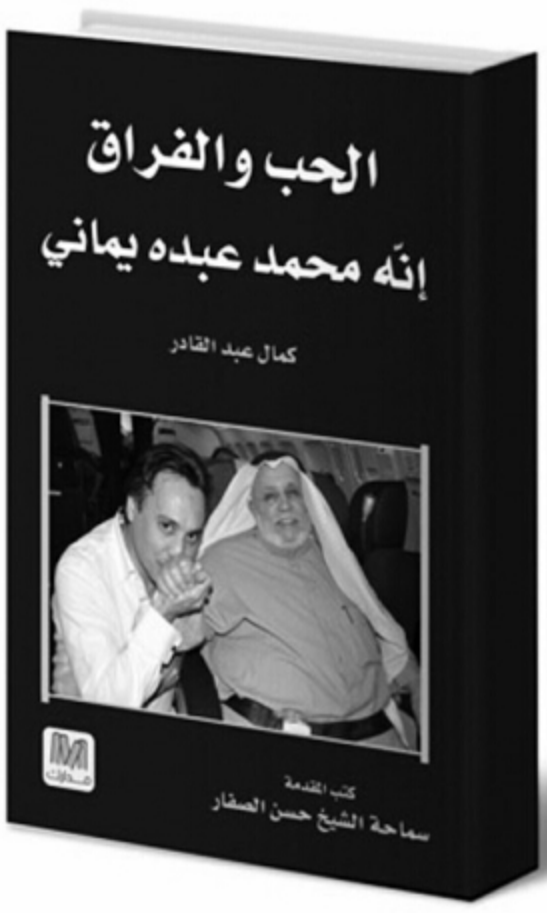
الحب والفراق
إنّه محمد عبده يماني
كمال عبد القادر
كتب المقدمة
سماحة الشيخ حسن الصفار

رشيد الخيُون
مُعْتَزِلَة
البَصْرَة وبَغْدَاد

رشيد الخيُون
جَدَلُ التَّنزيلِ
مَع كِتَاب
خَلقِ القُرآنِ للجَاحِظ

اعمدة الضحك السبعة
علي سالم

التطرف وثقافة السلام
علي سالم

الضحك في عز النكد
علي سالم
إذا كنت مسافراً خذني معك

علي سالم
بكالوريوس في حكم الشعوب

اعترافات زوج
علي سالم

دلال...
رحلة ألم وأمل وفراق

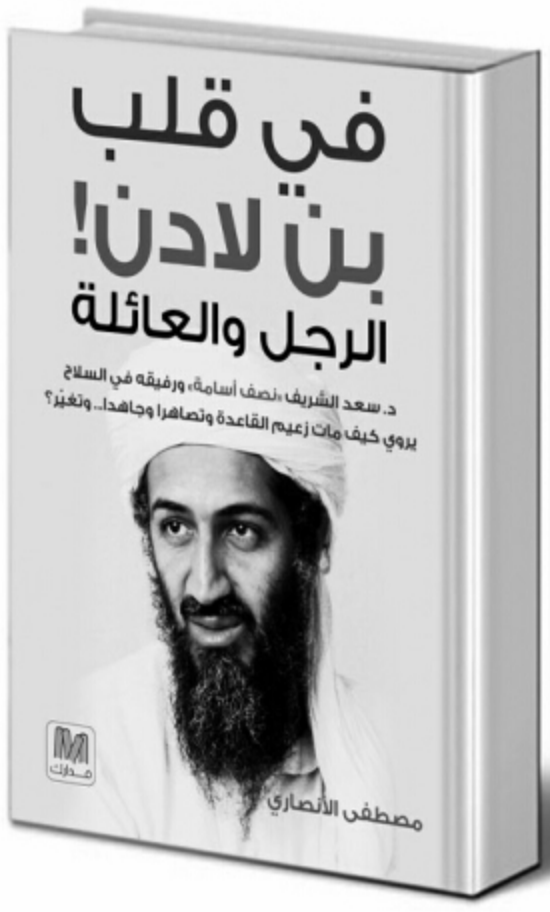
في قلب بن لادن!
الرجل والعائلة
د. سعد الشريف «نصف أسامة» ورفيقه في السلاح
يروي كيف مات زعيم القاعدة وتصاهرا وجاهدا.. وتغير؟
مصطفى الأنصاري

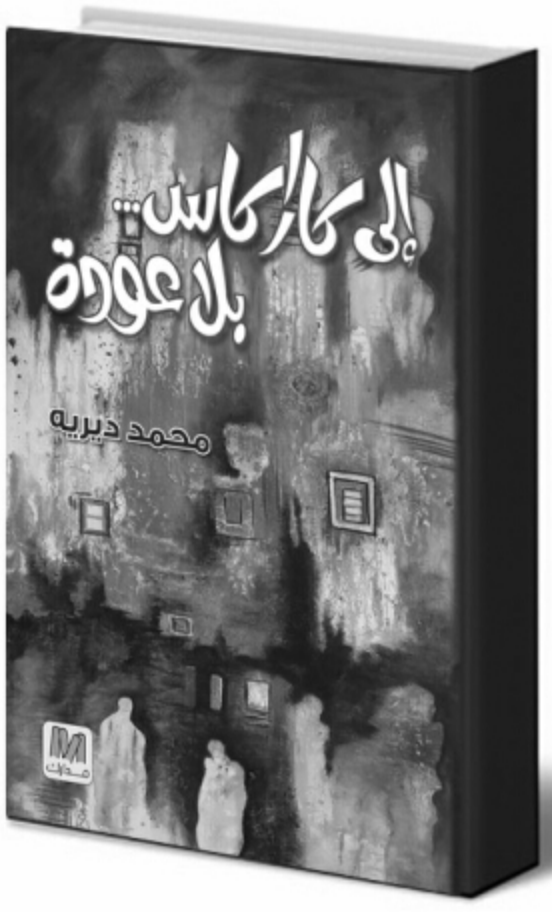
إلى كامب كامب بلا عودة
محمد ديريه

حمد الراشد
دفاع عن العلمانية ضد المسيري

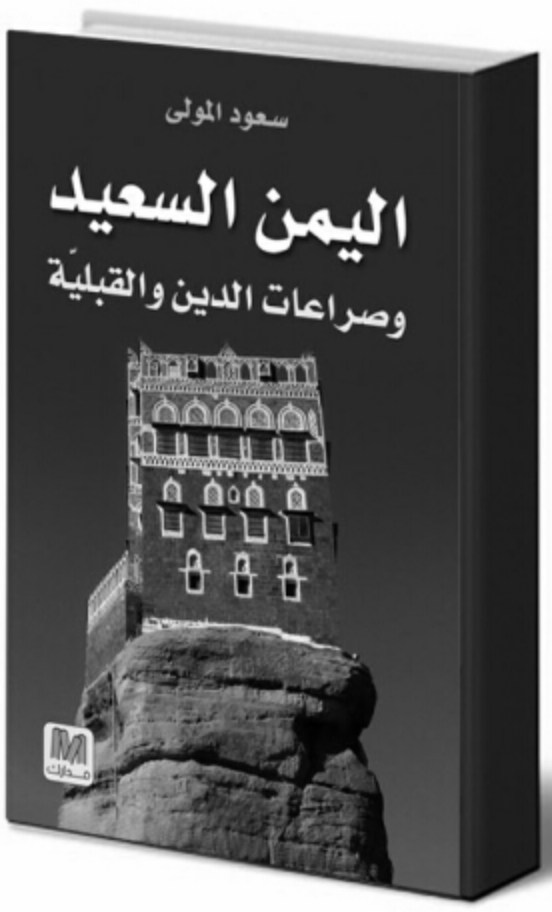
سعود المولى
اليمن السعيد
وصراعات الدين والقبليّة

المناهج الحديثة
في
الدرس
القرآني
احميده النيفر
رضوان السيد
سامر رشواني
سعاد كويرم
عبد الرحمن الحاج
عبد الرحمن حللي
غانم قدوري الحمد
مسعود صحراوي
غانم قدوري الحمد
معتز الخطيب

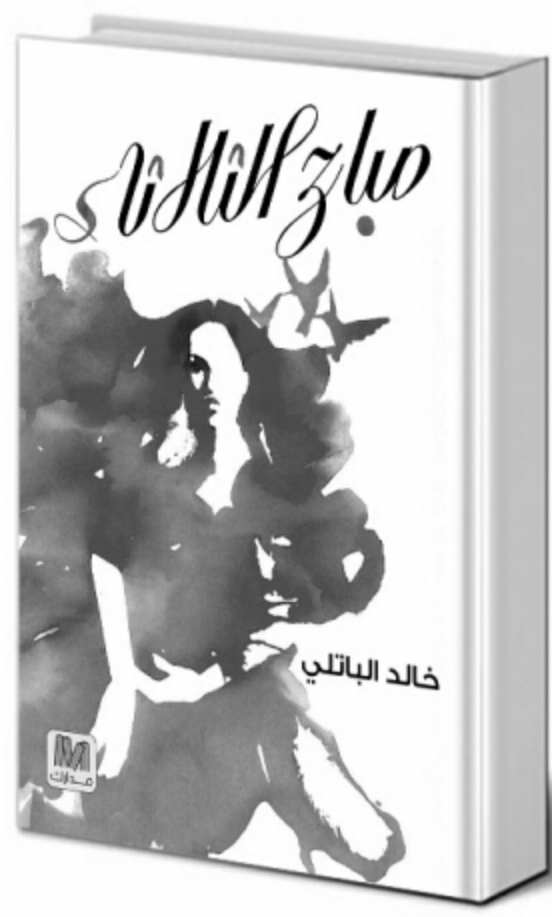
صباح الليل
خالد الباتلي

مع تطور الأوضاع المطالبة بالتغيير في اليمن، تراجع الحديث عن الحوثيين والحرب في شمال اليمن، وهي التي شغلت الرأي العام العربي والإسلامي طوال الأعوام السبعة الماضية (1994–2011). غير أن تراجع الاهتمام لا يعني نهاية الموضوع، ذلك أن الظاهرة الحوثية لم تتراجع أو تنتهِ إلى فشل أو انهيار، كما أن تغيُّر الأوضاع في اليمن لن يؤدي إلى نهاية الحركة الحوثية، بل لعله سيزيدها ضراوة وتصميماً طالما أن الأسباب التي أدّت إلى ظهورها ماتزال قائمة، بل لعلها تطوّرت كثيراً منذ مطلع العام 2011 من حيث الأوضاع القبلية والطائفية من جهة، ومجريات الصراع الإقليمي من جهة أخرى، ناهيك عن ارتباط الحالة الحوثية بتيار أيديولوجي - سياسي ثوري في المنطقة يمثله حزب الله اللبناني، الذي يستمد منه الحوثيون الكثير من أفكارهم وتنظيماتهم، حتى جرى اتهامهم بالتحول من الزيدية إلى الاثني عشرية.

يرصد هذا الكتاب تطورات الحالة الحوثية ويضعها في سياقاتها اليمنية الخاصة: القبلية والطائفية والمناطقية، مستنداً إلى قراءة معمَّقة وموثَّقة في تاريخ اليمن السياسي وفي الصراعات التي عاشها، خصوصاً بعد سقوط حكم الإمامة الزيدية ونشوء الجمهورية، ثم منذ سقوط النظام الشيوعي في عدن وإعلان ولادة اليمن الموحد في العام 1990.

ISBN 978-9953-566-44-3

Madarek مدارك

Creating, Publishing, Translating & Arabizing إبداع، نشر، ترجمة وتعريب